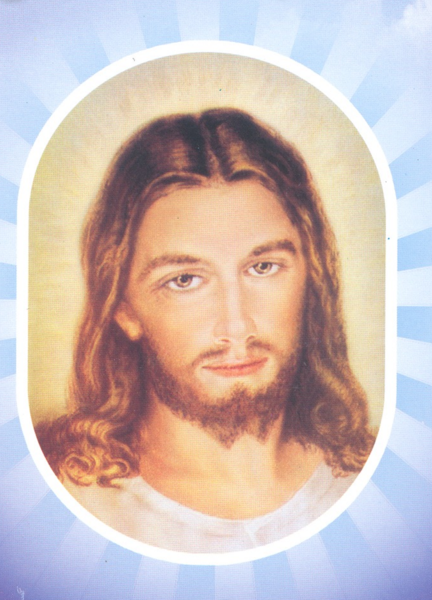
النور الباهر
فى الدليل إلى
الكتاب المقدس



القس منسى يوحنا

مكتبة المحبة

النور الباهر

فى

الدليل إلى الكتاب المقدس

القس

منسى يوحنا

مكتبة المحبة



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقصية

بأسم الآب والأبن والروح القدس الإله الواحد

مقدمة المؤلف

" وإما أنت فتكلم بما يليق بالتعليم الصحيح ... مقدماً فى التعليم نقاوة ووقاراً وصلاحاً وإخلاصاً وكلاماً صحيحاً "

(تى ٢ : ١ و ٧ و ٨)

بحمدك اللهم نسترسل فى اللهج . ولأظهار فضل كتابك نتقدم فى النسج يامن تحدثنا الأرض والسموات عن مجد لاهوتك . وتقرئنا ما كتبته على صفحات المصنوعات من بينات حكمتك وجبروتك . فكلها ناطقة بما لجلالك من عظيم القدرة منذ القدم . يامبدع المجودات من العدم . قد ترنم بمجدك عبيدك القديسون . ورجالك الأصفياء الصالحون . الذين افاضوا على العباد سيول العلم الصحيح فغمروها بالأحسان . وشرحوا الصدور بالمنقول والمعقول وشيدوا الدين على أمتن الأركان . وهدونابنبراس كتابك الشريف وأقوالك البهية . فاستنارت عقولنا بضياء معرفتك الإلهية . ونقلنا من الظلمة إلى النور العجيب . ودعينا إلى ملكوت إبنك الحبيب . يامن وضعت لنا السنن العادلة . والشرائع الفاضلة الكاملة . حسب آيات كتابك الموحى . المتضمن أعلانات النعمة والحق والرحمة . وقد أيدت وحيه بالمعجزات والآيات الباهرة . وكلأته بعين عنايتك الساهرة . ورددت عنه المعاندين بقوتك القاهرة . فى جميع الأجيال إلى هذه العصور الحاضرة . ومنذ أوحى به وهو منهل عذب كثير الزحام . يرد ماءه أكثر الشعوب والأقوام . فمن أستضاء بمصابيحه أبصر ونجا . ومن أعرض عنه ضل وغوى . فشكر أ لك على هذه المنحة بلا أمد . وحمداً وسبحاً لجلالك إلى أبد الأبد .

أما بعد : — فقد جالت بخاطرى بعض الأفكار عن الكتاب المقدس وشعرت فى داخلى بدافع قوى وميل وشديد إلى أشهارها ولكن حال دون ذلك إنى راجعت نفسى قائلاً : كم من العلماء قد طرقوا هذا الموضوع قبلى ولم يدعوا مجالاً لمثلى أن يتكلم عنه

ولكن ظهرت لى بعدئذ بارقة أمل فأجزت لنفسى الدخول فيه لأن الصوت الحلو إذا تكرر لا يسأم ومهما تكرر النداء بصدق الكتاب المقدس وبأعلان بعض مزاياه فلا يكون ذلك داعياً إلى الكف والأقلاع عن الكتابة فيه ، فكم من الكتب ظهرت وتظهر بخصوص الكتاب المقدس ؟ ولسوف يكتب الناس عنه إلى النهاية ولا يمكن أن يأتى وقت ينتهون عنده إلى معرفته أو عدم تقديم آراء وتفاسير فى أقواله حتى يتم قول الكتاب نفسه بزوال السماء والأرض .

ولما ساغ لى طرق هذا الباب لم أستقل بالفكر الوحيد وإجتزىء بالرأى الفريد بل اقتبست كثيراً من أقوال العلماء وأستعنت بآرائهم الصائبة وذلك بما أودعوه كتبهم ومجلاتهم المفيدة فكانت لى خير معوان على إخراج هذا الكتاب من حيز التصور إلى حيز الوجود . وأرجو أن ينتفع بخدمتى هذه (وإن كنت لا أعتبرها خدمة) كل من طالع هذا الكتاب . والله أسأل أن يهدينا إلى معرفة الحق والسلوك فى طريق الصواب . منه البداءة وإليه المآب . آمين .

الباب الأول

لزوم الكتاب المقدس

" تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله " (مت ٢٢ : ٢٩) .

خلق الله الأنسان على صورته لأجل مجده وكله بقوى عقلية سامية ومواهب سماوية وجعله أهلاً لنيل الحياة الخالدة . ولما سقط وتوغل فى الجهل والخطية وصار تحت طائلة الهلاك تاق ذلك الخالق المحب الرؤوف الجواد إلى خلاصة ومدله يد المعونة وأنزل إليه الوحى لهدايته وإرشاده . فإذاً الوحى أمر ضرورى للخلائق إذ يعلمها نسبتها إلى خالقها وواجباتها نحوه وواجباتها بعضها نحو بعض ويعرفها مصير العالمين وقصاص العصاة وثواب الطائعين المؤمنين ولولاه لأصبح الناس " فوضى لامشترع لهم ولا راع ولصاروا كالأنعام يدوس بعضهم بعضاً " وإن شئت فقل كالأسماك التى يأكل كبيرها صغيرها وأفنى الناس بعضهم كالأقوام المتوحشة التى بادت ، وإذ ذاك تستوى الفضيلة مع الرذيلة لا يعرف لهما أسم ولا مميز وهذا ما لا يرضى به الله القادر الحكيم .

وإذا سرحنا الطرف إلى ما حولنا من الأمم والقبائل رأينا أنه من المتفق عليه أنه لا بد لكل مملكة أو أمة من قانون تسير بمقتضاه ولا بد لكل معهد أو ناد من دستور للعمل بموجبه فكم بالحرى يجب أن يكون لملك الملوك وسيد الأرض كلها من القوانين والشرائع نظراً لأتساع دائرة مملكته ؟ وليست قوانين العالم ماسة بحاجتنا للدرجة القصوى . فقد يمكن الأنسان أن يعيش بغيرها ومع كل هذا لا يلحقه ضرر ولا تزل قدمه . ولكن أنى لنا أن نعيش خلواً من قانون يعرفنا واجباتنا نحو خالقنا ؟ فإن الأنسان قد ضل بالخطية التى أنتجت له الويل والشقاء وأعمت ذهنه فأصبح يخبط فى بحر الجهل تائها فى

الضلال محمولاً بتيار الأثم مساقاً وراء التصورات التى تبدو له وامسى يئن متوجعاً ويصرخ متفجعاً من هذه الحالة التعسة ، حيثما وجه نظره لا يستريح ضميره . يذهب إلى الطبيعة بضمير مثقل ويتضرع إليها إن ترشده إلى ماينير عقله المظلم ويطلب منها الخلاص فتدير نظاراتها وتقيس له جبال القمر وتعرفه عن نظام الكواكب وسير السيارات فى أفلاكها حول الشمس وما شاكل ذلك فيرجع الأنسان من عندها بالخيبة إذ الطبيعة قد صدته وردته بغير فائدة . ويتضح من التاريخ والكتاب المقدس أن جميع الأمم الوثنية من المتقدمين والمتأخرين ، متمدنين كانوا أو متوحشين ، حاولوا كثيراً حل المشـاكل المهمة التى يكشفها ويحلها لنا الكتاب المقـدس بواسطة نورهـم الطبيعى ولم يقدروا (راجع رومية ص ١) .

ولما لم يستفيد الأنسان من الطبيعة شيئاً ألتجأ إلى العقل ظانا أنه به يقدر على إدراك غايته . ومذهب العقليين أصدق شاهد على ما نقول فإن خلاصة آرائهم الأعتماد على العقل لأنه عندهم مصدر كل شيء من المعرفة والأعتقادات الدينية ويعتبرون الحقائق الموحى بها عقلية محضة يمكن للعقل أن يحصلها ويدركها من ذاته دون أفتقار إلى الوحى . ويتضح فساد هذه الآراء من أن الأنسان لا يسوغ له أن يسن شريعة لنفسه تكون وفق أمياله ورغائبه ، لأنه لوصح ذلك لأختار كل أنسان الشريعة التى توافق رغائبه ، وبالتالى يصبح لكل إنسان دين مخصوص يدين به على هواه . وهذا مناف لما يقتضيه العقل من وحدة القانون أو الشريعة العامة فإن شريعة الدين والآداب يلزم أن تكون عامة لأنه لا يوافق حكمة الله وصلاحه ونظام العالم أن يكون لكل إنسان دين مخصوص لأختلاف نتائج الأميـال ومباينة بعضهـا لبعض بل لا بد من دين واحد صحيح لأن الحق لا يتجزأ ولا يتعدد . وكيف يمكن ذلك إذا كان العقل البشرى هو المتكفل بسن الشريعة مع أنه يعسر وجود شخصين متفقين أتفاقاً تاماً فى العقل والأميال ؟ كما وأن الأنسان لا يكون قاضياً فى دعواه ومشترعا لنفسه وإلا كان رئيساً ومرؤوساً معاً وهما نقيضان . وفضلاً عن ذلك فإن العقل البشرى متقلب ومتغير . والحال أن قواعد الدين والآداب يقتضى أن تكون ثابتة وراسخة غير متغيرة ولا يمكن أن يصدر الثابت الراسخ من المتقلب المتغير . فإذاً ليس العقل هو المصدر للأعتقادات الدينية .

يترك الأنسان العقل لأنه لم يجده نفعاً ويسعى خلف ما وصلت إليه الحكمة البشرية ولكن لا يمكننا أن نفتنى بمبلغ ما وصلت إليه الحكمة البشرية بدون أن يكون لدينا وصايا من قبل الحكيم السامى المتكفل بكل أعوازنا فمهما تسامت الحكمة الأنسانية ومهما بلغ حكماء العالم فهم لا يستطيعون أن يفوا بالمطلوب .

أجل أن بين البشر فلاسفة محنكون وعلماء مدبرون تكلموا بأقوال نفسية ونطقوا بحكم معتبرة جديرة بأن يتمثل بها المرء فى كثير من الظروف المختلفة ولكنهم لم يحيطوا بدائرة الأختبار الكافى ولم يتوصلوا إلى درجة بها يعلمون الدواء الشافى للعلل الكثيرة التى تنتاب البشر . فإن عرفوا شيئاً عن هذا العالم المنظور فإن ألسنتهم قصرت عن أن تعبر شيئاً عن العالم غير المنظور . وإن كانوا قد علموا بعض الصفات الواجب على الأنسان الأتصاف بها كالشفقة والرحمة والتواضع ولكن قانونهم القاضى ببقاء الأنفع يقول " بأمانة العجزة والشيوخ ومن لا قدرة له على الأتيان بفائدة " ولذلك أباح أفلاطون قتل كل مشوه الوجه والخلقة . ومن هذه الشريعة عمد أهالى أسبرته إلى قتل كل طفل يولد ضعيف البنية وهو على حجر أمه .

والبشر فى كل زمان ومكان لم يعرفوا الله بالحكمة حتى أن أشهر الفلاسفة حذقاً وأغزرهم علماً لم يهتدوا إلى الحق بل ضلوا عنه كما يضل الأعمى وهو يبحث عن النور وقد أضطر فطاحلهم إلى الأقرار بالعجز حين كانت العلوم العقلية فى أسمى درجة وأشد سطوة . فلم يستطيعوا أن يخبروا عن صفات الله بأجلى بيان ولم يمكن لهم أن يؤكدوا للناس غفران خطاياهم لأن الطبيعة لم تعلم بذلك وكل النواميس البشرية عجزت عن إرشادنا إلى الكمالات الألهية ووصف الحالات التى تكون بعد القبر وعقيب نهاية العالم ولم يمكنها أن تخبرنا عن الخلود الأبدى ويصح فى هذا قول هيوم الكافر الشهير : " إن الديانة فى كل أبوابها لغز وسر لا يحل ، وجل ما نحصل عليه من أدق البحث عن هذا الموضوع هو الشك وعدم التأكد والتوقف عن الحكم " ويماثله قول الرسول " أن العالم لم يعرف الله بالحكمة " (١ كو ١ : ٢١) .

والخلاصة أن جميع الوسائط البشرية لم يمكنها الوصول إلى حقيقة واحدة فدعت الحال إلى أعلان ألهى خصوصى لا يضاح ما عجزت عنه كافة الأنوار الطبيعية والأدبية والعقلية . ولزم الحال بعبارة أخرى إلى كتابة قانون من قبل الله جل شأنه فإنه حتى الذين كان لهم أعلان إلهى لم يكن ذلك كافياً بدون أن يكتب ويكرر على مسامعهم دائماً فإن الله أعلن إرادته لآدم ونوح وأولادهم ولكنهم نسوا هذه الأعلانات وزاغ الكل وفسدوا .

وتوجد قوانين كثيرة عالية مهمة للغاية ونواميس طبيعية تتسلط على الكائنات وشرائع سياسية تحفظ نظام الهيئة الأجتماعية ولكن لم تكن وافية بالمطلوب وموصلة إلى المرغوب واو كانت موضوعة من البارىء تعالى ، لأنه لما خلق الله العالم وكافة الموجودات أوجد فيها نواميس طبيعية تسير بموجبها وكذلك لما خلق الأنسان الذى هو أعلى رتبة منها أوجد فيه ناموساً أدبياً لأرشاد قواه العقلية يقال له ناموس الذهن أو الضمير . وهذا خاص بالأنسان ووكيل الله فيه ولكنه لم يفد الأنسان بشىء قال القاضى ستور عضو مجلس القضاء الأعلى فى الولايات المتحدة " لنمسك بالكتاب بغيرة مقدسة ونثق به دون سواه . ولنجاهر على رؤوس الملأ مع ملتون كبير الشعراء قائلين : ليست الأصول المدنية ولا الشرائع الأرضية هى الحكم علينا بل الكتاب الألهى دون غيره " .

وإذا رجعت تواريخ الأمم الخالية من الوحى الألهى وجدتها قد سقطت فى ضلالات شتى وأوهام باطلة تفوق الحصر من الأعتقاد بكثرة الآلهة وعبادة النجوم والكواكب . قد كان أس الدين ومبدأ الألوهية عند أكثر الشرقيين التعليم بمبدأين أو لهين إله الخير وإله الشر وما برح هذا الأعتقاد عند الأمم الخالية من نور الوحى الألهى مثل الهند واليابان وغيرهما وقد أتصل البعض إلى أن عبدوا الحيوانات الدنيئة والحشرات حتى الأعشاب النابتة فى الحقول كالبصل والثوم حتى سخر بهم الشاعر اللاتينى بقوله " قد حرم مضغ البصل والثوم فيالها من قبيله مقدسة تنبت بساتينها مثل هذه الآلهة ، وقد روى جرديل الشهير ان سكان صور غلوا تمثال معبودهم بسلاسل لئلا يفر هارباً إلى آخر ما هناك من الأضاليل والترهات والخرافات التى سقطت فيها تلك الأمم الخالية من الوحى .

وذلك فضلاً عن نجاسة العبادة الوثنية . ويتبين لنا ذلك من أقوال بعض الفلاسفة التى تبرهن على ما يجرى من ضروب الدعارة فى تلك العبادة . قال أفلاطون " يجب أن لا تقرأ أخبار الآلهة السمجة لئلا تفسد أخلاق الشباب بالأقتداء بها " وقال أرسطو " يجب أن لا تصنع صور الآلهة وتماثيلها فى هيئة فاحشة الا ما وضع منها فى الهياكل التى يعتقد الجمهور أنها متسلطة على الفواحش " وقال بترونيوس مؤرخ تلك الأيام " أن الناس يدخلون الهياكل والمذابح ويقيمون صلوات طويلة للآلهة لكى يعينوهم على القتل والزنا والسرقة وما أشبه ذلك " وقال سنيكا الحكيم " ما أجن الناس فى هذه الأيام لأنهم يتفوهون بصلوات دنسة فاحشة وإذا شعروا بأن أحداً سامعاً صوتهم سكتوا فلا يخجلون من مخاطبة الآلهة بما يخجلون من التفوه به أمام الناس وما مهم إلا وهو فى غاية الجهل والدناءة وفساد السريرة ! " وبالاجمال كما قال شيشرون " أنه عوضاً عن أن يشترك الأنسان بفضائل الآلهة أشرك الأنسان الآلهة بقبائحه فانكب على ممارستها "

فينتج مما تقدم أن الأنسان فى حاجة شديدة إلى الوحى وإلى أعلان خصوصى من الله لأصلاح فساده فقل لى بحقك أى كتاب يحتاج الأنسان إلى معرفته ليدرك الواجبات الملقاه على عاتقة سوى الكتاب المقدس ؟ فإنه واضح باجلى بيان أن هذا هو الكتاب الذى وضع لهذا الغرض . قال جونسن المؤرخ البروسى " أن التوراة هى الرباط الوحيد بين الله والناس ، والرباط الوحـيد الذى يمكنه أن يربط القـلوب الدينيـة معاً " فلولاه ما كنا نـدرى عاقبة أمـرنا ولا كيف دخلت الخطية إلى العـالم وكثر التهافت إلى إرتكاب الفجور والمعاصى ولا كيف يكون الخلاص منها ومن قلق الضمير وإزعاجه لنا بسـبب إرتكابها فإن جميع التقـاليد التى ورثها آباؤنا عن والديهم وتقلدهـا الخلف عن السـلف منهم مشـحونة بالغلطات والأخبـار الكاذبة التى يخـالف أولها آخرهـا وإن وجد شىء يشـتم منه رائحة الحـق فلا يمكن معرفته لأمتزاجـه بالكذب أمتزاجاً لا يمكن تمييز الواحـد عن الآخـر ، وإن أمكن تمييزهما فلا يفى ذلك بالمقصـود .

ولا جل هذا قد أعطى الرب الكتاب للأنسان ناموساً كاملاً وإعلاناً سامياً يعلمنا عن الخلود الأبدى وعما يكون بعد الموت والسماء وجهنم . وليس فى طاقه العقل ابشرى أكتشافه بنفسه بل هى أمور مختصة بالوحى ولا يتأتى معرفتها إلا بأعلان إلهى حتى أن النفس وإبديتها لم يتصل أكثر الفلاسفة إلى معرفتها وكانوا فى ريب من جهة خلودها . قال المستر غلادستون " من جملة تواريخ الحوادث تاريخ هو أشدها تاثيراً وأعظمها تعمقاً وعبثا نبحث عنه للحصول عليه فى صفحات العلوم البشرية نريد به تاريخ النفس وعلاقتها بخالقها تاريخ خطيتها وحزنها وموتها والسبيل لرجوعها إلى الحياة والفرح الأبدى " وقد ظهرت الوهية تأليفه فى شرح الأسرار العميقة كسر التثليث والتوحيد وسر التجسد والقيامة العامة ووصف الحقائق السامية نظير كيفية تكوين الخليقة وسقوط الأنسان ودخول الشرالى العالم وعمل الفداء بكيفية أشمل من جميع النواميس لأنه مؤسس على طبيعة الله القدوسة مكتوب بوحى الروح القدس فى لغة البشر وهى على أختلاف الفاظها وتنوع لهجاتها إنما جعلت وسيلة لايصال الحقائق الروحية إلى أذهاننا .

وبناء على ما تقدم تتضح ضرورة نزول الوحى للأسباب الآتية :

(١) أن فى تاريخ الأنسان مسائل بل مشاكل مثل طبيعته وآخرته والخطية وكيفية غفرانها وغلبتها لا يقدر أن يعرفها ويحلها من تلقاء نفسه ، ومعرفتها وحلها ضرورياً لأجل السعادة والطهر .

(٢) أن الأنسان لا يقدر أن يجعل نفسه سعيداً صالحاً فى هذا العالم بدون وحى إذ لا يمكنه أن يتأكد صيرورته كذلك فى العالم الآتى لا سيما وهو يعلم أن الموت باب وراءه دار مجهولة وظلام مدلهم .

(٣) شهادة الفلاسفة فى كل الأحيان تبين عدم قدرتهم على حل تلك المشاكل العظيمة من جهة الله والنفس والخطية والخلاص والحيوة الأبدية .

(٤) عـــدم إمكان البشر أن يعرفوا الله بالحكمة أو بواســـطة نور الطبيعة معرفة كـــاملة

(٥) ضعف العقل البشرى إزاء هذه الحقائق المهمة .

(٦) فساد الأمم الخالية وخلوها من الوحى الآلهى الحقيقى .

(٧) نجاسة العبادة الوثنية .

وقد بحث القديس اوغسطينوس هذا الموضوع ، ومن جملة الأدلة التى قدمها لبيان إحتياجنا إلى الوحى ما يأتى : (١) إن طبيعة الأنسان الدينية تحتاج إلى أعلان من الله كاف لسدحاجتها فى حالتها الساقطة (٢) إن حاسيات الإنسان الدينية تطلب المعونة الروحية والإرشادات إلى الحق (٣) إن أستعداد البشر على الدوام لأستقبال أعلانات إلهية يشهد لتوقعهم إياها وأحتياجهم إليها (٤) إن الديانة الكاملة لا تقوم بمجرد نظر البشر إلى الله وتقديم العبادة له بل بنظر الله أيضاً إلى البشر وإعلان نفسه لهم ليكون الأقتراب بين الله والبشر متبادلاً ولاسيما أن الإنسان يحتاج إلى أقتراب الله إليه أكثر جداً مما يحتاج الله إلى أقتراب البشر إليه وينبغى أن الله يخاطب البشر قبل أن يخاطبوه هم (٥) أن ليس بين آراء البشر الفلسفية أو أعتقاداتهم الدينية الوثنية ما يغنينا عن الوحى مطلقاً بل بالعكس فإن الوحى قد أغنانا عن كل آراء البشر فى شأن الديانة وكفى كل مانحتاج إليه من التعليم والإرشادات مدة أجيال عديدة " .

الباب الثانى

فضل الكتاب المقدس

سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى (مز ١١٩ : ١٠٥)

إننا نتعلم من نور العقل والطبيعة أموراً كثيرة عن الله ونستخرج أيضاً أدلة تستحق الأعتبار على وجوده تعالى ولكنها معرفة قصيرة تحتاج إلى نور اكثر ، ونور الوحى الإلهى ضرورى لنا ليعلمنا مالم نتعلمه من نور الطبيعة ، فبعد أن كان العالم يتخبط فى الظلام المدلهم الكثيف نشأ أصل أبتدائى للكتاب المقدس وهو أسفار موسى ثم أخذت فى التدريج والظهور والسمو إلى أن برزت بمظهر الكمال فى تعليم السيد المسيح ورسله وبعد ما كانت مياهها قليلة صارت بحراً غزيراً يعكس صور وجه لله القدير الكامل فأستمددنا منه النور وتعلمنا ما لم نعرفه قبلا ونحن بدون الوحى .

(١) ما لم يتصل العقل البشرى إلى معرفته . مثل وجود ثلاثة أقانيم فى اللاهوت وكيفية دخول الخطية إلى العالم وطريقة الخلاص منها بواسطة سفك دم المسيح كفارة عنها وقيامة الأجساد فى اليوم الأخير والثواب والعقاب وما شاكل ذلك .

(٢) تأكيد ما يعلمنا إياه النور الطبيعى فأحساسنا بوجود الخالق وبعض صفاته وبخلود النفس أكده لنا الكتاب فهو أرشدنا مثلاً إلى وجود الله تعالى وبعض صفاته وخلود النفس فلم تبق معرفتنا لها ناقصة بعيدة عن الوضوح .

(٣) أرشدنا إلى طريقة العبادة الحقيقية المقبولة عند الله . إذ حسنا على وجوب إتمام الواجبات والفرائض الصالحة وحضنا على ترك ما ينتج لنا خسارة وما يحملنا الويل والنكـــــد .

(٤) أكمل ما فينا من النقص فى المعرفة لأن الوحى ضرورى ولازم للأنسان لأن فطرة البشر تستلزم وجود قاعدة تكون أساساً لأعتقادهم وسلوكهم ، وقد تبرهن أن هذه القاعدة هى الكتاب المقدس إذ هو ملآن بالتعاليم الطاهرة التى هى دستور لنا فى المعاملات والإعتقادات كما أنه أتى وافياً بحاجات الجمهور على تنوعها وتباين أشكالها وبالجملة فهو المبدأ الوحيد الذى يرجع إليه ويعول عليه .

بيد أن بعض المتعنتين الذين أنطبعت صفاتهم على ما لا يتفق مع مطالب الكتاب المقدس يقولون أن الكتاب كتب فى أزمنة الجهل العلمى فى ظروف لا تتفق مع أحوال هذه الأيام التى بلغ العالم فيها مبلغاً عظيماً من التقدم فى المعارف والعلوم ، ولكن هذه الأقوال لا محل لها إلا فى عقول أهلها فإن الكتاب كما كان موافقاً فى الزمان القديم يكون موافقاً الآن لأنه إذ كتب بإلهام من تختص به معرفة القلوب ومن إليه وحده ينسب كشف الخفايا والأسرار كلها كان موافقاً لجميع الناس ومناسباً لهم فى جميع الأحوال كالمن الذى نزل من السماء وكان مناسباً لكل ذوق . فالكتاب المقدس وأن يكن قد كتب فى ظروف وأحوال متنوعة لكنه نافع إلى يوم القيامة لأن كل الأمور التى قد تعرض للإنسان واردة بين دفتيه ومودعة فى صفحـــاته مع نعتها إن كان خيـــراً أو شراً وذلك لأنذارنا كما قيل " فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً وكتبت لأنذارنا نحن الذين أنتهت إلينا زواخر الدهور " (١كو ١٠ : ١١) لكى ننظـر عاقبة الشر فنبتعد عنه ، وجزاء الخير فنتمسك به .

ولا ريب أن الكتاب المقدس هو الكتاب الوحيد الذى تجد فيه ما يلائم حاجات الجمهور من كل أمة تحت السماء فإنه موافق لليونانيين والبرابرة . للعلماء والجهلاء . للأغنياء والفقراء . للكبار والصغار . كما كان موافقاً للعبرانيين فى الزمان القديم ، ففيه أخبار عن المواليد والزواج والوفيات والحروب والمعاهدات والتجارة والشرائع والقوانين وغير ذلك هو ينبوع تفيض منه مجارى المعرفة الروحية الصافية لذلك الشعب قديماً وللعالم كله فى كل الأجيال .

ويتوهم البعض أن الحوادث التاريخية المذكورة فى الكتب الآلهية ليست من لوازمها ولكننا نجد فى التاريخ كما فى الواقع حولنا أننا نميل إلى الأشخاص الذين لحياتهم ومبادئهم تأثير على حياتنا ومطابقة لاميالنا فنقتدى بالبار لبره ونعتبر مما وقع للأشرار فنتجنب طرقهم ، فدرس حياة أولئك يعلمنا ما يجب أن نتبعه وما يجب أن .

نجتنبه فإن ثوابهم وعقابهم كان بذات يد المحبة والعدل التى لا تزال تسوس الكون كما فى أيام القدم .

ثم أن البعض يعترضون على الكتاب بأن فيه أموراً مخالفة للعلم والتاريخ ولا ندرى ما الذى غشى بصائرهم حتى جاهروا بأنكار الشمس فى إبان الظهيرة ، لأن الكتاب المقدس أشد الكتب مناسبة من هذه الوجهة وأكثرها إنطباقاً على العصر العلمى لأحتوائه على مادة الحق العظيمة المقدار . ففى بعض الأمور الطبيعية يشتمل على أقدام الآثار المعرفة الحقيقية . وهو وأن يكن ليس بكتاب علمى ولا الغرض منه أيضاح الحقائق الطبيعية غير أنه كتاب يحتوى على بعض المبادىء التى توافق العلم الصحيح . أما من الوجهه التاريخية فيشتمل على أدق حوادث العصور واصحها . وفيما يختص بالأدبيات والعقليات ففيه أوضح الدقائق وأهم المواضيع ، وكذلك علم الأقتصاد السياسى مديون لشريعة موسى وهو الفريد بين الكتب فى غزارة مادته الروحية .

فضلاً عن ذلك أنه بعث فى العالم ما نراه فيه من روح النفوذ التهذيبى ونهض بالفنون من غفلتها ووسع نطاق التمدن الصحيح ومد رواق الأمن ومهد سبيل النظام الأجتماعى العقلى مما حدا بالعلامة جيان بولس وشطر إلى أن يصيح قائلاً : " إن القدوس بين الأقوياء والقوى بين القديسين رفع بيده المطعونة الممالك من سقطتها وحول التمدن من مجراه ولا يزال سيداً على كل العصور " فيامن تثقون بعقولكم أخضعوا لحكم الكتاب ولا تتطاولوا لأخذ مركز ليس لكم فالعقل مهما سمت قواه لا يقدر أن يدرك شيئاً سبق وجوده فالعصر الذى كانت فيه الأرض خربة وخالية وروح الله يرف على وجه المياه لا تستطيع عقولكم أن ترفرف على ظلماته الدامسة أو تشق عباب أمواجه الهائلة . قال العلامة كيزو الفرنساوى الشهير)" إنى أعتدت على أستعمال حرية البحث وكنت أظن أن العقل يكفى فى حل أعظم قضايا الأمور ولكنى تأكدت أخيراً عجزه فتواضعت وقبلت حقائق الوحى التى لم أقدر على أدراك بعضها والحمد لله فأنى مسيحى بالرب يسوع المسيح "

ولانبالغ إذا قلنا من جهة كل العلوم الحديثة إن تقدمها السريع إنما أصله الكتاب المقدس إذ إنك تجد كثيراً من عباراته تتفق مع أحدث الأكتشافات العلمية . وكل العلوم الجيلولوجية والفسيولوجية والعقلية والكيماوية والفلكية تخدم الكتاب المقدس وتشهد بصحته ولا يضاح ذلك نذكر :

(١) إن العلوم الطبيعيه والجيولوجيه أثبتت إن الخليقة تمت بذات الكيفية التى ذكرت فى سفر التكوين وإن الأنسان هو آخر حلقة من سلسلة الخليقه وإن الجنس البشرى جميعه متناسل من أصل واحد . وقد أثبت أيضاً علم الجيولوجيا حدوث الطوفان وهلاك سدوم وحوادث أخرى كثيرة ذكرت فى الكتاب . قال بعضهم " إذا نظرنا مثلاً إلى علم الجيولوجيا نرى أنه يجب أن نتقهقرقرونا حتى نصل إلى بدء تاريخ العالم فالأسفار الألهية تخبرنا بأن هذه الخليقة قد حدثت فى البدء وتترك البدء سراً مجهولاً وقد تقرر عند علمـــاء هذا الفن أنه بعد إيجاد مادة الأرض توالت ست مدات حصلت منها تغييرات كثيرة أستعداداً لخلق الإنسان وتوطئة لجعل العالم مسكناً مناسباً له والكتاب لا يوجد فيه ما يناقض هذه الحقيـــقة المقررة فى هذا الفن البتة بل نجد فيه ما يؤيد ذلك ويثبته "

(٢) إن العلوم العقلية أثبتت أن الإنسان جوهرين ممتازين جسداً ونفساً وبأن النفس خالدة وبأنه يوجد فرق عظيم بين حياة الأنسان وحياة الحيوان كما شهد بذلك الكتاب المقدس .

(٣) العلوم التاريخية وغيرها أثبتت بأن نبوات العهد القديم المختصة عن مصر وأشور وبابل ونينوى إلخ تمت حقيقة ولا يزال البعض الآخر يتم وقد أثبتت أيضاً إن الله خلق الجنس البشرى فى حالة السعادة والقداسة وشهدت بسقوط البشر وأحتياجهم إلى كفارة والوعد بمجىء المخلص والحياة المستقبله السعيدة وغير ذلك من الأمور الجوهرية فى الدين المسيحى .

ويلوح لنا أن كتبة الكتاب الأفاضل كانوا عالمين بمقدار الأرتفاع الذى سيحصل فى العالم على ممر الدهور فوضعوا أسفارهم على قواعد حكيمة توافق كل روح فى كل عصر . قال السير ولتر سكوت " إن أعظم طلاب العلم وأشدهم ذكاء وأكثرهم معرفة لا يستطيعون مهما طالت أيامهم الوصول إلى المعرفة التامة بحقائق هذا الكتاب وكلما زاد تعميقهم فى هذا المنجم العميق كثر ما يجدون فيه من الذهب . وليس إلا كتاب واحد وهو التوراة والإنجيل " وحقاً أن معظم الإكتشافات العلمية الحديثة كانت مذكورة فى الكتاب الذى كتب قديماً وفى أزمنة الجهل العلمى كما يقولون . مثلاً لم يعرف العلماء أن الأرض مستديرة إلا بعد عصر البطالسة لأن خارطة بطليموس التى رسمت سنة ٣٠٠ ق . م . كانت بين مستديرة ومربعة ومع ذلك أتهمه الناس بالجنون ولم يجمع العلماء على كروية الإرض إلا فى سنة ١٥٤٣ م حين ظهر كوبرنيكوس وجاهر بأن الشمس مركز الكون وأن الأرض دائرة حلولها ولكن ماذا قالت التوراة ؟ أنها كروية من زمن سليمان ! حيث قال " رسم دائرة على وجه الغمر " (ا م ٨ : ٢٧) وأشعياء قال عنه " الجالس على كرة الأرض " (ا ش ٤٠ : ٢٢) .

ومن ذلك قوله فى سفر أيوب "] يعلق الأرض على لا شيء " (ا ى ٢٦ : ٧) فأية عبارة أصرح من هذه أو أدق منها تدل على موازنة أرضنا فى الفضاء ؟ وقوله " هل تربط أنت عقد الثريا ؟ " (ا ى ٣٨ : ٣١) يقال أن نظامنا الشمسى يدور حول أحد نجوم الثريا السبعة المسمى السيلون . فما أقوى وأبدع تأثير هذا النجم الذى يعقد نظام هذه العوالم ! ومثل ذلك قوله " عندما ترنمت كواكب الصبح معاً " ص ٣٨ : ٧ أكتشفوا أخيراً أن لأشعة النور صوتاً يسمع ، ولو كانت حاسة سمعنا أقوى مما هى عليه لأمكنا أن نسمع صوتها . ومثل قوله " فى أى طريق يتوزع النور " عد ٢٤ لا توجد عبارة أصرح من هذه للدلاله على إنحلال النور إلى ألوانه الأصلية حسب الأكتشافات الأخيرة . وقد تكلم أيوب أيضاً عن علم الجيولوجيا (ص ٣٩) مع أنه من العلوم الحديثة جداً وكذلك تكلم عن الأعصر التى سبقته كلاماً قوياً لم تقدر الإكتشافات الجيولوجية على أبطاله أو تفنيد شيء منه .

وجاء فى سفر المزامير " إذا أرى سمواتك عمل أصابعك القمر والنجوم التى كونتها " (مز ٨ : ٣ و ٤) فنرى من هذه العبارة غرابة الأجرام السماوية حسب الإكتشافات الحديثة فلما ننظر إلى مكان البشر بازاء كواكب السماء يأخذنا العجب من أهتماما كل هذه العوالم الهائلة بخلاص سكان نقطة صغيرة من الخليقه كما قال " من هو الإنسان حتى تذكره وإبن آدم حتى تفتقده " وهذا ما حمل بعضهم على الكفر والإلحاد ولكن داود علم بعظم الأجرام السماوية قبل الإكتشافات العلمية بقرون ، ومع دهشته العظيمة لم يزدادإلا رسوخاً بفداء إله المحبة .

جاء فى جا ١ : ٧ " كل الأنهار تجرى إلى البحر والبحر ليس بملآن إلى المكان الذى جرت منه الأنهار إلى هناك تذهب راجعة " فنرى وصفاً دقيقاً لعملية الطبيعة فى أرتشاف المياه من البحار وتكثيفها إلى غيوم فى الجو ثم تقطيرها إلى أمطار لحفظ التوازن بين البر والبحر . ويشبه ذلك ما جاء فى مز ١٠٤ : ٨ و ٩ حيث نقرأ عن صعود المياه على سطوح الجبال كما تنحدر إلى حضيض الوديان وتزداد هذه الحقائق العلمية بياناً فى مز ١٣٥ : ٧ " المصعد السحاب من أقاصى الأرض الصانع بروقاً للمطر المخرج الريح من خزائنه " يتصاعد البخار من مياه المحيط بحجم هائل لا تقدر آلة بشرية أن تصعده ومتى بلغ الجو يدركه الريح البارد فيكثفه ويصيره سحباً ولو تركت السحب حيث هى مخيمة فى افق البحر لكانت عندما تمطر تعود المياه إالى البحر التى صعدت منه ، غير أن بقية الآية تشرح لنا كيفية تسيير السحب فوق البحر وذلك بواسطة الريح حيث يقول " المخرج الريح من خزائنه " فالسحب تحمل عل أجنحة الريح إلى قمم الجبال . ولقائل يقول كيف تتحول السحب إلى أمطار فنجيب بهذه الآية عنه حيث يقول " الصانع بروقا للمطر " أصطدام الريح الكهربائى يحول السحب إلى ماء ، يقول الدكتور كلفس رئيس الجمعية الملوكية " لا يمكن أن يحدث مطر بدون برق " فترى المرنم هنا يكشف الحجاب عن الحقائق العلمية بألهام الله .

والذين سعوا فى تخطئة بعض أقوال سليمان المتعلقة بالحقائق العلمية لم يفلح سعيهم وبات الخطأ فى جانبهم " بعلمه أنشقت اللجج وتقطر سحاب الندى (جا ٣ : ٢) قال المعارضون لا ينزل الندى إلا فى ليالى الصحو والحقيقة أنه ينزل من سحب لطيفة لا ترى للعين بحيث يظن أن الجو صحو .

كما وأن الرأى السديمى يطابق الكتب المقدسة فى أمر الخليقة التى تعلمنا بوضوح أن الله لم يخلق العالم على هيئته الحاضرة بل أبدعه تدريجاً من حالة الهيولى والتشويش التى وصفها الكتاب بقوله " خربة وخالية " ويتخذ من الرأى السديمى أيضاً أن مجموع نظامنا الشمسى كان أصلاً كتلة كبيره من جميعها على محورها وتسبب عن ذلك التقلص الذى حصل فى المراكز أكثر مما فى المحيط لما فى الكتلة المركزية من الصلابة والتكثف ، والأمر الذى جعل دوران الكتلة المركزية أسرع من دوران القشرة الخارجية التى إذ لم يكن مفيداً لها حفظ الموازنة والأستمرار على هذه السرعة أنفصلت عن المركز وصارت حلقة كحلقات زحل وهكذا ما زالت الحلقات تنفصل الواحدة بعد الأخرى وتتكثف إلى أن صارت كرات دعيت بالسيارات وقد أستمرت هذه السيارات دائرة حول الكتلة المركزية إلى أن صارت كرة جامدة دعيت شمساً وهكذا قل عن القمر فإنه قد إنفصل عن الأرض بنفس الكيفية التى بها أنفصلت الأرض عن الشمس .

يقول الخبيرون أن اليوم المذكور فى سفر تكوين الخليقة لم يكن يوماً كأيامنا أى ٢٤ ساعة بل هو عبارة عن دور عظيم قضت فيه الخليقه تغييرات عظيمة بأذن البارىء والكتاب المقدس لا يذكر خلقة الشمس إلا فى اليوم الرابع فإن كان الرأى العلمى صيحاً يكون الإتفاق بين العلوم والكتاب شديداً لأنه بما أن الشمس أكبر كثيراً من الأرض فبالحرى يكون قد لزم لها زمن طويل فيه تكثفتشيئاً فشيئاً إلى أن صارات كتلة جامدة كما هى الآن وهذا ما يكشف لنا الستار ويزيل المعمى ويخبرنا بأجلى بيان عن كيف صار نور فى اليوم الأول قبلما ظهرت الشمس (بحالتها الحاضرة) وذلك أن الكتلة التى تجمدت منها كانت تعطى نوراً زمناً طويلاً قبلما تجمدت وأن ذلك النور كان أضعف وأقل بهاء عما هو عليه وأن الفصل بين النهار والليل لم يكن واضحاً تمام الوضوح كما صار بعد ذلك ، كما وأن القمر الذى ليس به نور فى حد ذاته وإنما نوره مقتبس من الشمس لم يكن منيراً منظوراً حتى أضاءة الشمس بلمعانها .

ثم أنه ذكر صنع البارىء تعالى للنجوم فى ذلك الوقت فإنما كان بطريقة ثانوية لأنها بحسب الظاهر ليسر لها علاقة كبرى بنظامنا الشمسى لكونها شموساً مستقلة ولذلك لم يكن البشر فى حاجة إلى الأعلان عنها سوى كون الله تعالى يراها وله السلطة عليها جميعاً . ويظهر من كل ذلك أن الحقائق العلمية وكتاب الله يقرران أمراً واحداً فـى مسائل التكوين والخليقه .

والتعليم الذى جاهر به موسى منذ ألوف السنين بخصوص الجلد أيدته الإكتشافات الجديدة أن السموات التى تمتد من أرضنا إلى الفضاء غير المحدود هو رقيع متسع بدليل قوله " وخلق الله الجلد " والمراد بالرقيع بمعناه العبرانى الأصلى عمق عظيم وواد هائل الأتساع من النجوم التى لا عدد لها . ثم أن القول الوارد فى الكتاب عن تكوين الأرض من الماء هو مبدأ علمى صحيح صادق عليه العلامة تشارلس ليل زعيم الجيولوجيين وصححه علم الكيميا . قال أحدهم " أن علماء الجيولوجيا من نحو ربع قرن كانوا يذهبون إلى أن الصوان كان فى أصله سائلاً ولكنهم فى أصله سائلاً ولكنهم الآن يقولون بأنه لم يكن ذائباً قط بل نشأ عن الماء بقوة الضغط والحرارة ، وهذا يتفق تمام الأتفاق مع قول الكتاب الذى لم يرد فيه ذكر النار إلا مؤخراً . وأما المياه والبحار فتكرر ذكرها ١٣ مرة فى الأصحاح الأول من التكوين . كما قد جاء فى تكوين ٩ : ١٣ أول خبر كتابى عن قوس القزح " وضعت قوسى فى السحاب "

وقد أكتشفوا مؤخراً أن للريح والهواء ثقلاً وأن الله منح هذه المادة العديمة الثقل حسب الظاهر قوة جاذبة كما قال أيوب ٢٨ : ٢٥ " ليجعل للريح وزناً " وليس من ينكر مع هذا الإيضاح مدلول العبارة الظاهرة التى تشير صريحاً إلى وجود قوة ضغط فى الهواء الكروى الذى يملأ الفضاء ونتعلم من ا ى ٢٨ : ٥ بأن طبقات الأرض السفلى منقلبة كما بنار " (راجع تث ٣٢ : ٢٢ و٢ بط ٣ : ٧ وقد أثبت بحث العلماء أن علة ما يقوم فى الأرض من الزلازل إنما هى النار المشتعلة فى أحشائها .

وكثيراً ما كلف البعض بتخطئة الكتاب فيما يختص بالأنسان واصله فقال داروين " إن الإنسان متسلسل من حيوان من ذوات الأربع وأخذ يفعل فيه ناموس الأرتقاء إلى أن صار إنساناً بعد أن كان قرداً " ولكن ماذا يقول الكتاب ؟ وجبل الرب الآله آدم تراباً من الأرض ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية " (تك ٢ : ٧) و " آدم أبن الله " (لو ٣ : ٣٨) ويكفينا لدفع قول داروين المذكور قول الفيلسوف لكى " هب أننا وجدنا بين قبائل المتوحشين قوماً يشابهون القرود فى عدم المعرفة والشعور فلا يستدل من ذلك أن الأنسان مساو للقرد أو متسلسل منه وذلك لوجود فاصل متسع بينهما . فالإنسان له قوة على التقدم ليست للقرود . ولا بد أنه إذا توفرت الشروط المناسبة

لا شد الناس توحشاً يصير يوماً ما عاقلاً أديباً ناجحاً وهذا لن يتم مطلقاً لأرقى أنواع القرود فهو قرد توفرت له أسباب التقدم أو لم تتوفر "

فينتج مما تقدم أن الكتاب لازم للعلم وبدونه لا يمكن حل أعسر مسائل الوجود . ونحن لو جردنا من الكون هذا الأساس الحى فلا يمكن للعلم أن ينشىء أثراً من هذا البيان الواسع المتين الذى نشاهده بالعيان . فبيان الوحى السامى وتقريره العجيب هو المفتاح لكل معرفة ولا يتسنى للعلم الأتيان بمثله فهو الذى يفتح المنفذ إلى الماضى المتناهى الأطراف ويبعث أشعة نوره إلى حيث لا تصل مشاعل العلم ويقرر حقيقة ما كان قبل أن يبرز على الأرض مخلوقاً .

ويجب أن لا يبرح من أذهاننا أنه لم تكن غاية إرسالية كتبة الكتاب تعليم حقائق علمية كما مر بل غايتهم تعليم الحقائق الدينية وترقية العواطف الإنسانية إلى حالة سامية لأسترجاع حالة السعادة والسؤدد التى كان فيها قبل سقوطه فلذلك ترى كل أقواله تشف عن فلسفة الحياة الروحية وأما العلوم العصرية والمباحث الفلسفية فلها أن تبحث عن الحقائق التى تقع تحت الأبصار والملاحظة والإستقراء .

وموافقة الكتاب لتعاليم الطبيعة أمر عجيب يدل على فضله غير المتناهى فإن الكتبة الأطهار قد عاشوا فى أعصار وأماكن بعيدة عن بعضها ولا يمكن أن يكونوا قد تواطئوا فيما بينهم على الأتفاقات الظاهرة فى أسفارهم . ثم أن الأديان الأخرى التى أمتدت قديماً فى العالم والمتده الآن كثيراً ما نرى فيها مضادات لتعاليم الطبيعة مما يأباه العقل وينفر منه الطبع السليم بخلاف الكتاب المقدس الذى يظهر لكل متمعن فيه أنه يعلم نفس ما تعلمنا أياه الطبيعة فكل أدب ترى آثاره فى الأرض مأخوذ من الكتاب المقدس وكل فضيلة يفخر بها أهل الفضل منشأها هو دون غيره فهو نبع الفضائل ومصدر الآداب دون أن يكون له مصدر بشرى .

وليس من ينكران غيره من الكتب إنما هو قطف من ثمـار تمـدن سابق بعد مضى طـول الزمن فـلا فضل لها فيما تراه فيها من دلائل المدنيه أما هذا الكتاب فهو سابق التمدن أن لم نقل مبدعه ومنشئه ، تلك الكتب التى ألفها أصحابها بعد طول البحث والتنقيب أمـا هـذا الكتاب فنشأ من قـوم لم تسبق لهـم شهرة فى التأليف وفى عصرلم يكن أحد يهتم من الأمم بفنون الآداب إلا اليونانيين .

هذا والذى يراجع مؤلفات أصحاب الشهرة الفائقة يجد جلهم أن لم نقل كلهم قد زينوا كتاباتهـم بشىء من أقواله السماوية وهو مرجعهم فى حل المشكلات ومطمح أنظارهـم إذا أعترضهـم عثرات وهنا يصـح قولنا فى عنـوان هذا الباب ، فضـل الكتاب المقـدس " إذ له الفضـل فى تشيـيد دعـائم كل صـلاح كمـا أنه مبعث كل رقى وأصل كل نجاح .

الباب الثالث

صحة الكتاب المقدس

" ولكن زوال السماء والأرض ايسر من ان تسقط نقطة واحدة من الناموس " (لو ١٦ : ١٧)

لا يتوهم احد اننا نكتب عن صحة الكتاب المقدس لأننا نخاف عليه من الاعتراضات التى يوجهها ضده الذين باعوا الهدى بالضلال واصبحوا لا يميزون بين حرام وحلال ، لأن الكتاب هو كتاب الله وهو قادر ان يبعد عن كتابه كل وصمة تعيبه وكل عار يلحق به . وقد أرفق الرب رسالته المقدسة الى العالم بعدة أدلة تشهد بصحتها سنذكرها فى الفصول الآتية ، ولكننا قصدنا ان نزيف اعتراضات القوم على الكتاب بأنه فقد أو حرف الأمر الذى لم يقم دليل يذكر على تحقيقه

أما نحن فلنا أدلة كثيرة على أن الكتاب الموجود بأيدينا هو الذى أوحى به الله الى عباده لأنه لم يكن الكتاب المقدس المتداول اليوم هو بذاته الذى أوحى به فما كان أشقى بنى آدم وأنكد حظهم وأنحس طالعهم لأن كلام الله الذى لا يقبل التغيير على حسب فهمنا قد تلاشى وأحسرتاه من الوجود ! لكن هذه الدعوى باطلة والشكر لله فان كلمته التى فى العهدين لم تتلاشى بل بقيت محفوظة بعنايته الضابطة لكل شىء .

وكيف يفترون على كتاب الله بالتلاشى مع علمهم بمزيد حفظ اليهود له وشدة حرصهم عليه ؟ وقد ورد فى كتاب " أصول التلمود " أن المجمع الكبير وضع ثلاثة وصايا كشعائر مقدسة (١) احترس فى القضاء (١) علم كثيرين (٣) كن حصنا منيعا للتوراة . وهذه الوصية الأخيرة أوجبت على اليهود أن يبذلوا قصارى جهدهم فى صيانة التوراة سالمة من كل ما يعرض لها وقد قاموا بهذه المهمة خير قيام ، وما من أمة بالغت فى العناية بالكتاب المقدس كما بالغت الأمة اليهودية بتوراتها فقد أحصوا عدد كلماتها وحروفها وقد بلغ بهم شدة اعتبار التوراة والاعتناء بها إلى أن قال سمعان العادل أحد خلفاء المجمع الكبير " ان العالم قائم على ثلاثة أعمدة التوراة والعبادة والعمل الصالح " .

فضلا عن ذلك فان الترجمات القديمة للعهد القديم تؤكد لنا كل التأكيد بان التوراة التى بأيدينا اليوم هى التى كانت قبل ظهور المدعين بقرون عديدة لأنه إن لم تكن موجودة حينئذ فمن أين أتت تلك الترجمات وعلى الخصوص الترجمة السبعينية ؟ وكل من يطالع أقدم النسخ يجدها لاتختلف عن النسخة الموجودة الآن مع أن بعضها يرجع زمن كتابتها إلى قبيل عصر المسيح وبعده فليقولوا لنا إذاً فى أى وقت تلاشى الكتاب وفى أى زمـن ضاعت نسخه الأصلية .أما نسخ العهد الجديد المتداولة اليوم فى العالم أجمع فلا مرية انها هى التى كتبها رسل الرب وخدامه الأمناء الآباء الأول فى العصور الأولى قد اقتبسوا منها اجزاء كثيرة حتى لا يتعذر جمع العهد الجديد كله من بين أقوالهم وكذا إذا روجعت النسخ القديمة المحفوظة فى المتاحف الكبرى وجدت طبق الاصل الموجود الآن بدون زيادة أو نقص (راجع فصل " جمع الكتاب المقدس " من الباب الرابع فى هذا الكتاب) .

وكذلك ما يقوله البعض عن ضياع نسخ التوراة على أثر السبى والحروب التى وقعت على اورشليم فى العهد القديم قد فندناه فى الباب الرابع تحت " تاريخ الكتاب المقدس " ثم ما يدعيه الآخرون بضياع بعض الاسفار كسفر ياشر وسفر الحروب فقد رددنا عليه مطولا فى كتاب خاص دعوناه " القول الانفس فى كفاية الكتاب المقدس "

كمـا ان المسئلة التـى يتمشدق بها الكثيـرون وهى كون الكتاب محرف فلا تطعن فى صحته ولا تقدح فى صدقه اذ ان ذلك لا ريب هو زور وبهتان اختـرعه اصحاب الاغراض توصلا الى ادراك مآربهم وقد أقام رجال الله الغيورون الحجـج على ان كتابه لم يحرف مطلقا ومن هذه البراهين :

١ – تاريخ اليهود العمومى . وهو أصدق شاهد على صحة الكتاب اذ أن نبواته تمت عليهم وتاريخهم يتفق مع تاريخه فحوادث سبيهم وخراب هيكلهم ثم خراب مدينتهم مرة أخرى وتشتتهم فى انحاء العالم قد أنبأ بها سيد التوراة وكتابه قبل حدوثها بأزمنة مديدة وقد تمت جميعها ولم يوجد من يفندها أو يظهر كذبها وليس فيها ما يدل على تحريف الكتاب

٢ – شهادة قدماء الوثنيين . فقد شهدوا بصحة حوادث الوحى فى حين انهم لا يقصدون ذلك ومن يريد الاطلاع على اقوالهم فى هذا الشأن فعليه بمراجعة كتاب " شهادة قدماء الوثنيين لصحة كتاب الله الثمين " ولكننا سنذكر فقرات بسيطة من اقوالهم التى لم يكونوا يقصدون ان يشهدوا بها للمسيحية بل بالعكس كما يتضح للقارىء من لهجتهم انهم كانوا ألد أعدائها العاملين على تقويض اركانها

قال تاسيتوس المؤرخ الروماني في اواخر الجيل الاول عن الوسائل الى استعملها نيرون ليحول تبعة حرق رومية عن نفسه ويلقيها على عاتق غيره " ولما لم يفد كل هذا السخـــاء ولا الكرم .... القي تهمة الحريق على جماعة معروفة ... اما تلك الجماعة فكانت تلقب ذاتها بالمسحيين نسبة إلى شخص اسمه المسيح حكم عليه بيلاطس البنطي الوالي بالقتل في عهد القيصر طيباريوس .... الخ وقال بليني الاصغر " من عادتهم (اى المسيحيون) ان يجتمعوا معا في يوم معين من أيام الاسبوع قبل الفجر ويرنموا بالمناوبة ترنيمة للمسيح باعتبار انه الله " وقال لوسيان من ساموسطا نحو سنة ١٧٠م " اما المسيحيون فانهم بالحقيقة لايزالون يعبدون ذلك الرجل العظيم الذى صلب في فلسطين بسبب ادخال ديانة جديدة الى العالم " وقد اثبت كلسوس سنة ١٧٠م وهو عدو الدين المسيحى ان في الانجيل الحوادث المعروفة كالتجسد ويوسف النجار والمجوس وهروب المسيح الى مصر وذبح هيرودس الاطفال ومعمودية المسيح والمسيح ابن الله وصلب المسيح الى آخر ما هنالك من حوادث قيامته وصعوده الخ .

فهذه الشهادات المقتبسة من اقوال قدماء الوثنيين تثبت وقوع الحادثة التاريخية العظيمة التى اجتهد الكثيرون على ما نعلم ان يتهموا الكتاب كله بالتحريف لاجلها كي يعدوها ضمن المحرفات ألا وهى حادثة " صلب المسيح " التى ينكرها المسلمون ولا يعتبرها اليهود على السواء فالأولون يدعون على العهد الجديد بالتغيير لأنه يذكر هذه الحقيقة والآخرون لا يعتبرونه لانه يمجدها ولكن كما شهد الوثنيون بحدوثها هكذا انطقها الله على لسان يوسيفوس المؤرخ اليهودى فقال في كتابه " تاريخ اليهود " المطبوع في بيروت ق ٦ ص ٢١٤ " وكان ايضا في هذا الوقت رجل حكيم اسمه يسوع ان كان جائزاً ان يدعى انسانا وكان صانعا عجائب كثيرة ومعلما الذين ارادوا ان يتعلموا الحق وكان له تلاميذ كثيرون من اليهود والامم . هو المسيح الذى اشتكى عليه رؤساؤنا وأكابر امتنا وسلمه بيلاطس البنطي للصلب ومع هذا كله فالذين اتبعوه من البداءة لم يتركوه قط وقد نظر اليه حيا بعد صلبه بثلاثة أيام كما كان قد تنبأ بعض الأنبياء وصنع معجزات أخرى كثيرة ولم يزل الى يومنا هذا بعض الناس يدعون مسيحيين الذين يعترفون به رئيسا لهم " ثم ان يوسيفوس اتفق مع الكتاب في حوادث هيرودس ويوحنا المعمدان وسجنه وموته وذكر حنان رئيس الكهنة وكثيراً من أقوال الكتاب وبالجملة لو كان بالكتاب ادنى تحريف لظهر بين اقوال هؤلاء الأشخاص اعداء الكتاب ذاته واعداء الدين المسيحى الذى يؤيده الكتاب ويثبته .

٣ - شهادة الآثار . جاء فى كتاب اعجب العجاب ص ٧ " توجد امم كثيرة ذكرها الكتاب وحامت حولها الشكوك فاغلب انبياء العهد القديم انذروا الاشوريين والبابليين وحذروهم من شرورهم وابلغوهم عن القصاص المريع العتيد ان يحل بهم ولما يتوبوا حل بهم الهلاك ونسيت اسماؤهم واندثرت مدنهم من العالم وصارت اثراً بعد عين . فقال المنتقدون نعم كانت توجد بابل ونينوى ولكن ماذا نعرف عن ملوكهم الذين ذكرهم الكتاب ؟ .. هكذا فكروا فى قلوبهم ولكن الله تعالى أعد لسؤالهم جوابا مقنعا . حث الرب بعض الشجعان ففتشوا على آثار تلك المدن العظيمة وعند ذلك ظهرت مدينة نينوى مرة ثانية ولكن ماذا كانت اسماء اولئك الملوك الأقدمين ووجوههم مقطبة ومناظرهم عابسه كما يرى من رسومهم على الحوائط اذا أمكن قراءة تلك الحروف الغريبة التى كالزوايا المنقوشة على تلك الأحجار فحينئذ تعلن اسرار كثيرة ! !

فجد المجتهدون وبحثوا كثيراً حتى فكوا الطلاسم وسلبوا تلك الحوائط أسرارها الخفية . فها سنحاريب وهاك تغلث فلا سر ٢ مل ١٥ : ٢٩ وها آثار حدون ٢ مل ١٩ : ٣٧ فما أجمل مشاهدة تلك الصور المأخوذة عن الملوك أنفسهم "

ولا تزال الأرض تظهر من جوفها آثاراً تشهد بعدم تحريف الكتاب ففى مدينة رومية اكتشفت قبور كثيرين من مسيحى القرن الأول للمسيح فى سراديب تحت الأرض منقوش عليها كتاب وصور يؤخذ منها ان هؤلاء المسيحيين كانوا يؤمنون بالعقائد التى يعلمها لنا الانجيل الآن ، إذا أردت التوسع فى معرفة ذلك فعليك بكتاب " أصداء التوراة " و " شهادة الآثار " وفصل " العلم والكتاب " فى هذا الباب من كتابنا هذا .

٤ - شهادة العوائد والتاريخ السياسى ، فعوائد الأمم التى لا تزال معتبرة منذ القدم كتقسيم السنة إلى شهور والشهور إلى اسابيع والأسابيع إلى أيام كلها مذكورة فى الكتاب باحكام ، وكذا الحكومات التى قامت وسقطت ولا تزال التواريخ العالمية تذكرها فانها تجعل الكتاب المقدس شاهد عدل فى ما يذكره عنها وعن اصطلاحتها التى لا تزال معروفة وليس من يجاهر بانكارها .

تأمل أسماء الولاة المذكورة فى التاريخ كهيرودس وبيلاطس وارخيلاوس كل هذه اتفاقات غير مقصودة بين كتاب الله والكتب الاخرى ويستخرج من موضوعها معنى واحداً وهو ان كتاب الله حق ليس فيه تحريف ولا تزوير

وإلى هنا انتهينا من ذكر بعض الادلة النقلية على تحريف الكتاب ولكن المسيحيين قد أقاموا ادلة عقلية تستحق الاعتبار على ان كتاب الله باق كما هو بدون زيادة ولا نقص كما ختم عليه الروح القدس (رؤ ٢٢ : ١٩ و ٢٠)

١ – من البراهين العقلية انه اذا اتى شخص يشتكى على آخر فيجب ان يعين شخصية المتعدى وان يثبت حقيقة التعدى وحين وقوعه بشهود ذوى نباهه وكفاءة وكذلك يجب على من يدعى التحريف ان يثبت حقيقة تحريفه وان يعين الآية او الآيات المحرفة وان يشهد على المجرم الذى اجرى الجريمة المزعومة وحيث ان المعترضين قد اعترفوا بعجزهم فلا سماع لدعاويهم الباطلة ولا محاكمة لمسائلهم العديمة الفائدة فانهم عجزوا عن الاثبات والبرهان وعجزهم هذا الكلى قطع جهيزة قول كل خطيب ومعترض

٢ – ان الذين يدعون بوقوع التحريف على الاكثر هم اخوتنا المسلمون ولكننا نسألهم كيف يدعون بتحريف الانجيل والتوارة بينما القرآن يشهد لهما وقد جعلهما بمثابة قاض لحسم النزاع اذ يقول " فاسألوا اهل الكتاب " كما انه " نزل مهيمنا عليهما " اى محافظا عليهما ؟؟ فاذاً متى حرف الكتاب هل قبل او بعد القرآن ؟ فان قالوا قبل نزول القرآن فكيف يؤمن القرآن على ما هو زور وبهتان ؟ او على الاقل كان قد اشار بذلك . وان قالو بعد القرآن فنقول انه فى ذلك الوقت كان قد انتشر على وجه المسكونة فى لغات كثيرة مختلفة وقد صار فى ايدى طوائف مختلفة العقائد فهل يسلم عقلا ان الاسرائيلى مثلا يوافق المسيحى فى مسئلة تغيير التوراة ؟ بل وبونكم النسخ القديمة التى يرجع تاريخها الى ما قبل الاسلام فتجدوها متفقة كل الاتفاق مع نسخ اليوم

والخلاصة ان كتاب الله الموجود بايدينا الآن هو بعينه الذى قصد الله اعلانه للبشر ولا يمكن ان يكون قد حرف ولا يمكن ان يحرف ايضا لان ما وضعه الله لا يمكن ان يغيره انسان وكفى بذلك قول إله الكتاب " فانى الحق اقول لكم الى ان تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد او نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل " (مت ٥ : ١٧ و ١٨) وقوله ايضا " ولكن زوال السماء والارض أيسر من ان تسقط نقطة واحدة من الناموس " (لو ١٦ : ١٧) (وانظر ايضا سفر الرؤيا ٢٢ : ١٨) وهو أخر الكتاب كله . قال الرسول " لأنى شهد لكل من يسمع اقوال نبوة هذا الكتاب ان كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة فى هذا الكتاب وان كان احد يحذف من اقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب فى هذا الكتاب "

وحيث قد اتضح لنا بالدليل السلبى ان كتاب الله باق بدون ضياع او تحريف فلنجتهد ان نعرف الادلة الايجابية التى تظهر من الكتاب ذاته وتبرهن على انه من رب العالمين . فمن ذلك كون الانجيل يملأ فراغ النفس من حيث شوقها الى معرفة الله وتبريرها امامه تعالى من تبعة الاثم ومغفرة خطاياها وتطهير القلب والحياة (١) يخبرنا الانجيل بقصد الله الازلى من جهة الانسان ويشرح على التوالى السبب الذى من اجله خلق وكيفية سقوطه فى حمأة الخطيه وحاجته العظمى الى القداسة (٢) يخبرنا كيف نحصل على مغفرة الخطايا بالايمان بالمسيح وبذلك نتبرر امام الله (٣) وكيف تطهر قلوبنا بالايمان بالمسيح وتصبح هيكلا لسكناه وتتنقى افكارنا ورغائبنا من الخبائث وكيف اننا كلما عظمت محبتنا له تشددت عزائمنا فى الجهاد ضد الخطية وابليس (٤) ويرينا كيف نصير اولاد الله المختارين بالايمان بالمسيح وتفيض قلوبنا سلاما وفرحا روحيا متوقعين بالتحقيق واليقين وبفروغ صبر ذلك اليوم السعيد الذى يقوم فيه الاموات وحينئذ نتمتع بالسعادة الدائمة والقداسة الكاملة فى حضرة الله وبالاجمال ما من رغبة روحية تصبو اليها النفس إلا وهى متوفرة فى الانجيل فلذا هو رسالة الى ابن أدم المسكين .

ومن المحقق الذى دل عليه الاختبار ان كتب أهل الأديان الأخرى لا تؤدى باصحابها الى شىء مما ذكرنا فأى كتاب منها يسكن روع الخاطىء من هول الحساب وأى منها يستميل القلب الى محبة الله وأى منها يكلف الانسان بطهارة القلب والحياة ويعده لسماء طاهرة لا تدخلها الشهوات ولا تحرم حولها الادناس يسكن فيها جماعة المخلصين الذين نالوا الحرية الكاملة الخالية من كل عيب ودنس ونقص مما هو مغائر لطبيعة الله الكلى القداسة . فهذه الكتب لا تدل على طريق الخلاص من الخطية ولا احراز القبول لدى الله بل تغادر الانسان بدون ان تروى له غليلا . بل هى تجعل أمامه المستقبل الأبدى مظلما فيسير فى عاله مضطرب البال لا يدرى الى مَ مصيره فى العالم الاخر وبذلك تفقد المزية الكبرى وغاية الكتب الالهية العظمى لأن غاية الوحى ان ينير سبل الانسان المظلمة ويقوده من الجهل الى الحكمة ويكشف له الستر عن الحقيقة . فتأمل اذاً البون البعيد بين الكتاب المقدس والكتب الاخرى اذ أن محتوياته تدل على صدقه بينما هى تبرهن على ضلال الكتب المغايرة له

قال العلماء : تتبرهن صحة الوحى من الأمور الآتية (١) ان يكون وضعه مضاداً لناموس الطبيعة البشـــرية التى استعبدت للشهوات (٢) أن يتنبأ بامور مستقبله يتم فعلها فى حينها (٣) ان يؤتى ببراهين وآيات تقهر الطبيعة وتعجزها عن فعلها (٤) ان يكون خاليا من التناقض والتضاد (٥) ان يكون خاليا من الخرافات والاحاديث التى لا فائدة لها ولا طائل تحتها (٦) ان لا يوجد فى سلوك المبلغين الادبى ما يطعن فى رسالتهم . وسيظهر لك ايها القارىء العزيز فى الفصول الآتية ان كل هذه الشروط التى يتبرهن بها صدق الوحى من كذبه متوفرة فى كتابنا المقدس . وبالتالى تدل على أنه (دون غيره من الكتب فى الوجود) الرسالة المرسلة من الله للبشر بواسطة قديسيه ومختاريه .

الفصل الأول

النبـــــوات

ان السيد الرب لا يصنع امراً إلا وهو يعلن سره لعبيده الأنبياء (عا ٣ : ٧) تعرف النبوة بأنها اعلان الله للبشر بما يريده من امور مجهولة وضرورية أو بأنها الأخبار بحوادث مستقبلية والاعلان عن امور لا تصل إليها حذاقة العقل البشرى وقد سلم الجميع استناداً على هذا التصور ان النبوة برهان على الالوهية كما قال شيشرون " ان وجدت النبوة فهم آلهة " وشروط النبوة (١) طهارة النبى : فان الله الكلي القداسة لا يعلن مقاصده إلا لمن يكون صالح السيرة وحميد السريرة لا يطلب مجداً لذاته بل تكون غايته مجد الله وخلاص البشر (٢) ان يبرهن الله بشهادة من السماء على صدق ارساله للنبى بشيراً ونذيراً لخلقه وهذه الشهادة هى مجيء النبي بفعل المعجزات (٣) ان تتضمن اقوال النبى النبوة بالأمور المزمعة أن يحدث قبل حدوثها (٤) أن يتم الحادث كما انذر به النبى بغاية الدقة والضبط (٥) إن ذلك الحادث يكون مما يفوق علم البشر به (٦) أن يتكرر الأنباء بالحادث الكثير الأهمية من أفواه عدة أنبياء يختلف الواحد منهم عن الآخر زمنا ومكانا

ولا يمـكن أن تنطبـق هذه الشروط تمام الانطبـاق إلا على نبوات الكتاب المقدس التى سبق الأنبياء فانذروا بها البشـر وهى عن أمور كثيرة نحصرها فى ثلاثة أقسـام (١) الحوادث التى كانت مزمعة أن تصيب اليهود (٢) الحـوادث عن الأمم الأخرى المشهورة (٣) الحوادث عن المسيح .

وقد توفرت شروط النبوة جميعها فى الذين تكلموا بهذه النبوات وفى النبوات نفسها فطهارة الأنبياء وتأييد الله أقوالهم بالمعجزات الفائقة الطبيعة ثم إتمام هذه النبوات كما هو مشـــهور فى التاريخ أمر لا يتجاســـر على انكاره إنســـان وبالتـــالى إتمام نبوات كتـــابنا دليل قاطع على صحته ومعجزة لم يشاهد العالم نظيرها وهى سارية فى الكتاب من أوله إلى آخـره كســـريان الـدم فـى الجســم . ولنأتك هنـا ببعض من أمثلة النبـــوات التى تمت :

أولا – عن اليهود . سأل ملك ملحـــد من ملوك بروسيا مسيحيا قال : " هل تقدر أن تبرهن على وحى الكتاب بكلمتين ؟ " أجاب " اليهود يا مولاى " . لأن النبوات التى وردت فى الكـتاب عما يصيبهم تحققت كما نشـــاهد أحوالهم اليوم . ومن النبوات التى تمت (١) الأنباء عن رفضهم للمسيح (مز ١١٨ : ٢٢ واش ٤٩ : ٧ و ٥٣ : ١ – ٣) (٢) طول زمان رفضهم له (قابل اش ٦ : ٩ – ١٢ مع رو ١١ : ٢٥ (٣) الأنباء عن الأمة الرومانية التى استخدمها الله لتأديب اسرائيل (انظر تث ٢٨ : ٤٩ و ٥٠ و ار ٥ : ١٥ مع مت ٢٤ : ٣ – ٢٨) مع تاريخ يوسيفوس (٤) الأنباء بعودهم إلى مصر محمولين على السفن (تث ٢٨ : ٦٨) فاكثر الذين نجوا فى واقعة خراب أورشليم على يد تيطس الرومانى ملئت بهم سفن كثيرة وبعثوا إلى مصر للخدمة فى المناجم أسوة بالمسـجونين (٥) الأنباء بحصار أسوار مدن اسرائيل وطريقة الهجوم وشدائد الجوع والأنباء ببقاء القليل منهم (تث ٢٨ : ٥٢ و٥٣ و ٦٢ و ٦٣ وار ٦ : ٢٦ و ١٩ : ٩) (٦) تشتيتهم الكلى (تث ٢٨ : ٦١ وهو ٩ : ١٧ ولو ٢١ : ٥٤) لا تكاد توجد بلاد فى العالم إلا وفيها يهود وأورشليم لا تزال فى أيدى الأجانب (٧) الأنباء ببقائهم كأمة (لا ٢٦ : ٤٤ وار ٣٠ : ١١ و ٤٦ : ٢٨) ذبح اليهود بالالوف لكنهم كانوا يجبرون نقصهم كأنهم يسيلون من نبع غير منقطع (٨) الانباء بدوام عزلتهم (عد ٢٣ : ٩) من وقت السبى البابلى الى اليوم يكابدون أنواع الاضطهاد وصنوف العذاب ولازالوا باقين على دين آبائهم بمعزل عن كل الاديان والاجناس تحت السماء (٩) الانباء بعدم استقرارهم على حال من القلق (تث ٢٨ : ٦٥ – ٦٧ وعا ٩ : ٤) (١٠) لا تكون لهم حكومة ولا هيكل هو ٣ : ٤ وهم اليوم بلا ملك ولا رئيس وبلا ذبيحة بالرغم عن مساعيهم العظيمة فى انشاء حكومة خصوصية لانفسهم .

ثانيا – عن الامم . ونبدأ بمدينة صور (حز ٢٦ : ٧ – ١٢) بعدما وصف النبى ما يحيق بهذه المدينة من عقاب ملك بابل وبأسه قال " ويضعون حجارتك وخشبك وترابك فى وسط الماء . لاتبنين بعد " وكان قبل سقوطها قد بادر اهلها وهربوا ثروتهم وذخائرهم الثمينة الى جزيرة فى البحر على مقربة من الساحل ولم يعودوا يهتمون ببنيانها وحدث بعد ذلك الزمن ان اسكندر المكدونى حمل عليهم وهم فى الجزيرة فلم

يسلموا له فاضطر الى بناء جسر يصل بينها وبين الساحل فامر ان تهدم البقية الباقية من مدينة صور وتردم فى المياه لبنيان ذلك الجسر وتحققت نبوة النبى من القاء حجارتها وخشبها وترابها فى وسط الماء وعدم اعادة بنيانها ولم يبق من المدينة الاصلية شيء اليوم حتى ولا رجمة تدل على موقعها .

(صيدون) ان اختلف مصابها عن مصاب جارتها صور غير انه لا يزال مصابا عظيما قال الرب على لسان نبيه " هأنذا عليك يا صيدون وسأتمجد فى وسطك فيعلمون انى الرب حين اجرى فيها احكاما واتقدس فيها وارسل عليها وبأوبا ودما الى ازقتها ويسقط الجرحى فى وسطها بالسيف الذى عليها من كل جانب فيعلمون انى الرب " (حز ٢٨ : ٢٢ و ٢٣) لم يقض عليها بالانقراض كما قضى على صور ولكن قضى عليها بمذابح مريعة وتحققت هذه النبوة فى وقائع كثيرة دهمت هذه الأرض المنكودة الحظ ومن جملة ذلك لما حاصرها جيش الفرس اضرم اربعون الف نفس من الاهالى النار فى بيوتهم وآثروا ان يموتوا حرقا بالنار على ان يقعوا اسرى فى يد الاعداء وفى غير هذه الواقعة قامت مذابح كثيرة سالت فيها الدماء فى الازقة والطرقات وآخر مذبحة دهمتهم من عهد قريب فى واقعة الاميرال نابيير سنة ١٨٤٠ والمدينة لا تزال موجودة حتى اليوم ويبلغ عدد سكانها عشرة آلاف نفس . وهكذا تمت النبوات الاخرى المنذرة بخراب نينوى وبابل وكثير من المدن والممالك العظيمة وعدا ذلك قد تنبأ دانيال النبى قبل ملك الاسكندر بزمن طويل عن انتصاره على مدى وفارس وانقلابهما (دا ٨ : ٣ - ٢٧) وعن انقسام مملكة الاسكندر من بعد موته الى اربعة اقسام وقد حقق التاريخ ذلك . ثم ان النبيين حزقيال وزكريا قد تنبأ على زوال قضيب مصر وانه لا يقوم منها ملك والمشاهد يحقق اقوالهما ويعترف بصحة نبوتيهما (حز ٣٠ : ١٣ وزك ١٠ : ١١)

ثالثا - عن المسيح . وقد شغلت الاسفار جزءاً مهما منها فى الانباء عن الحوادث التى ستجرى للكلمة المتجسد وقت وجوده على الأرض قد تحققت جميعها كما يتضح لمن يطالع العهد القديم حيث يقرأ عما سيتم والعهد الجديد حيث يرى ما تم فعلا فحوادث ولادته وهروبه الى مصر وعماده وتعليمه وصلبه وموته وقيامته وصعوده كلها قد اعلنها رجال الله القديسون قبل ان تحصل ومن شدة ثقتهم بحصولها آمنوا بها وفرحوا كأنها تمت بالفعل (راجع الباب السابع عن مفتاح الكتاب المقدس من هذا الكتاب) .

وبناء على ذلك ينتج صدق كلمة الله الحية التى انبأت بالحوادث قبل حصولها فأنبأ الانجيل عن امتداد الديانة المسيحية وما يلحقها من الاضطهادات كما تنبأ عن قيام الانبياء الكذبة والارتداد عن الايمان وسريان الالحاد والكفر فى الايام الاخيرة وكل ذلك تحقق كما هو مشاهد بالعيان فليس سوى الله علام الغيوب وكاشف الاسرار الذى سبق وانبأ بهذه الامور على ألسنة كتبة الاسفار المقدسة . قال المستر ارثر بيرسن فى كتابه " الحجة القوية " عن النبوات والكتاب ما يأتى :

" ان الانباء بالمستقبل له قيمة خصوصية لدى العقول المفكرة ولو من غير المؤمنين . ان بعض طرق التصديق الأخرى لها قيمة فى عينى المؤمن . وبما ان الكتاب على نوع ما مثل كاتدرائية عظمى فجماله الفائق لا يرى إلا من الداخل . فلكى تدرك جمال ألوان زجاج نوافذ بناء فخم واثر هندسى عظيم هكذا يجب ان تنظر اليه من الداخل لاسيما حينما تلقى الشمس عليه أشعة أنوارها الذهبية . على ان للكتدرائية جمالا آخر يرى من الخارج أيضا فالنبوة يقصد بها استدعاء انتباه عقل كل مفكر إلى اجزاء الكتاب الجليلة والفخمة والعظيمة ليس كما ترى من الداخل فقط بل ومن الخارج ايضا "

وللنبوة ايضا قيمة خصوصية لأنها دائمة فى شهاداتهاولأنها ليست ميسورة للبشر اذ من المعلوم ان الانباء بخبر قبل حصوله من زمن بعيد مثل سقوط ممالك وارتفاع دول لهو امر غير مقدور للبشر وليس تحت سلطانهم اذ لا يمكن لأحد ان يعرف الأوقات والأزمان التى جعلت تحت سلطان الله ولا يعرف المستقبل إلا الله عز وجل .

ولرب من يعترضنى قائلا : ان كان هذا امر النبوة فأقول لك ان الرجال المشاهير من السياسيين كثيراً ما اخبرونا بعدة حوادث قبل حصولها بمدة وقد حصلت بالتمام فهل مثل هؤلاء يعدون من مصاف الانبياء ؟ فنحن نرد على مثل هذا القول بان الذين يعترضون مثل هذا الاعتراض لا يميزون بين الاستقراء وبين النبوات ، فالنبوات كما قلنا هى الاخبار بحوادث مستقبلة والاعلان عن امور لا تصل اليها حذاقة عقل بشرى كسقوط دول وقيام ممالك وأخبار عن اناس قبل ولادتهم والحوادث التى تجرى على ايديهم والاعمال التى يأتونها بالتمام وربما تاريخ ولادتهم وتاريخ موتهم بالدقة والضبط

وهذا ما لا يقدر عليه الا القادر على كل شيء المكشوف أمامه الماضى والحاضر والمستقبل ، وأما الاستقراء فينتج من مقارنة ظروف الأحوال بعضها ببعض وهو على كل حال قابل للشك . ولو القينا نظرة على نبوات الكتاب المقدس لوجدناها تبعد جداً عن استقراء الأنسان وتصوارته .

خذ لذلك مثلا بابل التى قال عنها هيرودتس المؤرخ " ان علو اسوارها كان ٣٠٠ قدم وعرضها ٧٥ قدما حتى كانت تسير فوق السور ثلاث عربات جنبا لجنب وكانت المدينة على مجرى نهر الفرات وقد جعلت لها ابواب نحاسية على طول ثمانية أميال من المدينة لتحميها من الغزاة " فاذا وقع هذا الوصف أمام اعظم سياسى محنك فما يكون حكمه إلا أنه دون اقتحام بابل خرط القتاد . ولكن اسمع قول ارميا " يركض عداء للقاء عداء . ومخبر للقاء مخبر ليخبر ملك بابل ان مدينته قد اخذت " (٥١ : ٣١) وقد تم قوله حرفيا حينما دخل كورش وجيوشه فى مجرى النهر اليابس واقتحموا المدينة من الجانبين بينما كان البابليون فى سكرهم وبطرهم وكان المخبرون يركضون من الجانبين ليخبروا الملك فتقابلوا فى منتصف الطريق قبل وصولهم الى القصر الملكى ، وقد قال الله " فتح أمامه (أمام كورش) المصراعين (ابواب القصر) والابواب لا تغلق (ابواب النهر النحاسية) اش ٤٥ : ١ فاكرم به من كتاب جليل ليس فى حاجة لما يثبت صدقه إذ أن فيه شهادة كافية على أنه مكتوب بروح الله .

ثم نبوة أخرى عن بابل فى اش ٤٧ : ٩ قوله " فيأتى عليك هذان الاثنان بغتة فى يوم واحد الثكل والترمل " وقد جاء فى التـــاريخ عن الثقات الذين لايشـــك فى قولـهم ان البابليين (حتى يدفعوا عنهم مضار الحصار فلا يلجأون الى التسليم) قتلوا فى يوم واحد خمسين الفا من نسائهم واولادهم وابقوا فقط عدداً من النساء يكفى لخبز الخبز وحمل الماء اثناء الحصار فجلبوا على انفسهم فى يوم واحد وفى لحظة واحدة الثكل والترمل .

أما فى النوات عن فلسطين فيوجد مشهدان أو ثلاثة فى غاية الاهمية (١) اشقلون الحصن العظيم الذى قيل عنه أنه سينهب وسيدمر ويكون بدون ساكن (٢) اشدود التى صبرت على الحصار ٢٩ سنة وهى اطول مدة للحصار فى التاريخ . وهذه قيل عنها انها ستنهب . فأشقلون اليوم غير مأهولة بالسكان بل هى خرابات يلتجىء اليها الناس من عواصف الرمال والأمطار التى تكثر على شاطىء البحر المتوسط . ونجد اليوم أمام اشقلون القديمة قرية حقيرة يسكنها بعض الفلاحين الفقراء ، واذا سألتهم لماذا لا

تدخلون المدينة وتبنون فيها اكواخكم . اجابوك انهم لا يجسرون على ذلك لاعتقادهم انها مسكونة بالجن والارواح الشريرة وهكذا تجد ان هذا الحصن لم ينهب فقط بل هو باق الى اليوم بلا ساكن (راجع صف ٢ : ١ - ٧ وزك ٩ : ١ - ٨) .

وناهيك عن النبوات الاخرى التى تمت على ادوم وموآب وعمون اذ بعدما كانت ذات هياكل منحوتة وحصون منيعة اصبحت حسب قول النبوة مسكونه بالوحوش البرية المذكورة فى الاقوال الكتابية . وعلى ذلك نقول ان الانباء بعدة حوادث مختلفة الانواع والازمان والاحوال لم يكن ممكنا الا بمساعدة الوحى الالهى على ألسنه الانبياء الاطهار والرسل القديسين وهذه الشهادة تعد من اول الشهادات الموثوق بها ، ومن يطالع الكتاب المقدس بدون تعصب بل بدقة وامعان يتضح له الحق المبين وضوح الشمس فى رابعة النهار ، كيف لا ونحن عند مقابلتنا النبوات مع الحوادث التاريخية يتجلى لنا حق الله فى كتابه الثمين كاللؤلؤ الجميل على صفحات الذهب الخالص .

قال بعضهم " ان العلم بالأمور المستقبلة المطلقة والانباء السابق بتأكيد يخصان الله وحده ، فاذاً متى ظهر ان هذه الامور الصادرة عن الحرية قد عرفت وسبق الانباء بها بتأكيد وطابقها ما حدث فيما بعد بالتمام كان ذلك برهانا سديداً على ان من تنبأ النبوة قد اناره الله وهذا ينطوى تحت هذه القاعدة : ان النبوة التى يصحبها العمل برهان قاطع على الوحى الالهى الفائق الطبيعة " .

الفصل الثانى

المعجــــــــزات

" شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة " (عب ٢ : ٤)

ان الشهادة لصحة دعوى الكتاب يقتضى لها امران مهمان جداً وكلاهما فائق الطبيعة فى ذاته – الواحد النبوة والآخر المعجزات – وقد مرت بنا شهادة النبوة واماما الآن " المعجزة " وهى فعل محسوس مذهل مخالف للنظام المعتاد ولشرائع الطبيعة . والمعجزة الحقيقية شروطها اربعة " ١ " ان يكون المعلول محسوسا " ٢ " ان يكون فائقا للطبيعة " ٣ " ان لا يستطيع أحد صنعه إلا الله وحده سواء كان ذلك بواسطة أم بغير واسطة " ٤ " الغاية إن يسوق ويحمل الى الأمور الالهية .

وبما ان الكتاب المقدس يدعى الرسالة الملكية الصادرة لرعاية الله البشرية فمن اللازم جدا أن كتابا كهذا يجب أن يصدق ويرافق بامضائه وختمه الملكيين . وموافقة لاهمية هذا الاعلان وجسامة المسألة ينبغى أن يكون إمضاء وختما ظاهرا بصمهما على الحجة السماوية حتى يقتنع كل من يهمه هذا البحث أنها حجة صادرة من الملك العظيم دون سواه . ولأن الكتاب يدعى أيضاً كلمة الله للانسان وأنها تبحث فى أهم المواضيع الخطيرة التى تستدعى شديد اهتمامنا ، كان من الضرورى مطابقة لذلك أن التصديق عليه ينبغى أن يكون فوق كل شك عقلى وألا فيكون الايمان به وقبوله من الأمور المخالفة للمعقول .

أن كتابا فائق الطبيعة كهذا ينبغى أن تكون له شهادة فائقة الطبيعة لان العمل ينبغى أن يبين درجة العامل من الخدمة ويكون أهلا له وهكذا يجب أن تكون الشهادة للكتاب المقدس مما يعتد به فاول شهادة كما مر بنا هى النبوة وأما الشهادة الثانية فهى المعجزة فقد اتخذها المولى لأثبات صدقه للبشر لان لها فائدة ظاهرة كلية وليس المراد ان الله عاجز عن اظهار صدقه بدون المعجزات . كلا وإنما رأى بحكمته الالهية أن المعجزات دليل مقنع لعقول البشر على صدق ما أعلنه .

وتظهر فائدة المعجزات فى الكتاب المقدس من لزومها لاثبات أرسالية كاتبيه وصدق ما علموه من الحقائق الالهية بدليل أن الخالق الذى يعلم جميع احتياجاتنا أكثر مما نعلمها نحن سبحانه قد اثبت كل حقيقة اعلنها للبشر بالآيات والعجائب قال السيد يسوع المسيح " الاعمال التى أنا أعملها باسم أبى هى تشهد لى " (يو ١٠ : ٢٥) وقد شهد الاعمى ان صنع يسوع المعجزة بشفاء عينيه برهان على أنه مرسل من الله " يو ٩ : ٣٠ و ٣١ " وقال بطرس الرسول مثبتا ارسالية المسيح من قبل الله بواسطة المعجزات " أيها الرجال الاسرائيليون اسمعوا هذه الاقوال . يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون " " اع ٢ : ٢٢ " وقال الرسول بولس " شـاهدا الله معهم بأيات وعجائب وقوات متنوعة " (عب ٢ : ٤) وقال ايضا " أن علامات الرسول صنعت بينكم فى كل صبر بآيات وعجائب وقوات " " ٢ كو ١٢ : ١٢ "

وبناء على ذلك فالمعجزات دليل كلى الأهمية على الوحى الالهى الفائق الطبيعة وحقيقة هذه القضية يثبتها تعريف الاعجوبة نفسه لانه إذا كانت الاعجوبة هى ما حدث فائقا لنظام الطبيعة المخلوقة بأسرها فينتج ان الاعجوبة الحقيقية لا يمكن أن يصنعها الا الله السيد الحاكم على الطبيعة ، إما بذاته أو بخدام قدرته القادرة على كل شىء . فاذاً أذا شرف الله بالعجائب رسالة من كل متكلما باسمه ومبيناً ارادته والحقائق المكشوفة له من الله فتلك العجائب تكون برهانا سديدا على الوحى الالهى الذى يعلم به ذلك الشخص المرسل من لدنه .

وأننا اذا بحثنا وجدنا ان العجائب والمعجزات كانت ملازمة للانبياء والمرسلين الذين دونوا الكتاب المقدس فهى الشاهد القوى والحجة المتينه على انهم من الله خرجوا فالرسل والانبياء الذين بشروا وانبأوا كل الشعوب بديانة الله العلى كانت لهم هذه القدرة الغريبة حتى امكنهم ان يقتلعوا الديانة الوثنية من القلوب ويغرسوا عوضا عنها الديانة الالهية بين الشعوب والأمم وبذلك امتدت إلى كل أنحاء العالم وإلى جميع أطراف المسكونة . فالمعجزات ايضا هى قسم من الادلة الخارجية على صدق الكتاب المقدس ، ومخلصنا نفسه أعلن أن المعجزات دليل على لاهوته وقد أوردها نيقوديموس دليلا على

ذلك بقوله " يا معلم نعلم أنك أتيت من الله معلما لان ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التى أنت تعمل أن لم يكن الله معه " (يو ٣ : ٢) ويذكر الكتاب أنه عندما كان يصنع الآيات كان يؤمن به كثيرون (يو ٢ : ١١ و٢٣ ، ١١ : ٤٥) .

والكتبة الاطهار الذين كتب على أيديهم الكتاب أثبتوا صدق رسالتهم من الله تعالى بصنع المعجزات علانية أمام أعين البشر . وبما أنهم كانوا أمناء يخافون الله مجتهدين فى العيشة الطاهرة وصنع الخير والاحسان لبنى جنسهم فيبعد أن تكون تلك المعجزات التى قد عملوها بأسم الله أكاذيب قصدوا بها خداع البشر ولا سيما إذا نظرنا إلى كثرة عددها وأشكالها وان إمكان التمييز بين المعجزة الصحيحة والمعجزة الكاذبة ليس بمعتذر لان هذه غير مصنوعة بقوة الله ولا لأثبات حق فهى مصنوعة اما قوة شيطانية او بخداع بشرى ولذلك تسمى آيات كاذبة ، اما تلك فهى بأن الله صنعها لغيات تليق به تعالى كما وأنها تقبل الامتحان بالحواس البشرية خلافا للعجائب الكاذبة المصنوعة بخفة اليد أو الحذاقة البشرية وما اشبه مما يسمى شعوذة .

والخلاصة أن المعجزات المثبتة بالشهادة الكافية دليل قاطع على صدق الأسفار الألهية وكما قلنا بمنزلة ختم الله على كل تعاليم الذين أرسلهم . وضع المعجزات لأثبات الأعلانات مما يقبله كل ذى عقل سليم لأنه ليس من الأدلة على صدق إعلان الهى ما هو اليق منها وأقرب إلى العقل .

قال القديس أوغسطينوس " لولا المعجزات ما كنت مسيحيا " ولولا إثبات المسيح لاهوته بتلك الأعمال المقنعة لكان عدم الايمان به من احقر الخطايا لأنه يقول " لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيرى لم تكن خطية " وله أقوال كثيرة تبين فائدة المعجـزات فى أثبـات رسالته ورسالة كـل الذين اختارهم ليعلموا الناس ما كشفه لهم من الحقائق . ولعلمه بأن المعجزات من الزم الامور لتأسيس ديانته زود بها رسله فكانوا يعمـلونها وكان على أثرها يدخل الجمهور افواجا الى حضن المسيحية تاركين ديانتهم التى ولدوا فيها لانها لم تثبت بمعجزة ، بعكس رسالة الله فهى ثابتة وذلك بفضل المعجزات ..

الفصل الثالث

شـــهادة العلم

" غير أنه علـــى كل وجه سواء كان بعلة أم بحق ينـــادى بالمسيح وبهذا انا افرح " فى ١ : ١٨ .

لا يخفى على كل ذى بصيرة ما للدين المسيحى من الخدم والانصار والاعوان الكثيرين الذين يشعرون بفضله العظييم ونفعه العميم ويقرون بفوائده العديدة وبركاته الروحية والجسدية فيبحثون اكراما لهيبته وينحنون تعظيما لحضرته ولا ينطقون ببنت شفة فى حقه بل يبذلون ما فى جهدهم لنشر لوائه واعلاء كلمته الالهية فى كل اقطار المسكونة ومن هؤلاء الخدم والانصار آباء الكنيسة الأول كاوريجانوس وكبريانوس ويوحنا فم الذهب واوغسطينوس واثناسيوس وباقى الرعاة والمبشرين وغيرهم من خدمة الدين وكثيرين من المسيحيين . بل وكثيرون من الكفرة والملحدين واعداء الدين المسيحى مثل يوسيفوس اليهودى المؤرخ وتاسيتوس المؤرخ الرومانى وبلينى القائد وكلسوس المعاند ويوليانوس المرتد يشهدون رغما عن ارادتهم بصحة مبادئه وصدق مطاليبه ويستغربون جداً من انتشاره السريع وتقدمه الغريب ومن طالع مؤلفاتهم وجدها مملوءة من اقوال كثيرة تثبت ما نحن بصدده .

لكننى ألفت انظاركم الآن الى خادم عظيم الشأن جليل القدر يخدم الدين فى كل يوم ويجتهد فى رفع علمه على جميع البلاد وجعل رايته تخفق على رؤوس العباد . اما هذا الخادم فهو العلم خادم الدين المسيحى واسير كتابه بل هو ساعده الايمن وسنده الاقوى . بيد ان العلم كثيراً ما يخدم الدين الميسحى والكتاب المقدس وهو لا يشعر ولا يدرى بانه يخدمه .

ولأثبات هذه الحقائق نتأمل فى الأمور الآتية :

١ - العلم والاختراعات . لاغرو ان للعلم اليد الطولى فى الاستنباطات المجيدة والاختراعات المفيدة كيف لا وهو الذى اخترع المطابع والوابورات والآلات البخارية وغيرها ، هذه الاختراعات التى استنبطها العلم لم يكن يبذل جهده فى ايجادها لنشر الدين المسيحى فى كل اقطار المسكونة ولا لرفع شأن كتابه بل لترقية العالم ورفع شأنه ونشر التمدن وربط الممالك بعضها ببعض . ولكنها عجبا . تأمل بعين خالية من الغرض فى هذه الاختراعات ولاحظ كيف ان المطابع استخدمت لطبع الكتاب المقدس والكتب التقوية والمقالات والجرائد الدينية وكيف أن البواخر البرية والبحرية استخدمت لحملها

التقوية والمقالات والجرائد الدينية وكيف أن البواخـر البرية والبحرية استخدمت لحملها
وتوزيعها فى سائـر البلاد ونشرها على رؤوس الاشهاد واستخدمت ايضا لنقل المبشرين بهذا الـدين الى بلاد أخرى فحملوا معهم بشرى الخـلاص ونقلوا معهم الدررالجميلة الكتابية والجواهر الدينية الثمينة فزينوا بها البلاد التى نزحوا اليها والارض التى وطئوها .

٢ - العلم والاكتشافات . قد لقى الكتاب المقدس اعتراضات جمة من الكفرة والملحدين ، ومن ازدياد رغبتهم فى تكذيب اقواله بحثوا فى الآثارالقديمة بغية ان يجدوا فيها شيئا مسطوراً يسفه اقوال الوحى لكن الله احبط مسعاهم فطاش سهمهم وخاب ظنهم وجاءت الرياح بما لا تشتهى السفن كانوا كالباحث عن حتفه بظلفه . فالوسائط التى استعملوها للتشنيع بالكتاب المقدس كان يحولها الله ويجعلها سببا فى انتشاره ، فالسنة تلك العاديات التى اكتشفت اعربت عن موافقة تامة لما جاء فى اسفار الوحى فخرجت من بطونها الارض وهى صارخة بصوت جهورى موضحة صدق الكتاب ولقد صدق من قال :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

سهر العلم اناء الليل واطراف النهار وارسل ابناءه الفطاحل وانصاره الاماثل الى مصر وسوريا واشور وبابل ونينوى وغيرهما من الأماكن كى يفتشوا على الآثار

والاحجار والبردى والموميات لا لأقادمة الدليل على صحة الكتاب الالهى بل ليجدوا فيها شيئا يباين التعاليم المسيحية المدونة فى الكتاب فارسل العلم إبنه شامبوليون عالم الآثار وسلمه رشيد كي يحل الكتابة الهيروغليفية والنقوش المصرية التى تثبت صحة الكتاب المقدس .

وان العلم ليستحق مزيد من الشكر وجزيل الثناء لانه لم يكتف بذلك بل أرسل كثيرين من المكتشفين وعلماء الآثار الى بلدان عديدة فوجدوا احجاراً وصخوراً وأعمدة وتوابيت هياكل وأوراقاً خارجة من بطن الارض صارخة بصوت جهورى رن صداه فى الآفاق وبلغ السبع الطباق ولسان حالها يقول " ان الكتاب المقدس حق وأن الدين الموضح فيه صادق " فصارت هذه الآثار والاكتشافات خادما ونصيراً امينا للدين المسيحى وكتابه المقدس . ولولا ان بعض الافاضل سبقونا الى ذكر هذه الآثار وتطبيقها على حقائق الكتاب لكنا قد زينا كتابنا بذكرها ولكننا نقتصر على تتويج هامة اقوالنا بذكر كتابة وجدت على لوح اكتشـــف سنة ١٢٨٠م بمدينة اكويلا من اعمال نابولى ويتضمن " حكم بيلاطس البنطى والى ولاية الجليل على يســوع الناصرى " وهو يحتوى على آراء الذين تشــاوروا علــى الســيد فى مجلس الشــورى وصــورة خـطاب مرسل الى محفل قيصر رومية .

اما الذين تشاوروا عليه فعددهم واحد وعشرون . ستة كانوا يرغبون فى عدم محاكمته منهم بيلاطس ونيقوديموس ويوسف الرامى . والباقون بعضهم كانوا يريدون تأديبه واطلاقه وبعضهم كانوا يودون حياته من الدنيا حسب قول بعضهم ومنهم قيافا رئيس الكهنة . اما نص الخطاب المرسل الى قيصر رومية فهاك هو :

" قد ظهر فى هذا الزمان رجل لم يزل عائشا الى الآن . رجل فيه تقوى عظيمة يدعوه الناس نبيا عظيما ويسميه التلاميذ ابن الله واسمه يسوع المسيح فهو يحيى الموتى ويبرىء المرض من كل انواع الامراض وهو رجل معتدل القامة وعلى سحنته لوائح الحنو وشدة العزم بحيث ان من يراه يحبه ويخافه ويرهبه. شعره بلون الخمر من عند اطرافه ذو لون ذهبى من نحو اصوله . مستقيم بلا لمعان غير انه مجعد على

مساواة الاذنين . لماع . مستقيم فى النصف كعادة النصارى اهل الناصرة وجبهته مستوية ملساء . وجهه بلا عيب محمر قليلا . سحنته فيها امارات الحنو . لا عيب فى انفه . ولا فى فمه .وله لحيه تامة لونها بلون شعره متشعبة شعبتين .عيناه زرقاوان لماعتان .مهوب اذا وبخ أحدا وانتهزه. غيره انه فى الارشاد والتعليم لطيف اللسان .لم يره احد يضحك غير ان كثيرين رأوه يبكى .يداه جميلتان مستقيمتان . بطىء التكلم من غير اكثار منه . وهو اجمل من اكثرية الناس " .

فأهل الكتاب مديونون بالشكر لاولئك الذين بذلوا قصارى مجهوداتهم فى البحث عن الآثار على أمل وجود شىء فيها يكذب الكتاب ، فالآثار قد زودت معلوماتنا التاريخية ورقتها وصححتها زيادة عن معلومات الذين سبقونا . قال بتسن " يتضح من مرور السـنين ان اشـراق نور العلم لا يكسـف حق الكتاب بل بالحرى يقودنا باكتشافاته بفهم اقواله المقدسـة ويزيدنا تعلقا باحترامه أمام كثيرين من قراء الكتـاب المقدس بما اكتشف فى الخرائب والاطلال بحيث يصح القول " ان سكت الناس فالحجـارة تصرخ " لو ١٩ : ٤٠ " .

٣ - العلم والعلماء . واخيراً نذكر خدمة العلماء والفلاسـفة والملحدين للكتاب المقدس ودينه المسـيحى . أجل . هم خدموه خدمة جليلة بينما هم يظنون انهم يعاكسونه حتى صارت دار فولتير الذى أنبأ بسقوطه محطا لرحال توزيعه ومقرا لطبعه وانتشاره . صـوبوا سهام انتقاداتهم ضده وسلقوه بألسنة حداد ولكنهم رجعوا خاسرين وارتدوا على اعقابهم نادمين فكانت اعمالهم مفيدة للدين المسـيحى وللكتاب المقدس ولنضرب لك مثلا بذلك ..

قد هزأ الكفرة بما جاء فى الكتاب عن يونان وحوته وما ورد عن ابتلاعه له وبقائه فى جوفه ثلاثة أيام وقالوا : مما لا خوف فيه ان بلعوم الحوت الذى لا يزيد عن قبضة الرجل لايسع مرور جسم انسان ، ولكن لو دقق الهازئون النظر وراجعوا ما يرويه الصيادون عن انواع السمك الهائلة التى يجدونها فى البحار المتسعة لما وجدوا غرابة فى حادثة يونان . ومما يوضح ذلك قول القبطان كنغ " أنه مسك مرة وحشا بحريا يسهل عليه جدا ان يبتلع انسانا " ويقول القبطان هول " أنه وجد فى جوف وحش آخر

جلد جاموسة برية باكمله مع جملة اشياء اخرى " وقال القبطان روس " انهم وجدوا فى بطن الوحش جثه انسان بسلاحه " ولا يخفى ان هذا الوحش يقطن البحر الابيض المتوسط وهو البحر الذى طرح فيه يونان .

أما كيف بقي يونان سالما فى بطن الحوت فليس بالامر الغريب ، فقد قال داروِن العلامة " لقد سمعت من الدكتور ألن انه شاهد قنفذاً حيا ممتداً فى جوف الوحش البرى " وروت جريدة فرنسية تحت عنوان " يونان الثانى " حادثة خلاصتها ان جمس بارتلى أحد رؤساء قوارب الصيد فى اسكتلندا بينما كان يصيد فى البحر رأى الرقيب على أعلى السارى حوتا عظيما يخترق عباب اليم حتى وصل بقرب القارب فاستعد البحارة لمقاتلته فضربوه بقنبلة اصابته فتحولت مياه البحر الى دم فهاج الحوت واقدم على القارب ومزقه بين شدقيه فسبح الصيادون فى البحر أما جمس بارتلى فانه ارتفع الى فوق وسقط فى فم الحوت . ومن تاثير القنبلة مات الحوت فأخذه البحارة وقطعوه فوجدوا جمس بارتلى فيه حيا بعد مكثه ٣٦ ساعة فى جوفه " فتأمل ايها القارىء وقس على ذلك بقية اعتراضاتهم على الطوفان وهلاك سدوم وغيرهما .

وفى مجـــلة "الكرمة " سنة ٣ ص ٣٨ – ٤٤ بعض اقوال العلماء عن الكتاب آثرنا ذكرها للمناســـبة . قال يوحنا ادمس الاول رئيس الولايات المتحـــدة سنة ١٧٩٧ " اننى فحصت الكتب كثيرا كما تســمح لى دائرتى الضيقة وكانت النتيجة ان الكتـــاب المقدس هو افضـــل كتاب فى العالم فانه يحوى من فلسفتى القليلة اكثر من جميع الكتب التى رأيتهـــا " .

وقال العلامة توما كركيل سنة ١٨٤٠ " يا له من كتاب شريف هو كتاب لجميع الناس . فانه هو اول واقدم شرح تلك المسألة غير المحدودة وهى نصيب الانسان وتصرفاته الله معه فى هذا العالم وكل ذلك فى ملح حرة ذات طلاوة فائقة فى اخلاصها وبساطتها وحلاوة الحانها وسمو تطبيقها " .

وقال السيد وليم جونز القاضى الانجليزى سنة ١٧٩٤ " اننى قرأت الكتاب قانونيا وأنتباه وأنا الآن بهذا الرأى ان هذا الكتاب بدون نظر الى اصله الالهى يحوى بلاغة وجمالا فائقا وآدابا نقية وتواريخ مهمة وارق أساليب الشعر والفصاحة اكثر مما يمكن أن يجمــع فى باقى الكتب جميعها "

وقال كارلس الوزير الأمريكى " لى رجاء قوى أن يوم الرب يقدس وكلمته تدرس فى كل أقطار هذه البلاد إلى أن يشعر ويعرف جميع الشعب الالتزام بها " .

وقال وبستز الخطيب الشهير "قد قرأت الكتاب كله عدة مرات وأما الآن فاقرأه كل سنة مرة فانه أفضل كتاب للمتشرعين كما للاهوتيين وأنا أشفق على الانسان الذى لا يجد فيه غذاء لأفكاره وقوانينا لسيرته "

وقال إسحق نيوتن رئيس الفلاسفة سنة ١٧٠٠ "أننا نحسب كتاب الله أبلغ فلسفة فاننى أجد فيه علامات أثبت على صدقه مما فى أى تاريخ غيره " .

وقال كول رج الشاعر الانكليزى " أنا أعلم أن التوراة موحى بها لانها تبلغ إلى أعماق طبيعتى البشرية أكثر من أى كتاب آخر " .

وقال ثولوك اللاهوتى الجرمانى " أن السبب الذى لأجله نرى فى التوارة أماكن عديدة مظلمة هو بالأكثر وجود أماكن عديدة مظلمة فى قلوبنا فان من طبيعة هذا الكتاب كونه كتب لاجل جميع الناس فى كل زمان ولجميع اختبارات كل قلب بشرى بمفرده "

وقال نابوليون الكبير " أن الانجيل أكثر من كتاب هو ذو حياة وعمل وقوة تصادم كل شىء يقاوم امتداده . أنظر ها هو على هذه الطاولة فان هذا الكتاب يفوق الجميع . أنى لا أهمل قراءته وكل يوم أقرأه بلذة جديدة " .

وقال غوطى الشاعر المشهور " ليتقدم العالم كما يريد ولترتق فروع البحث البشرى إلى منتهاها فليس منها ما يقوم مقام الكتاب المقدس الذى هو أساس كل تهذيب ومصدر كل ارتقاء " .

وقال العلامة سلدن وهو على حافة الموت " ليس كتاب فى الوجود ترتاح اليه نفوسنا عند الموت إلا الكتاب المقدس " .

وقال العلامة فرود وهو غير مسيحى " لو فهم الكتاب على صحته لكان علم آداب قائم بذاته فهو أسمى ما كتب ومن أوفر دوائر الفكر والتصور مادة واغزرها نفعا " .

وكان كولنس الشاعر الانكليزى فى أواخر حياته لا يسافر إلا ومعه الكتاب ، ولما زاره الدكتور جونسن وسأله عن الكتاب الذى بيده أجابه " ليس معى إلاكتاب واحد لكنه أفضل جميع الكتب "

وقال جان جاك روسو " انى اعترف بأن عظمة الكتاب المقدس تدهشنى كثيرا كما ان طهارة الانجيل تؤثر على نفسى " .

وقال الفيلسوف باكون " ان خلائقك يا إلهى كانت كتابا لى ولكن كتابك فاقها جميعها " .

هذه هى أقوال مشاهير الرجال واعاظم الفلاسفة وجميعهم متفق على تعظيم الكتاب واظهار فضله فسبحان من بيده دفة الكون يديرها كيف يشاء ، يستخدم العلم والفلسفة والكفرة والتاريخ والصخور والجبال لتأييد اقواله وتشييد دعائم رسائله ويجعل كافة العناصر الطبيعية تشهد بذلك . فما اعظمه وما أجله كتاب !!

الفصل الرابع

ثبات الكتاب

" ولكن أساس الله الراسخ قد ثبت إذ له هذا الختم " ٢ تى ٢ : ١٩

يعجبنى ما استهل به بعضهم الكلام عن الكتاب المقدس إذ قال : كل جديد تمر عليه الأيام فتعتقه والأيام فتمزقه والأسابيع فتهشمه والشهور فتشوهه والأعوام فترققه حتى إذا ما حال الحول أعدمه رونقه وأذهبه بهاؤه ثم دارت عليه رحى السنون فابلته وصيرته أثراً بعد عين مقبوراً فى مدافن النسيان . إلا شيء واحد قديم ولكنه دائما جديد مرت عليه الايام وكرت عليه الاعوام مئات رألوفا وهو هو لا تغيير فيه ولا تبديل كأن ليس للمؤثرات الطبيعية عمل فيه ولا لتقلبات الدهر سلطان عليه . ذلك هو الكتاب المقدس . وكأنى به اسمعه من عصر الى آخر يقول :

وقدم الزمان صبوتى تتجـــــدد	فكأنى فى كل عصــــر اولد
شيخا أرى بين الشيوخ وأمرداً	فى المرد ما شاب منه الامرد

دور يمضى ودور يجىء أما كلمة الله فتبقى إلى الأبد . نمسك الكتاب بأيدينا فنرى كتابا قديما جديداً. نراه كتابا مرت عليه القرون الكثيرة فزادته حياة وما هذا إلا لان شخصا عجيبا يتمشى فى فسحات صحائفه ، وإن دما نقيا يجرى فى شراين كلماته وهذا هو سر قوته الحية العجيبة وأعماله الدائمة الغريبة " .

هذا هو رأى بعضهم فى كتاب الله ولقد أصاب كل الاصابة لانه لم تقدر أية قوةبشرية أن تسقطه أو تهلكه مهما كانت هذه القوة .تفتت كل قوات الشر فى مقاومة حق كلمة المسيح ولم يشرع الرسل فى إذاعتها حتى قاومتهم كل فرائض الامم

وعوائدهم وطباعهم وأغراضهم . وأما الذين قاوموه على الأخص فهم قوتان عظيمتان :

أولا – مضادة قوات العالم .فقد اتحدت كل قوات العالم وقاومت الحق قاصده تقويض أركانه ، وتجند اعداء كنيسة المسيح راغبين استئصالها من الوجود فاضطهدوا المسيحيين فى الأعصر وأذاقوهم أشنع ضروب العذاب المريعة التى تقشعر من ذكرها الأبدان . فاحرقوا البعض من المسيحيين بلظى النيران ليكونوا مصابيح فى الظلمة ، وعلقوا البعض منهم على الصلبان وألبسوا كثيرين منهم جلود الوحوش وأخرجوهم للفرجة ثم قدموهم للأسود فمزقتهم ، وكم قتلوا الكثيرين بطرق متنوعة واستعملوا الآلات الحادة لتهشيم اعضائهم وسحق عظامهم وأوقدوا الحديد بسعير النيران الملتهبة وأجلسوا بعض المسيحيين عليه حتى ذابت لحومهم . وتجرع المؤمنون من الآلام المرة فى تلك الأزمان ما يشيب لهولها الولدان إذ اتحد عليهم الولاة الرومانيون مع الشعوب الوثنيين لغرض واحد وهو استئصال دين المسيح واستعملوا كل قوة بشرية فى تعذيب المسيحيين وقتلهم حتى إنه فى وقت وجيز جداً كثر عدد الذين استشهدوا . وقد أخبر مؤرخو ذلك العصر أن الجوع أو الحرب أو الوبأ لم يهلك فى عصر ما أكثر منهم . قال كبريانوس " وكانوا وهم فى العذاب أشد وأقوى من معذبيهم وكانت أعضاؤهم المرضضه وعظامهم المهشمة قاسية على الآلات التى تسحقها وتقطع لحومها ، والجلدات المتواصلة لم تقوعلى إيمانهم المنيع مع أنها كانت تقطع لحومهم أربا وتمزق أمعائهم أيضا" . هذا ما قرره بعض الذين استمروا يكابدون ذلك إلى نهاية الحياة .

ثانيا – مقاومة الأضاليل والهرطقات . وقد اشتركت هذه أيضا مع القوات السالفة فى مقاومة حق كلمة الله فهجمت عليها الأضاليل المتنوعة والهرطقات الفاسدة محاولة ملاشاتها ونبغ كثيرون من العلماء والفلاسفة يرشقون الحق بسهامهم الكفرية بقصد إبادة الحق من العالم وقد جاهروا بعداوتهم للدين فى كل أين وأن واضطهدوه ما أمكنهم حتى أنهم كثيراًما كانوا يتفوهون بالقول إن كتاب الله انخذل . وأن الديانة المسيحية آخذة فى الضعف والاضمحلال .

ولكن تأمل معى أيها القارىء العزيز فى ماذا كانت نتيجة كل تلك المقاومات . أنها لم تكن إلا لتزيد الكتاب اعتباراً وديانته اتباعا وهكذا نرى أن الكتاب وديانته نجحا رغماعن كل القوات العالمية التى ضادتهما وتقدم الكتاب وامتد إلى كل العالم وارتقى إلى مدارس المقاومين له وصير حكمتهم جهالة وبكت عجبهم وأنب مدعياتهم بأنهم بمقاومتهم يستأصلون الدين ويجعلونه نسيا منسيا . فهو الذى قارع كتبهم وأضاليلهم فاسكنها فى قبورهاجثثا هامدة لا حياة فيها وبرز فطرحت فى دار الآثار كغيرها من العاديات التى أخنى عليها الدهر وثبت هو يباهى بسموه ويفاخر مقاوميه دون أن تخمد فيه قوة أو يغمض له جفن . يطلب مباراة العالم له إذا استطاع العالم لذلك سبيلا متخذاً أسمى مقام بين أهل الرأى الصائب ثابتا لا يتزعزع مع تغيير الأفكار وتقلب الآراء . جديداً لا يبلى . وحيا لا يفنى انتصرعلى الملوك وبارز اضاليل الذين جاءوا ينازلونه بعلم الهيئة ثم بعلم طبقات الأرض ثم بالتواريخ الصينية والهندية ثم بالترقى ومذهب النشوء الكفرى والانتخاب الطبيعى وما اشبه .

زعموا أنهم بذلك يهلكون الدين لا محالة ، وأن من يأتون بعدهم لا يعتبرون الدين سوى حديث خرافة . أنبأ فولتير فى جيله أنباء اليقين أن الديانة المسيحية تنقرض فى ٢٥ سنة وزعم أن تصانيفه وتصانيف أعوانه كفؤ لملاشاة تلك الديانة . ومر الآن على أنباءه ما ينيف على المئة سنة وقد مات فولتير واتهرأ لحمه والكتاب المقدس سائر فى نفس فرنسا سير الشمس فى الآفاق وكثرت نسخه فى جميع أنحائها . واذا سألت باعة الكتب فيها أجابوك أن مؤلفات فولتير التى كانت شهيرة أمست فى كساد وليس من يشتريها أو، يسأل عنها .

ولا جرام أنه قد اتحدت على مقاومة الحق الالهى كل قوات العالم والجحيم إذ تألب على معارضته جمهور الشعب والعلماء والكفرة وسلطان الحكم المدنى قاصدين تقويض أركانه فلم يستطيعوا ذلك بل نرى ان ذلك الحق المعلن فى كلمة الله قد رسخ كاملا وثبت عاملا فى الكنيسه المسيحية واستمرلامعا بنوره الساطع وممتدا إلى كل أقطار العالم . حقا انه لامر عجيب . والأعجب والأغرب إذ تأملت فى المصدر الذى به ثبت هذا الأساس ويتضح لك ذلك من النظر إلى :

١ – من فوض لهم بناء هذا الأساس . فمن هم الذين أرسلوا ليكرزوا بحق الأنجيل للخليقة كلها ويتلمذوا جميع الأمم ؟ هم نفر قليل بدون أهلية لذلك العمل الخطير لأنهم لم يكونوا فلاسفة ولا حكماء ولا علماء ولا خطباء ولا قوة لهم ولا شهرة ولا صولة بل هم من قبيلة من البشر مدعوة عند أكثر الناس يهوديةومزدرى بها وكانوا فقراء ضعفاء مهانين ولم يكونوا يعرفون من الحرف العالمية سوى جباية العشور وصيد الأسماك ! !

٢ – صفات العصر الذى تنتشر فيه حق تعليم المسيح فمجرد النظر اليه يتضح أن ثبوت الحق فيه كان بقوة الله وذلك مثبت من جميع التواريخ وفى رسالة بولس الرسول إلى أهل روميةترى رسم ما كان مستوليا على جميع شعوب الأمم قاطبة فى عصرهذا الرسول من الأميال الشديدة إلى اللإنحطاط الأدبى (راجع رو ١ : ٢٩ – ٣٢) .

٣ – أن طبيعة تعليم الانجيل نفسها لم تكن مناسبة لأغراء الناس بل كانت منافية لطبيعتهم الفاسدة فقبولهم لها دليل راهن على أنها من الله .

وقد قلنافى كتابنا " القول الأنفس عن ثبات الكتاب المقدس " ص ٢ ما نصه " لم يوجد كتاب فى العالم طرأت عليه المقاومة التى طرأت على الكتاب المقدس فقد كان عرضة للاضطهاد وغرضا لسهام التنديد والانتقاد فقام عليه الملوك والولاة واجتهدوا فى ملاشاته فانه فى مدة ٣٠٠ سنة بعد صعود المسيح اجتهد القياصرة الرومانيون فى ملاشاته وأثاروا جملة اضطهادات طويلة ضده وضد تابعيه دام بعضها عشر سنوات متواصلة استعملت فيها الحكومة الرومانيةكل قوتها فى ملاشاته .

وفى ذات يوم سيق مسيحى إلى الموت فقال له الجندى المكلف بحراسته " يا صاحب ما أهون تخليص حياتك . لماذا لا تبطل قراءة ذلك الكتاب الذى منعك الامبراطور عن قراءته فلا تمسى فريسة الاسود ؟ فاجاب " لا إقدر أن أترك كتابى لانى مسيحى وفيه الحيوةالابدية ولا أتركه سواء عرضت على الاسد أو لم أعرض " .

وجرب القياصرة الرومان كل طريقة لملاشاته فظن ديوكلتيان أنه لاشاه إذ قتل كثيرين من المسيحيين ولاشى كتبا كثيرة ، ولان محبى الكتاب أخفوا نواتهم برهة فظن أنه قطعهم وافتخر بذلك ، ولكن لو قام ذلك الامبراطور اليوم ورأى كتاب الله متداولاً بين كل أمم العالم والديانة المسيحيه آخذة فى النجاح فماذا يقول عن الكتاب الذى ظن أنه لاشاه وعن الديانة التى توهم أنه قطعها ؟ "

ولا غرو فإن ثبات الكتاب المقدس وديانته فى مراحل تتقد حقدا وغيظا عليهما أمرعجيب لان الكتاب لم يكن معضدا من واحد ومقاوما من الآخر بل الكل أجمعوا على ملاشاته ولم يكن من يحامى عنه إلا قوم لا ذكرلهم ولا اعتبر كما مر بك وقد ولد المسيح وعاش ولم يؤلف مملكة ويحشد جنودا أو يعبىء عساكر تدافع عن دينه الجديد ولكنه لم يترك إلا تلاميذ لا صولةلهم ولا قوة ولم يترك لهم الا سيرة محبته التى أشعلت فى قلوبهم محبة لم يقدر اعداؤهم بمرارة قلوبهم أن يطفئوا حرارة محبتهم المتأججة له . وعندما خرجوا الى العالم لم يكن عندهم سوى محبتهم له التى كانت كنزهم الوحيد الذى لا ينفذ ولكن قد مضى عشرون جيلا هلكت فيها النسور الرومانية ولكن اشعة الصليب لاتزال تضىء من اعالى قباب الكنائس العديدة فى انحاء العالم وصارت المملكة المسيحية الآن تنيف عن اضعاف المملكة الرومانية .

فتلك العين الساهرة التى كانت ترمق الكتاب بقوة قاهرة كانت تحول كل مقاومة له الى تقدمه وكل واسطة يستعملها الناس لملاشاة الكتاب كانت تؤول الى انتشاره . وأذكر امراً عجيبا له علاقة بنشرالكتاب المقدس وذلك انه من مدة قام كافر مشهور يدعى فولتيراحتقر الكتاب وقاوم انتشاره واسس مطبعة لهذه الغاية وطفق يطبع مقالات ضد الكتاب وافتخر قائلا " لابد لى ان الاشى ديانة يسوع قبل ان اموت وامنع الناس من قراءة الكتاب المقدس " ولكن ماذا حدث ؟بعد قليل مات فولتيير هذا اشنع ميتة وظل الكتاب آخذاً مجراه فى العالم اكثر فاكثر. والأغرب من ذلك انه بعد موت فولتير وقعت المطبعة التى طبع فيها تلك المقالات فى ايدى انصار الكتاب فاستعملوها لاجل طبعه ونشره ! !

قال بعض المسيحيين تحت عنوان :

(الكتاب الذى لا يتلاشى)

" حاول الكفرة منذ القديم ملاشاة الكتاب والمسيحية ولكنهم لم يفلحوا فليتركوه وشأنه ليريحوا انفسهم من هذا الجهاد الشاق وليذهبوا الى سبيلهم ويجدوا كتابا آخر

ان استطاعوا ان يجدوا كتابا افضل عن ديانة ابهى نورها من هذا النور الذى فيه "

ان البشر اذا ارادوا ابادة كتاب عالمى يعملون ذلك بلا عناء شديد اما كتابنا هذا فقد اعترضته عقبات كثيرة ومقاومات شديدة فى كل جيل وكانوا يقتلون من يطالعه ويحرقون نسخه ولكنهم رجعوا خاسرين فانه ترجم الآن الى اكثر من ٥٠٠ لغة فمثله العليقة التى رآها موسى والنار تلتهب فيها ولكنها لم تحترق . الكتاب فى هذا الصدد كما قال الدكتور ارثر بيرسون فى كتابه " حجج لا تدحر " كخشبة مسدسة كلمااجتهد الناس ان يطرحوها لا تعدم جنبا ترتكز عليه . هكذا كلما اجتهدالاعداء ان يطرحوا الكتاب يأتى بالخلاص لمن يطرح عليهم "

مضى على الكتاب الوف من السنين وقام ضده الوف من الكفرة والملحدين والمعطلين وهو لم يزدد الا رسوخا وانتشاراً وتأثيراً فى العالم اجمع ولم يستطع اى معارض الى يومنا الحاضران يثبت ضده تهمة تقدح فى صفة تنزيله وتلقى شبهة على ما جاء فيه مع مايتمشدق به البعض من قضية التحريف فانهم للآن لم يستطيعوا ان يأتوا ببرهان قاطع يؤيد دعواهم ولا تزال خباياالارض وكنوز الآثار تنادى كل يوم بصحة جميع ما جا ء فيه من الأخبار وكيفما قلبته عواصف الزمان وادارته فلا تراه الا كعمود الحق طرفه الواحد فى السماء والآخر فى الأرض لا يستطاع تحويلهما الى جهة اخرى ..

لقد حرم ان ينادى بالكلمة فى شوارع فلسطين ولكن من العجب انها قد وصلت الى بيت قيصر وامتدت الى قصر الامبراطور فبينما كان بولس مغلولا بسلاسل الاسر فى رومية نرى كلمة الله يكرز بها بكل مجاهرة بلا مانع (١ ع ٢٨ : ٣١) ..

ظن اليهود انها تدفن فى أورشليم او تموت بجوار الجلجثة ولكن قد وصلت الى رومية ومكدونية والى اسيا وجنوب افريقيا والجزائر . ابحث عنها فى الهند والصين واليابان تجد اصولها هناك آخذة فى النمو والارتفاع (فى ١ : ١٣)

قال نيرون " هذا التعليم لا يدخل بلادى " قال يسوع لابد ان يكرز بهذه البشارة لكل لمسكونة قال دينثيوس " فلتمت المسيحية فلتهلك النصرانية فليبطل التبشير بها " قال يسوع " السماء والارض تزولان ولكن كلامى لا يزول" قال ديغلا الطاغية " يجب ان

تهدم جميع الكنائس " قال يسوع " وعلى هذه الصخرة ابنى كنيستى " فماذا يعمل الملوك والفلاسفة ان كان الكلام كلام يسوع ؟ فلا ينفك يبشر رغم هزء الفلاسفة وزئير الشياطين وانف المعاندين . نعم انهم اضطهدوا كنيسة الله مراراً ولكنهم لم يمكنهم ملاشاتها . وقد تسنى لهم ان يعذبوا شهداء الله القديسين لكن لم يمكنهم ان يطفئوا نور الانجيل ويبطلوا تأثير كلمة الله .

ومما يدعونا الى الغرابة والعجب اكثر اذا تتبعنا الاحصائيات العديدة فنجدها تدل على أن المسيحية قد نجحت نجاحا عظيما مع ما ذكر من المقاومة . جاء فى مجلة الهدى سنة ٥ عدد ٤٨ تحت عنوان" نجاح المسيحية " " لا ننسى أن المسيحية لم يؤخرها اضطهاد ولا حرب فى كل ادوار تاريخها منذ ايام أبن الأنسان عى الارض الى يومنا الحاضر ففى ساعات صلبه وفى ايام الاضطهادات الرومانية المريعة ولا سيما النيرونية وفى الاجيال المظلمة كانت المسيحية تتقدم رغما عن كل هذه الموانع والصعوبات . ألا تعلم ان الكنيسة الأولى قد تأسست فى غرفة صغيرة فى اروشليم حيث بعد الصعود بقليل اجتمع التلاميذ وجماعة المؤمنين وكان عددهم ١٢٠ نفسا (اع ١ : ١٥) ومن هولاء تكونت نواة تلك الهيئة العظيمة السماوية التى سارت على مبدأ الزيادة الفائقة من ذلك الحين الى اليوم ولا تزال حتي الآن تضم الى احضانها المسكونة اجمع ، وقد قام مؤخراً بين رجال العلم فيلسوف مدقق اسمه شارون ترنر وعمل حصاء عن المسيحيين وهو خال من كل غرض سوى ايضاح الحقيقة ولم يستطيع أحد تخطئة احصائيته وهذا نص بعض ما جاءفيها عن تدرج عدد المسيحيين من الجيل الأول فصاعداً :

نفس	الجيل	نفس	الجيل
٥٠٠٠٠	الاول	١٠٠٠٠٠٠٠	الرابع
٢٠٠٠٠٠٠	الثانى	١٥٠٠٠٠٠٠	الخامس
٥٠٠٠٠٠٠	الثالث	٢٠٠٠٠٠٠٠	السادس
٢٤٠٠٠٠٠	السابع	٨٠٠٠٠٠٠٠	الرابع عشر

٣٠٠٠٠٠٠	الثامن	١٠٠٠٠٠٠٠	الخامس عشر
٤٠٠٠٠٠٠	التاسع	١٢٥٠٠٠٠٠	السادس عشر
٥٠٠٠٠٠٠	العاشـر	١٥٥٠٠٠٠٠	السابع عشـر
٨٠٠٠٠٠٠	الثاني عشر	٢٠٠٠٠٠٠٠	الثامن عشـــر
٧٥٠٠٠٠٠	الثالث عشر	٣٥٠٠٠٠٠٠	التاسع عشـــر

ويقال ان عددهم بلغ الآن نيف وخمسمائة مليون فى العالم اجمع ولاتزال المسيحية تضم الى احضانها الالوف العديدة فبماذا تترجم هذه الزيادة أمام الاضطهادات والسيف والنار ؟ "

قال الاسقف جول سنة ١٥٧٠ " المدن تسقط والممالك ترجع الى لا شىء والقوات تضمحل كالدخان . اين تومادتيوس وليكركر ؟ اين كتبهم وماذا حدث لشرائعهم؟ أما كون هذا الكتاب لم يقدر ظالم ان يلاشيه ولا خرافات ان تخنقه ولا هرطقة مضرة ان تفسده وكونه بقى الى هذا اليوم فى وسط انكسار وملاشاة كل ما هو بشرى تغيير جملة واحدة يجعل اختلافا فى التعليم الموجود فيها فبالحقيقة ان فيه عناية فائقة تستدعى اصغائنا على طريقة سامية " وبالحق ان كلمة الله حيةوفعالة وامضى من كل سيف ذى حدين وهى لم تزل الى هذا اليوم قوية فى فعلها كما كانت بالامس فانه قد مضى عليها كل هذه المدة الطويلة وهى تقاوم من ملوك ووزراء وكفـرة وملحـدين وكلهم قد ماتـوا أمـا هى فحيـة الى الابد كمـا قيل" لكن كلمةالله لا تقيد " ٢ تى٢ : ٩ .

اضطهد المنادون بها ومزقت اجسادهم باسنان الوحوش واحرقت اجسامهم بلهيب النار وذريت فى الهواء وقيدوا فى سلاسل من فولاذ لكن كلمة اللة لم تمت ولم تعدم من يحامى عنها وأن سكتت اصوات الخطباءوانقطعت ألسنة المنادين بها لابد ان تقوم هى وتتكلم عن نفسها . ربما يحرق كل كتاب لها ولكن كلمة الله لا تحرق . قد حدث مراراً عديدة احراق الكتاب المقدس بلهيب النار وطرح رماده فى قاع البحار حتى لا يرجع مرة ثانية ولكن هذا الرماد المقدس قد سار الى شواطىء البحار وهناك نبت وصار أشجاراً كبيره تستظل تحتها الالوف المؤلفه من البشر ، وما أجمل قول بعضهم فى ذلك " ان كان انجيلنا من الناس يغلب ويبطل فليغلب وليبطل وليمت غير مأسوف عليه ولكن ان كان من الله فهو لا يغلب وويل لمن يحاربونه "

الفصل الخامس

تأثير الكتاب

" هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى لا ترجع الى فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح فى ما ارسلتها له " (اش ٥٥ : ١١)

كل من له المام بوقائع التاريخ لا يرتاب فى ان الكتاب المقدس قد احدث تأثيراً عظيما فى العالم لانه حيث تغلب وقبل باعتبار عظيم ورسخت تعاليمه بايمان وطيد وامتثلت اوامره افاد الهيئة الاجتماعية ورفع شأنها وجعل احوال البشر افضل مما كانت عليه قبل دخوله بينهم . وكل من قبله من الشعوب والامم وجعله اساسا لشرائعه ومرشداً لآرائه فيما يختص بالأدب والدين فقد ارتقى الى اسمى درجة فى التمدن الحقيقى وفاز باسمى الفضائل التى يمكن ان تصل اليها الطبيعة البشرية . ظهر حالا تأثير الديانة المسيحية بين الامم القديمة فى بلاد اليونان كان ليكورغوس وصولون قد اباحا اشنع الرذائل فشاعت الرذائل الفظيعة بين الرومانيين وكانت تمدح جهاراً فى رومية وكان الانتحار شائعا وممدوحا عند كثير من الامم القديمة وقد ابيح بينهم ايضا تقديم الذبائح البشرية فى تأدية العبادة الوثنية . واينما دخل الانجيل وحان القبول لدى اى شعب قاوم تلك العوائد الرديئة ولاشاها . والامر واضح ان ابادة تلك العادات لم تكن لتنسب الى التمدن لانها كانت شائعة بين امم فاقت المسيحيين فى التهذيب وانما كان اضمحلالها من فعل الانجيل لا من فعل العلم .

وليس فى الكتب الدينية والأدبية والعلميه التى فى العالم ما يبعث على أحياء العواطف الميتة ويخلق التأثير العجيب فى الضمائر النائمه سوى الكتاب المقدس فان كلمة واحدة منه تفعل ما لا تفعله السيوف البتارة ولا تقدر عليه صولة الجبابرة فانه يفتت

صلد الصخورالقلبية ويحول الذئب الضارى إلى خروف وديع وينهض بالناس من سنة النوم إلى طلب المغفرة ونيل الخلاص المجانى .

توجد لدينا من الكتب العلمية والأدبية والفلسفية ألوف لكثير من العلماء والحكماء والفلاسفة ولكن هذه جميعها لا يقابل تأثيرها بتأثير الكتاب المقدس الذى هو أفخر نعمة وأسمى عطية قد منحها الله لنا ، وأفضل الكتب ينحط إذا قوبل بالكتاب المقدس فى أمور الدين والآداب والتاريخ وحسن التأليف وسموه

ذلك الكتاب الذى أثر على الأخلاق والقلوب وغير أكبر الأمم وأعظم الشعوب ونقلها من أخلاق الوحوش الضارية والأسود الكاسرة إلى الرفق واللين بل من الهمجية إلى المدنيه ومن التوحش الى الإنسانية . من الغباوة والجهل الى النور والفهم . من أكل أموال الأيتام والأرامل وهضم حقوق المساكين إلى مساعدة الأقوياء للضعفاء والأغنياء للفقراء . من عبادة الأصنام والحيوانات إلى عبادة خالق الأرض والسموات . انه هو الكتاب الذى هيأ للإنسان الوسائط الكافية لإنتشاله من وهدة الهلاك وظلام البصيرة كما قال المرتل " سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي " (مز ١١٩ : ١٠٥) .

فالوحى الالهى كالسراج الوهاج الذى يستضىء به الانسان فى دياجير الظلام أو كالنجم القطبى للسفن البحرية تهتدى به إلى سواء السبيل والدليل الأمين إلى طريق الحق والحياة . للمريض دواء للحزين سلوان للنفس . للفقير غنى عظيم . منه أينعت الصخرة الصماء أزهارها وأخرجت برية هذا العالم المقفرة أثمارها المقدسة . به كثير الاجتهاد والذكاء وشدت المدارس والكنائس والمستشفيات والجمعيات الخيرية والتبشيرية وتقدمت العلوم والمعارف ولا ريب . بأن أية دولة تضعه فى مقدمة كتبها تصير فى مقدمة الدول . وللكتاب المقدس الفضل الاول فى ارتقاء العالم فهو الذى بعث فيه الرقى الصحيح وشهدت بذلك الملكة فكتوريا عندما أتى اليها سفير أمير أفريقياأرسله مولاه ليعلم ســـر القوة الانكليزية إذ قالت لوزيرها " قل للامير إن هذا (وأشارت إلى نسخة من الكتاب) هو سر عظمةإنكلترا "

زعم المعطلون أن الكتاب ثقل على عاتق الانسانية وهو معوق لامتداد نطاق المدنية . نقول نعم لو أدرنا لحظنا فى أطراف المعمورة بأسرها لوجدنا أنه لا يمكن وجود مكان آمنا مطمئنا حيث يحترم الآباء أولادهم ويعتنى بالاطفال ويعرف مقام المرأة ويرثى لحال

الفقير ويشفق على البائس المسكين ويعال المقعد العاجز إلا حيث امتدت سطوة الكتاب وسلطانه . قال وليم سيوارد " أنى لا أصدق بان الهيئة الاجتماعية سواء بأفرادها أو جماهيرها العديدة بلغت شأواً لا يطاول فى الرقى والذكاء والفضيلة والامن والحرية والسعادة بدون الكتاب " ألا تعلمون إنه لا يعم الظلم والاستبداد ولا ينتشر عدم اعتبار حرمة الانسانية ولا يكثر المسجونون وتتعدد الجرائم إلا حيث لا يوجد الكتاب ؟ فللكتاب الفضل لانه هو الذى يتغلب على هذه الامور إذا حط رحاله فى مكان .

كان مهراجاه ترافانكور أشهر أمراء الهند العصـريين علما ورصانة وتعقلا ومع أنه لم يقبل المسـيحية دينا له فقد قال قبل موته (من أين يحصل الشـعب الانكليزى على معرفته وفطنته ومهارته وقوته وتفوقه ؟ اليس لانـهم قد حصلوا على ذلك من كتابهم المقـدس ؟ الآن قد جاءوا الينا بهذا الكتاب الذى رقاهم وترجموه إلى لغتنا وقالوا لنا خذوه . وانى مقتنع بأمر واحد وهو انه مهما فعلنا بهذا الكتاب وقاومناه وناقضناه فليكن معلوما لنا علم اليقين أن كتاب المسـيحيين هذا سيعمل على تجديد بلادنا ان عاجـلا أو آجلا) .

وحقا لقد تغلب هذا الكتاب على جميع الموانع التى كانت سداً بين طبقات جميع الشعوب كافتخار البعض واحتقارهم البعض للآخرين فلا فرق فى المسيحية بين شعب وشعب أو جنس وآخر وقول بولس الرسول لأهل غلاطية هو عين الصواب (لأنكم جميعاً أبناء الله بالايمان بالمسيح يسوع لان كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح ليس يهودى ولا يونانى ليس عبد ولا حر ليس ذكر ولا أنثى لانكم جميعا واحد فى المسيح يسوع) (غل ٣ : ٢٦ - ٢٨) قد أزال الكتاب جميع هذه الصعوبات بعكس الاديان الاخرى فاليهودى يكره السامرى والصينى يدعو الاجنبى شيطانا . والرومان واليونان يقسمون الناس إلى متمدينين وبرابرة ويقسمونهم الى مؤمنين وغير مؤمنين وشتان بينهما ولكن ليس كذلك فى المسيحية اذ ليس يهودى ولا يونانى ليس عبد ولا حر ليس ذكر ولا أنثى ، وألا يخالف هذا قول بعضهم (الرجل ليس كالمرأة ؟) هذا الفرق بين الذكر والانثى من عوائد الشرق ولكن ان وجدت بعض هذه العوائد عند بعض المسيحيين فهى ليست من قبيل الانجيل الذى يقول (ليس ذكر أو أنثى فى الرب .

أو ليس الكتاب هو الذى نقل العالم من العبودية الجائرة الى الحرية والمساواة والخاء . ألا ينسب له الفضل فى منع النخاسة (الاتجار بالعبيد) ووقوفه كالسد المنيع ضد من يتجارى على ذلك ؟ فان الانسان خلق حرا بالطبع ولم تطرأ عليه العبودية الا باسباب ضعف لا يتمكن معها أن يعيش كما يهوى ويرغب . يتعدى عليهالقوى إما برجاله أو بماله فيجعله عبد رق ويظل هكذا الى أن يتمكن من تحرير نفسه بأية وسيلة من الوسائل وإلا فيموت فى عبودية ذليلا مهانا مزدرى به يباع بيع السلع وهو لا يدرى ان كان يعيش مرتاحا مع من اشتراه أم يقضى حياته فى نكد وكد . أن البس ببنت شفة قرع بالعصا يقوم ويقعد ولا هم له ال ارضاء مولاه كأنه من الحيوانات العجم وكان لمولاه الحق ليس فى أن يعرضه على المشترى فقط بل ويعذبه عذابا اليما وأن مات فى اثنائه قدمه على رأسه .

انقضى الزمن القديم وبث السيد المسيح تعاليمه الفضلى الجديدة المؤسسة على الحرية ورفع لواء شأن الانسانية فانقذ العبيد الارقاء بواسطة تعاليم الانجيل الصالحة كما مر بنا ولكن اوصت الشريعة المسيحية بان يخضع العبيد لمواليهم خضوعا تاما كما قيل (فانكم انما دعيتم للحرية ايها الاخوة غير انه لا تصيروا الحرية فرصة للجسد بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضا) غل ٥ : ١٣ .

فالعالم مديون للكتاب المقدس الذى انقذه من الانحـطاط والسقوط فتخلصت الامم من هذه العادة كما تخلصت من عادات اخرى كثيرة بواسطة تعاليم الكتاب الخالية من كل شائبة الا ان الذين لم يجعلـوه قاعدة سلوكـهم مـازالت عندهـم هذه العـادة كما بقيت العادة الاخرى القبيحة فانه حيث لا يطالع الكتاب تكون الآداب فى انحطاط فقد ارتقت مصر واليونان والرومان قديما فى الفصاحة والشعر والعلوم والفنون ارتقاء غريبا ولكنها سقطت بعد حين لان ارتقائـها الأدبى لم يكن كارتقائها العلمى لعدم معرفتها الكتاب ومطالعته .

لقد كانت فرنسا في الجيل الماضي مشكاة العلوم والفنون لا بل مركز شمسها بالاجماع ولكنها لما رفضت تعاليم الكتاب ونبذت كل تكليف ديني وانكرت صحة الكتاب وزعمت الآداب الالهية اوهام خرافية واعتمدت على ما عندما من العلوم والمعارف حصدت ثمرة زرعها اذ جاء عليها وقت كانت فيه اشبه بمجزرة منها بحكومة وفسدت اخلاق اهلها وعمت الاباحية والفوضى انحاءها وما لازم ذلك من شر وسوء آداب . وفي ايامنا هذه لا يوجد ارتقاء ادبي حينما يوجد الارتقاء الديني ولقد صدق القول تضلون اذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله " (مت٢٢: ٢٩)

ارسل نسخة من الكتاب الى امة متوحشة وتعال إليها بعد خمسين سنة تجدها امة راقية سائرة في سبيل التقدم النجاح وبعكس ذلك الامة البعيدة عن كلمات الله فانها تنحط في دجى الجهل والفساد . واقوى دليل على ذلك الفرق الشاسع بين الأمم المسيحية والأمم الوثنية فبين ايدينا براهين بارزة منظورة تصرح بما نقول . وقد رأينا مرأى العين اناسا يقولون على رؤوس الملأ عن التغيير العجيب الذى نشأ فيهم بواسطة القراءة . هوذا نسمع انسانا ينادى بملء صوته بلا خجل : " انى كنت سكيراً ومقامراً شريراً غائصا في بحر الضلال وحمأة الأثم والجهالة واهنت الوالدين وضربت الزوجة وتركت الاولاد يتضورون جوعا وصراخهم يملأ الفضاء وكان بيتى مقر الويل والشقاء ومحط رحال الفقر والتعاسة الى ان سمعت الكتاب المقدس فتغيرت اطوارى وتبدلت احوالى وصرت انسانا بعد ان كنت وحشا ، وابنا وابا وزوجا بعد ان كنت عاقا ظلوما لا اعرف من الواجبات شيئا وقد طاب لى العيش وفزت بالراحة العائلية وتوفرت لى اسباب السعادة كما يرام " فهل للمعارضين ان يأتوا بكتاب يفعل هذا التغيير الغريب ويؤثر في نظام البشرية هذا التأثير العجيب ؟ تصوروا ماذا يحصل للعالم لو فقد الكتاب المقدس ؟ وماذا حصل لملكة يهوذا لما فقدته ؟ أو ترى كيف يكون حال العالم لو رفع منه الكتاب أو اقنع الناس كافة بانه ليس بوحى من الله ونزعت من قلوبهم آثار تعاليمه الطاهرة ؟ ألا تعلم ان الفوضى تعم والخراب ينتشر والأرض تصبح جحيما لا يطاق ؟ قال الصدر الأعظم للولايات المتحدة " ان كل رجاء في تقدم البشر متعلق على تأثير التوراة المتزايد "

ومن يتأمل بعين خالية من الغرض يجد ان الكتاب المقدس افاد العالم ادبيا ودينيا ومدنيا . أما افادته للعالم ادبيا فانه من المشاهد ان الشبان فى هذا العصر كثر كرههم للكتاب وسعوا وراء الآداب ولكن هيهات ان يحصلوا على الأدب بدونه . وكثيراً ما حسبوا الكتاب مهينا لشرف الأنسان لأنه وضح شره وفساد قلبه وعدوه اول ما تأباه عقول المتمدنين المستنيرة .

ولكن ماذا حدث ؟ كان الكتاب لجاما لهم يكبح جماحهم عن التوغل فى ادمان المسكرات ورادا لطموحهم وتهافتهم عن الارتطام باوحال المعاصى المتولدة عن تعاطى المخدرات بانواعها وهو الذى اظهر بسلطان رهيب شر آفات الهيئة الادبية الكاذبة وبالايجاز تعجز كل واسطة عن تحسين الآداب وغرس الفضيلة دون هذا الكتاب الذى حوى من وسائط الحث على الحكمة والامانه ما غير ويغير صورة العالم من هيئة انحطاطه فى الآداب الى صورة مجيدة يبلغ صفاء الآداب وكمال الانسانية .

واذا راجعنا تاريخ الجنس البشرى ونظرنا فى احوالهم اجمالا لرأينا من تاثيرها فى الافراد والجماعات ما يجعلها فوق كل كلام فكم هذبت ودربت اقواما وارشدت خطاة وهدت ضالين وجعلت السكير ابيا والزانى عفيفا والشرس لطيفا ورفعت عائلات ونظمت احوال الجماعات ونشرت الوية الحرية والعلوم والآداب السنية والسلام بين الممالك والشعوب وأزالت من المسالك العثرات والرعب وذلك لانها تحكم على العقول والقلوب ؟ وتأثيرها على الخصوص هو خفى فى القلوب مع ما فيها من الجلال الباهر والجمال الساحر ومن الدقة واللطف والبلاغة وهى حية وفعالة وامضى من كل سيف ذى حدين وخارقة الى مفارق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة افكار القلب ونياته .

وهكذا افاد الكتاب المقدس العالم دينيا فقد كان فى العالم من عوامل الانحطاط الدينى والروحى حتى تكدست الشرور أكداسا ولكن بعد قليل امتدت شرارة الكتاب المقدس وصارت لهيبا حيا كما قال النبى " أليست هكذا كلمتى كنار يقـول الرب وكمطـرقة تحطم الصخـر " (ار ٢٣ : ٢٩) فحرقت كل عوامل الفساد واضاءت على العالم اجمع كالكواكب من السماء فرقت بها الديانة وبلغت مبلغا عظيما اثر فى الكون وتحركت له كل ذرة فى الوجود .

اما افادته للعالم مدنيا فهذا امر لا يشك فى صحته فان سليمان الحكيم لما اتبع اوامر الرب بمراعاة الكتب المقدسة وبناء على اعتباره اياه انهالت عليه البركات انهيالا . وانك لتجد ان البلاد التى تحب الكتاب وتعمل بتعليمه احسن نظاما وانعم بالا وارغد عيشا من غيرها . قارن بين امريكا الشمالية وامريكا الجنوبية وبين اسكوتلندا وايرلندا وبين انجلترا وفرنسا وقس على ذلك المدن والقرى حيث تجد المدينة او القرى المتبعة تعاليم الكتاب المقدس زاهرة والكنائس عامرة والتجارة رابحة والزراعة مخصبة والصناعة متقدمة والفضائل سائدة والرذائل مفقودة . اما المدينةأو القرية التى لا تهتم بالكتاب تراها خالية من كل شيء ما عدا الخمارات والحانات او أماكن المقامرة والمسكرات والموبقات . قال جفرسون رئيس الولايات المتحدة سنة ١٨٠٠ " اننى قلت دائما واقول ان التدقيق فى مطالعة الكتاب المقدس يصير شعبنا افاضل وآباء افاضل وازواجا افاضل "

فمما تقدم يتضح ان الكتاب دون سواه قادر على تهذيب النفوس ورفع شأن اية امة تقبله لأنه دون غيره يجعل الكسلان مجتهداً واللص شريفا والكذوب صادقا والظالم عادلا والمسيء محسنا والعدو حبيبا الامر الذى لا يتسنى للمبادىء السياسية والعلمية مهما كانت ان تعمله لانها وان كانت توسع دائرة العقل وتثقفه فانها عاجزة عن زرع بذور الحب وعن السيادة على القلب الذى منه مخارج الحياة ولا تستطيع التسلط على الضمير وبدون اصلاح القلب والضمير لا يمكن الحصول على الاصلاح الحقيقى الواجب لارتقاء الامم فلذلك يكون الكتاب هو وحده القادر على هذه الامر .

وهنا مكان للاستغراب لان الذين دونوا الكتب لم يكونوا من مشاهير العالم ولا علماء بالمعنى المعروف لدينا الا ان كتبهم حفظت وقرئت وتناسخها الناس وتناقلوها وتداولوها وترجموها وانتشرت فى انحاء العالم قاطبة ولم يحصل مثل ذلك لمؤلفات الفلاسفة أو الحكماء اوالعلماء او الشعراء او الخطباء او المؤرخين او الادباء وهذا من اعظم اوجه الاعجاز الظاهرة فى الكتب الالهية ومن البراهين التى تحمـل عقولنـــا وقلوبنـــا على االعتراف بصحة الكتاب المقدس وتجعلنا ننصب وننعكف على مطالعته لتمتع بفوائده ولاجتناء يانع الثمار . قال مكلين رئيس قضاة امريكا " لو كانت الافراد والجماعات تطيع بامانة قوانين الكتاب لكانت تحصل على ارفع درجة من السعادة الارضية "

الفصل السادس

اتســاع الكتاب

" لكل كمال رأيت حداً : اما وصيتك فواسعة جداً " (مز ١١٩ : ٩٦)

مما يشاهد ان الكتاب المقدس تأثير لا يوصف من حيث قراءته ومطالعته فلو قرأته الوفا من المرات فلا تشبع منه . طالعه طول النهار فلا تمله : خذ أعظم الكتب وأقرأه مرة واحدة فلا ترجع اليه ثانية أما الكتاب المقدس فهو جديد كل حين . يطالعه الحكيم فلا ينتهى من حكمته طول السنين والايام . يقرأه الجاهل فيتعلم الحكمة وطريق الخلاص . يملأ الصالح صلاحا وقداسة يمنح طهارة للبشر وتجديداً للقلب ونقاوة للضمير ورجوعا عن الخطية والاثم ولا تجد ألذ وأعذب منه كما يقرر مستردام " انه لا يوجد كتاب ألذ منه " تواريخه تقرأ فلا تسأم . اشعاره تتداول فلا تمل . تعاليمه تسمع فلا تكره فلو قرأت اصحاحا منه آلاف المرات فلا يمكنك الاستغناء عنه بهذه القراءة بل تضطرك الاحوال الى قراءته مرة ثانية وهذا مما يميز كتاب الله عن باقى الكتب وكلمته عن الكلام البشر .

وقد لهج لها الابرار طول اوقاتهم ولكنهم لم يقولوا فى وقت ما انهم استغنوا عنها او حفظوها وعرفوها وليست لهم حاجه بها . قال الله ليشوع : " لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك بل تلهج فيه نهاراً وليلا " (يش ١ : ٨) وقال المرنم عن الانسان التقى " لكن فى ناموس الرب مسرته وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلا) (مز ١ : ٢) وقال ايضا " كم احببت شريعتك اليوم كله هى لهجى ... لان شهاداتك هى لهجى" (مز ١١٩ : ٩٧و٩٩) .

وقد شهد السيد المسيح بان تأثير كلمته لا ينقطع مادامت السماء والارض فان الكتاب منذ وجد والى النهاية يظل جديداً لا يطرأ عليه تغيير ولا تبديل ولا قدم . فهو اقدم شىء فى علم الآداب لان قبله لم يوجد كتاب آخر .

ثم من جهة التاريخ فهو يحوى اقدمه وقد ظهرت بعده آلاف الكتب ومع ذلك فلم يفتكر احد فى اى عصر بالاستغناء عن هذا الكتاب لانهم عرفوا انه هو الشمس الذى تستمد منه باقى السيارات نورها وهو المحيط الاعظم الذى تستقى منه باقى الانهار والبحار ماءها وقد بلغ من السن مبلغا كبيرا ولم ينته او ينقص بل كما كان فى ابان وجوده ايام موسى وبعده لا يزال كذلك الى الآن ولا يزال جديداً مع تقادم عهده . يشفى جراح المصابين ويطيب خاطر المحزونين .

ولو وجهنا نظرنا قليلا الى ما صادف هذا الكتاب من زعازع الانتقاد او عواصف المقاومة التى أضرت بكثير غيره من الكتب ، ولو تأملنا فى عظيم الاهتمام الذى وجه لتمحيصه وتنقيب ما فيه والوقوف على مكامنه لعرفنا كم هو لجة عميقة ، من غاص فى غورها ضل وهوى . اذ لا يخفى ان اكثر الاشياء فى هذا العالم خاضعة للانسان فهو يفحص طبائعها ويستقصى احوالها ويحاول البحث عن عللها وربما سنحت له الفرص لكى يكتشف فيها شيئا جديراً بالذكر . ولكن كتاب الله عميق جداً وبحره واسع لا يستقصى فهو اشبه شىء بمغاص اللؤلؤ الذى يجتمع فيه الناس ذرافات ووحدانا فى اشهر معلومة ويغوصون فيه ليستخرجوا شيئا من درره ولا مغالاة فى ذلك فان المخلص له المجد نطق بفمه الطاهر قائلا " يشبه ملكوت السموات لؤلؤة كثيرة الثمن " وكذلك فمهما فحص الناس فى الكتاب واجهدوا عقولهم وذواتهم فى سبر غوره ومعرفة كنهه وادراك محتوياته فلا يزالون فى اول خطوة من سفرهم الطويل لانه ليس من كلام بشرى فيستقصى أو من وضع بشرى فيعرف بل هو وضع العزيز الحكيم .

ورد على ما ذكر ثبوت حقائق هذا الكتاب التاريخية والدينية والعلمية ورسوخها هذا الزمان الطويل مع تغيير افكار البشر فعدد المذاهب الدينية التى ظهرت واختفت لا حد له والآراء العلمية التى انتشرت ثم انقرضت كثيرة جداً . فقد يثبت العلم حقيقة ثم ينقضها ويكذب التاريخ حادثة كان يؤيدها بالامس وهكذا قل فى افكار البشر ومبادئهم حتى تضاربت افكار العلماء ولهم فى كل يوم بحث جديد وفكر آخر حديث . ينقض الواحد ما بناه الاخر ويسعى الواحد فى اثبات ما يرفضه غيره ، وكثير من الآراء التى ظنها أهل العلم فى القرون السابقة من الحقائق الراهنة التى لا تقبل نقضا اصبحت من

سائر الاقوال لا يعتد بها . وما ادرانا أن بعضاً من المذاهب العلمية اليوم لا تصبح فى القريب العاجل من سقط المتاع وقد اهمل شأن كثير من امثالها مما كان يعتبره اصحاب العصور الماضية ؟ أما حقائق هذا الكتاب فقائمة كصخر يقارع الدهر وثابتة تشهد بصدق قائلها . فالحقائق الحقيقية التى كتبها موسى من ألوف السنين هى الحق وعين الصواب يشهد لها العلم وتؤيدها المشاهد المحسوسة .

مضى على الكتاب عدة قرون متوالية فيها أنشئت كتب وألفت مؤلفات لا تقع تحت حصر ولم تمض عليها بضع سنوات حتى اندثرت وقام غيرها . ولكن الكتاب المقدس هو وحده أبدى دام كل هذه القرون ويدوم إلى الأبد دون أن يطرأ عليه أدنى تغيير بل ستزول السماء والأرض وحرف منه لا يزول .

هو فى كل يوم جديد يوافق كل عصر كما يليق بمصدره الالهى حيث تجد فيه مخزنا ملآنا من البركات الروحية ومؤونة تنفع لسنين عديدة ونهراً فائضا سلاما لا يجف ولا ينضب وكرمة شهية مخصبة تعطى أثماراً لذيذة فى كل حين ومجرى مقدسا يفيض نعمة وبرأ وحكمة وصلاحا يقطر كمالا وجلالا وعذوبة وسيل بركة ودعة ورحمة وعزاء وهو فى كل قرن موضوع احترام وإكرام العلماء الذين درسوه واقتبسوا أنوارهم من ضيائه .

ومقدار صلاحية الكتاب المقدس لعموم البشر أشهر من أن تذكر ويستحيل أن يوجد كتاب عالمى موافق للجميع نظيره فنبواته وتواريخه وأشعاره وأبطاله كموسى الكليم ويوسف العفيف وسليمان الحكيم وأرميا الحزين والمسيح القدوس واللص التائب توافق أذواق الجميع . وكل من طالع هذا الكتاب مرة يشتاق أن يطالعه أكثر فأكثر فهو ذو فلسفة سامية وحكمة عظيمة لأنه من عند الواحد الحكيم فلجه عميق وغوره بعيد وجواهره لا تحصى ولا تفرغ أبداً . قال يوحنا ادمز الثانى رئيس الولايات المتحدة سنة ١٨٢٥ " انى اتكلم كانسان من العالم لأهل العالم قائلا - فتشوا الكتب المقدسة فانها افضل الكتب جميعها لتقرأ في كل الاجيال وفى كل احوال الانسانية ويجب ان تقرأ ليس مرة أو مرتين او ثلاث مرات ثم تلقى جانبا بل يجب ان يقرأ منها اصحاح او اثنان كل يوم وان لا يهمل ذلك الا لضرورة كلية " .

ويجدر بنا هنا ان ندرج كلمة للمفاضل الدكتور رتشرد نيوتن صاحب المؤلفات

العديدة عن الكتاب المقدس قال : " لم يدرس فى العالم كتاب نصف ما قد درس الكتاب المقدس ولن يوجد كتاب قابل للدرس مثله فان الكتب الاخرى متى قرأها الانسان وفهم معناها يضجر من قراءتها مرة اخرى ويطلب كتبا جديدة . واول كتاب قرأته فى حياتى هو كتاب روبنصن كروزو فظننته اعجب كتاب والتذذت به جداً حتى سهرت ليالى كثيرة فى قراءته ولما نمت كنت اراجع ما قرأته لاخى الاصغر عن روبنصن والبرابرة ، ولكن لو درست روبنصن صباحا ومساء ووعظت به كما افعل بالتوراه كيف كنت امل واضجر منه ؟ وهكذا يقال عن كتاب سياحة المسيحى ليوحنا بنيان والاقتداء بالمسيح لتوما الكمبيسى واشعار ملتون او اى كتاب آخر ما خلا التوراه لان الكتب التى يؤلفها البشر مثلها مثل الآبار المشققة والبرك الصغيرة التى بعضها اعمق من بعض ولكن اذا اخذنا قصبا ام خيطا وانزلناها فى احداها يمس القاع ، واما كتاب الله فهو الاوقيانوس الذى توجد فيه اماكن رقيقة يمس الولد قاعها كما توجد اماكن أخرى عميقة جداً تسبح فيها الجبابرة ، واطول قياس ينزل لا يلحق القاع ابداً " .

كما وانه يتكلـم عن اسمى الحقائق باسهل الاساليب ويعلن اغمض الاسرار بأبسط الالفـاظ بحـيث يفهمـها الصـغير ويعـجز عن سبر غورهـا الفيلسوف الكبير (مت ١١ : ٢٥) .

قال بعضهم " اذا مرت سفينة فيقلب البحر مرات عديدة فى اليوم ذهابا وايابا فمن المحقق انها لا تمر كل مرة فى الطريق التى مرت فيها لان ماء البحر ليس به طرق معلومة تسير السفن فيه هكذا اذا قرأت الكتاب المقدس آلاف المرات ففى كل مرة تفهم امورا جديدة لم يسبق لك فهمها " حتى قال نابوليون الاول " انى لا اهمل قراءة الكتاب المقدس وكل يوم اقرأه بلذة جديدة " .

وقال المستر مودى " قد وعظت على عدد ١٦ من ص ٣ من انجيل يوحنا ستة وثلاثين مرة ولا ازال كلما اعظ عليه اطلع على اشياء جديدة لم اكن رأيتها قبلا " وبمقابلة ذلك بمؤلفات اعظم الفلاسفة وأكبر الكتاب والمؤلفين نجد فرقا عظيما وبونا شاسعا بين كتاب الله والكتب الاخرى البشريه فانه كالاشجار المغروسة على مجارى المياه التى تطرح أثمارها للاكل ولا تيبس ابداً بل هى دائما فى اخضرار كما قال

المزمور " تعطى ثمرها فى اوانه وورقــها لا يذبل " (١ : ٣) واما التصانيف البشرية فانها بعد مطالعة قليلة تصير كالازهار المجموعةاو " كالعصافة التى تذريها الريح " التى تذبل فى ايدينا وتفقد طيب رائحتها بخلاف هذه الأزهار الفردوسية النضيرة التى تزداد بهجة بقدر اعتيادنا عليها وتزيد بهجتها كل يوم وتنتشر منها رائح عطرية نجتنى منها حلاوات حديثة فمن ذاق فضائلها مرة يعود اليها ثانية وكلما تناول منها اكثر وجد طعمها أحلى فيقبل اليها .

أراد رجل انكليزى أن يعرف عدد الكتب المؤلفة عن الكتاب المقدس فوجد ذلك أمرا صعبا جدا فصرف وقتا كبيرا ودراهم وتعباً ولما أكمل عمله كتب تقريرا عن الكتب المختلفة التى جمعها فبلغ ذلك التقرير مجلدا ضخما جدا . وكم تظنون مجمل عدد الكتب المشروحة على الكتاب المقدس انها أكثر من ستين الفا ويمكن أت تملأ مكتبة عظيمة ولكن ما وصل أحدهم الى قاع الكتاب . ولو بلغوا سن متوشالح يدرسون ويبشرون به لا يصلون إلى نهايته ولايمكن أن يأتى وقت فيه يتجاسر أحد على القول بأنه عرف الكتاب المقدس وما تبقى منه شيء يعظ به .

فبالحقيقة ما ابعد احكام الرب عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء وما أعمق كلمته التى لم يقدر احد ان يسبر غورها او يسبح فى عباب لججها الهائلة ولما راى ذلك النبى صرخ بملء فيه (عجيبة هى شهـاداتك) مز ١١٨ : ١٢٩ ولاشــك ان كلمــة الله عجيبــة جدا لاسيمـا مـن هــذا الوجه (اتساعها) ولم نكن نحن اول من لاحظ ذلك فقد شعر به داود النبى من قرون عديدة ولذلك قال (ناموس الرب يرد النفس) مز ١٩ : ٧ ويقصد بالناموس ليس ناموس موسى فقط بل كل تعليم من الله . ومفاد القول هنا ان التعليم المعلن من الله هو كامل ومع ذلك فان داود لم يكن لديه سوى جزء صغير من الكتاب فاذا كان هذا الجزء الصغير كاملا فماذا يكون الكتاب ؟ ومن اوليات الهندسة ان الكل اعظم من جزئه فان كان الاعلان الجزئى مجيدا كاملا فماذا نقول عن الانجيل الذى جاء متمما للناموس ؟

الباب الرابع

تاريخ الكتاب المقدس

" خذوا كتاب التوراه هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب الهكم" (تث ٣١ : ٢٦)

مراء فى ان الكتاب المقدس اقدم كتاب فى العالم سواء كـان فى الكتب الدينية اولا الادبية او التاريخية وهو المنفرد فى مقدمةالمؤلفات حيث لم يكن لغيره من المجوعات اثر في الوجود . وهو المتناهى فى القدم قبل كل مكتوب وله المكان الاول بين اساطير المتقدمين والمتأخرين فان اقدم كتبته سبقوا هوميروس ابا الشعر بستماية سنة وعاشوا قبل هيرودتس ابى التاريخ بألف سنة . فالياذة هوميروس التى يقولون انها كتبت قديما جدا قرر العلماء انها كتبت فى أيام اشعياء مع ان اسفار موسى كتبت منذ أكثر من ٣٠٠٠ سنة وقد قال عنها بونسن العالم الشهير (انها واضحة جلية لأبسط العقول جديرة باحترام ذوى الافهام لنا فيها التاريخ الوحيد لأصل الجنس البشرى الذى يمكننا ان تطابقه بما نعرفه طبعا عن الله وبالذى نعلمه من حقائق العلم) وقال فيشر امس الكاتب المشهور (لا سبيل لانسان ان يكون متشرعا صحيحا دون ان يدرس شرائع الله التى كتبها موسى) وعلى ذلك فان تصانيف الناس غير الملهمة حديثة بالنسبة للكتاب المقدس . يجدر بنا اذاً ان نتكلم عن تواتر التوراة حتى وصولها الينا . جاء فى كتـــاب (اصـــول التلمود) ص ٦ ما يأتى :

(موسى سلم التوراه المدونة والشفاهية لخليفته يشوع بن نون ولا لعازار بن هارون الحبر الاعظم ولفينحاس بن العازار بن هارون ولباقى الشيوخ السبعين الذى جرى انتاخبهم من اسباط بنى اسرائيل والذين تألف منهم السنهدريم (المجلس الدينى الاعلى والمحكمة القضائية الكبرى)الاول تحت رئاسة موسى ثم تحت رئاسة يشوع .

وبعد وفاة موسى بقيت متداولة بين اولئك العلماء وبين نفس عامة الشعب المعاصر لهم الى ان سلمها يشوع لمن جاء بعده وهذا سلمها الى خلفه وخلفه الى خلفه الى ان وصلت لربى يهوذا هناسى (اى الرئيس) .

" ويقسم هؤلاء المستلمون الى اربعه فرق : الفرقة الاولى المعروفة بفرقة القضاة والفرقة الثانية وهى فرقة الانبياء والفرقة الثالثة وهى الكنيسة الكبرى والفرقة الرابعةوهى فرقةالتنائيم . وتتألف كل فرقة من تلك الفرق الاربعة من اثنى عشرجيل قد استلم كل جيل منهم من الجيل الذى تقدمه بلا انقطاع " .

ويقصد بالقضاة اولئك الرجال العظام الذين حكموا اسرائيل بعد يشوع وقد كان مع بعضهم قضاة وشيوخ آخرون . والكنيسة الكبرى هم اواخر الانبياء الذين وجدوا فى أيام السبى البابلى بعدخراب الهيكل الاول ومنهم حجى وزكريا وملاخى مع بقية المائة وعشرين عالما الذين تألفت منهم الكنيسة الكبرى . اما فرقة التنائيم فيقول عنها انها " هى التى اعتنت بمجموع التقاليد الموروثة الاصلية والآراء التى كان يرتأيها كل جيل من اجيال الائمة في تطبيق الاحكام والقواعد المستجدة والنظامات الموضوعة التى هى عبارة عن متون كان يتداولها الحفاظ تحتوى على الاحكام الادارية والقضائية والدينية والطقسية والسياسية وهى اساس التلمود " .

وجاء فى ص ٩١ من الكتاب المذكور " موسى تلقى التوراه عن سيناء وسلمها ليشوع ويشوع للشيوخ والشيوخ للانبياء والانبياء سلموها لرجال الكنيسة الكبرى والمأثور عنهم ثلاث وصايا (١) تأنوا فى الحكم (٢) اقيموا تلامذة كثيرين (٣) اعملواسياجا للتوارة " . اما تاريخ التوراه مدة كتابها لغاية الطبع فاغلبه يؤخذ من التوراه ذاتها فقد اوضح الكتاب ان الله قال لموسى " اصعد الى الجبل وكن هناك فاعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية " خر ٢٤ : ١٢ ففى اثناء مدة الاربعين يوما التى قضاها موسى مع الله فى جبل سيناء يقال انه كتب سفر التكوين وهو اول سفر كتب وعند نزوله دونه وحفظه . والمراد باللوحين الوصايا العشر والمقصود بالشريعة جميع الاوامر الطقسية والقضائية . والمراد بالوصية " ســـفر التكوين " ويترتب على ذلك

ان هذا السفر كتب سنة ١٤٩١ ق . م واتم موسى بعد ذلك بقية اسفاره غير ان يدا غيره خطت الاصحاح الاخير من سفر التثنية حيث انه حادثة موته وما سار بعد ذلك ثم بعد ان كتبت الاسفار الخمسة امر موسى اللاويين حملة تابوت عهد الرب بوضعها فى جانب التابوت شـــــهادة عليهم (تث ٣١ : ٢٤ - ٢٦) وقد ظلت هذه الاسفار متداولة بين اليهود فى كل عصر ومن شدة حرصهم عليها اخذوها معهم الى بابل (دا ٩ : ٢ و ١١ و١٣) وورد فى سفر عزرا انه لما تم بناء الهيكل فى السنة السادسة من حكم داريوس أعيدت عبادة اليهود الى أصلها حسب ما هو مكتوب فى شريعة موسى . وقد جرى ان عزرا كان يأتــى باسفــار موسى ويقرأ فيها أمام الرجــال والنساء من الصبــاح الى نصف النهــار (نح ٨ : ١ - ٦) .

وسمى مجموع اسفار موسى عند العبارنيين التوراه اى الشريعة ويظهر من حرف العطف فى أول كل سفر إنها كانت سفراً واحداً وقد ظلت هذه الأسفار منضمة معا سفراً واحداً إلى عصر المسيح . (قابل يش ١ : ٨ ونح ١٣ : ١ ومر ١٢ : ٢٦) أما قسمتها إلى خمسة أسفار فطارئه على الأصل وهى من أعــمال مترجمــيها إلى اليــونانية ولا بأس بها . ثم بعد موسى كـــتب يشوع سفره وكذلك صــموئيل وبــاقى الأنبياء كتبوا أسفارهم وحفظت كل هذه الأسفار فى شيلوه (يش ٢٤ : ٢٥ و٢٦) .

قلنا أن التوراة كانت متواترة بين الأسباط كما تقدم وأمر موسى اللاويين بوضعها جانب التابوت كما هو مذكور فى ســـفر التثنية ولما أعيد بناء هيكل سليمان وضع الكتاب فيه مع جميع الأنبياء ولما أتى بختنصر وأخرب الهيكل لم يمس الكتب المقدســة بشىء لأنه لم يكن مطمح نظره استئصـــال ديانتهم . نعم إنه كثيراً ما أخذت ذخائر الهيكل والأوانى المقدسة وكان ذلك طمعا فى المــال (٢ اى ١٢ : ٩ و٢٥ : ٢٤) أما الكتاب فلم يلتفت اليه (٢ مل ٢٥ و٢ أى ٢٦) ومع ذلك فلما سباهم إلى بابل أخذ اليهود معهم نســخا من الكتب المقدسة كما يستدل من استشـــهاد النبى دانيال بالشريعة (ص ٩ : ١٣) ومن ذكر نبوات ارميا (ص ٩ : ٢) .

وورد فى عز ٦ : ١٨ بأنه لما تم بناء الهيكل فى السنة السادسة من حكم داريوس اعيدت عبادة اليهود حسبما هو مكتوب فى كتاب موسى فلو لم تكن عندهم نسخ من

كتب موسى لتعذر عليهم عبادة الله كما هو مدون فى الشريعة ومما يدل على أنه كان عندهم نسخ من الكتاب المقدس أن اليهود الذين كانوا فى السبى طلبوا من عزرا أن يأتى بسفر شريعة موسى فأتى بها وقرأ فيها من الصباح إلى نصف النهار أمام الرجال والنساء فلو لم تكن موجودة لما تيسر له أن يقرأها من الصباح إلى الظهر . وفى عهد يوشيا ملك اسرائيل فى سنة ٦٧٨ قبل المسيح رجع أحد الكهنة الذين كانوا فى السبى إلى السامرة ليعلم أهلها شريعة موسى . وفى عهد يهو شافاط ملك يهوذا سنة ٩١٢ ق . م أمر هذا الملك الصالح بالاهتمام الزائد بحفظ السنن والفرائض المدونة فى الشريعة .

ولما انقسمت المملكة بعد سليمان إلى قسمين شذ عشرة اسباط من أسباط بنى اسرائيل واستقلوا عن سبطى يهوذا وبنيامين ومع ذلك فقد حافظ العشرة الأسباط على التوراة وتسمى نسختهم بالتوراة السامرية وهى محفوظة إلى عصرنا وهى مثل التوراة التى عند سبطى يهوذا وبنيامين . وفى سنة ٢٨٦ ق . م . أمر بطليموس فيلادلفوس ملك مصر بترجمة التوراة إلى اللغة اليونانية فأحضر إثنين وسبعين من علماء اليهود فترجموها لأنه لما انتشر اليهود فى أنحاء العالم قضت الضرورة إلى ترجمتها الى اللغة اليونانية . كما أن عزرا النبى جمع أسفار الكتاب المقدس قاطبة فى مجلد واحد بمساعدة أعضاء مجلس اليهو د .

ولا مكان لقول بعض الكفرة الملحدين الذين جعلوا ديدنهم الطعن على الكتاب أن أنطوخيوس ابيفانيس أزال الكتاب المقدس لما أخرب الهيكل فان جمهور المحققين أجمعوا على بطلان ذلك فالتاريخ ناطق بان يهوذا المكابى قام وهزم جيوش ذلك العاتى وأعاد الديانة الى رونقها وبهائها وبنى الهيكل وأعاد التابوت ووضع الكتب المقدسة فيه .

ولا محل للقول أيضا بأن نسخة التوراة ضاعت من صندوق الشهادة فى زمن سليمان اى التى كان موسى قد امر بوضعها فيه لانه فى زمن سليمان لم يوجد فى التابوت الا لوحا الشهادة . ومع امتحان هذا القول يتضح انه غير موافق لكتاب الله مطلقا وغير مطابق للواقع فان موسى لم يأمر بوضع التوراه فى التابوت بل أمر بوضعها بجانبه كما يظهر مما قيل فى تث ٣١ : ٢٤ - ٢٦ " فعند ما كمل موسى كتابة

كلمات هذه التوراة فى كتاب الى تمامها امر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلا – خذوا الكتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب الهكم " فالشىء الذى امر الله موسى بوضعه فى التابوت ووضع فيه حسب امره تعالى هو لوحا الشهادة وليس التوراة بأكملها (خر ٢٥ : ١٦ و٣١ : ١٨) ولوحا الشهادة قد وجدوا فى التابوت فى ايام سليمان . ولو فرض وكانت التوراة موضوعه فى التابوت وضاعت منه فليس هذا دليلا على فقدان بالكلية من بنى اسرائيل لان تلك النسخة لم تكن النسخة الوحيدة بينهم فان الله أمر شعبه عن يد موسى بانهم حينما يقيمون لهم ملكا فعند ما يجلس على كرسى المملكة يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة فى كتاب من عند الكهنة اللاويين فتكون معه ويقرأ فيها كل يوم حياته لكى يتعلم أن يتقى الرب الهه ويحفظ جميع كلمات هذه الشريعة فان فرض فقدان التوراة من التابوت تكون التوراة التى عند الملك باقية وبالعكس . وزيادة على ذلك لنا أخبار أكيدة فى الكتاب تدل على أن التوراة كانت موجودة فى زمن داود الملك لا بل وفى زمن سليمان نفسه (راجع مز ١١٩ : ٩٧ – ١٠٣ و١ مل ٢ : ٢ و ٣ و٢ اى٧ : ١٧) وقد كانت موجودة عند رحبعام (٢اى ١٢ : ١) وعند آسا بن ابيا (٢ آى١٤ : ٤) وعند يهو شافاط بن آسا (٢ آى١٧ : ٩) وتوجد اشارات فـى الكتاب تدل على وجودها فى زمن يو آش بن يورام بن يهو شافاط (٢ اى ٢٣ : ١٨ و٢٤ : ٦ و٩) وفيزمن امصيا ابنه (٢ أى ٢٥ : ٤) وفى زمن حزقيا الذى هو الملك الرابع بعد امصيا (٢ اى ٣١ : ٣ و٤) وفى أيام يوشيا الملك وجد حلقيا الكاهن سفر شريعة الرب المكتوب بيد موسى وسلمه الى شافان الكاتب وشافان اتى به الى الملك وقرأ فيه أمامه (٢ اى ٣٤ : ١٤ – ٢١ و٢ مل ٢٢ : ٨ –١٣) .

وفضلا عن ذلك فانه توجد ادلة اخرى على ان العهد القديم لم يفقد مطلقا وذلك للاسباب الآتية (١) لما انزل المولى سبحانه وتعالى التوراة على موسى النبى افرز سبطا خصوصيا وهو سبط لاوى للمحافظة عليها واقامة سنتها وفرائضها وإحكامها (٢) ان أقامه اليهود للفرائض المدونه فى شريعتهم ومراعاتهم لاحكامها فى المعاملات واستشهادهم بها فى المناظرات والمباحثات وتعبدهم بقراءتها فى أيام مواسمهم واعيادهم كلها من اقوى الادلة على حفظهم اياها وعدم امكانية ضياع شىء منها (٣)

ان هذه الأسفار كانت منتشرة بين الاسباط كما يقول يوسيفوس المؤرخ " ان موسى أمر بتوزيع نسخة على كل سبط " فاذا ثبت انتشارها كان من المتعذر طبعا ضياعها او تغييرها .

هذا هو تاريخ الكتب المقدسة من وقت ما كتبها الانبياء الى ان وصلت الى المسيح محفوظة . اما تاريخها من عصر المسيح الى عصر القراءة المأثورة فهو ان اليهود تشتتوا وكانت اللغة المتداولة وقتئذ يونانية فاستعملوا النسخة السبعينية فى انحاء المملكة اليونانية . ولما اتى المسيح له المجد الى عالمنا الهالك هذا كان يحثهم على مطالعتها والتحرى فى معانيها والنظر فى مبانيها ومع انه كان يوبخهم على غلاظه قلوبهم الا انه لم يدع عليهم بضياع كتبهم بل كان يوبخهم على عدم المبالاة بالامور الجوهرية وتمسكهم بالقشور والاعراض وقال لهم " فتشوا الكتب لانكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهى تشهد لى " (يو ٥ : ٣٩) وقال أيضا " تضلون اذ لا تعرفون الكتب " (مت ٢٢ : ٢٩) وكثيراً ما استشهد بها فى اقواله (مت ٢٦ : ٥٤ ويو ١٠ : ٣٥) وكذلك الرسل قالوا عنها انها وحى الهى (٢ تى ٣ : ١٦) وانها اقوال الله (رو ٣ : ٢) وكلمة الله (رو ٩ : ٦) وكان اليهود والمسيحيون منكبين على مطالعتها بالتدقيق فلو كانت مغيرة أو ضائعة ما كان السيد المسيح يحث على مطالعتها وما كان يستشهد بها الحواريون فى كتبهم .

أما تاريخ التوراة من عصر القراءات المأثوره لغاية تاريخ الطبع فهو انه لما اخرب الرومان أورشليم وتبدد شمل اليهود فى انحاء المملكة العثمانية وجه بعض اليهود الذين فى الشرق انظارهم الى التحلى بحلية الادب وجدوا السير فى الطلب وفتحوا مدارس لمطالعة الكتب المقدسة ومن أعظم هذه المدارس مدرسة طبرية وقد كانت موجودة فى القرن الخامس . والعهد القديم العبرانى الذى بين ايدينا مأخوذ عن النسخة الماسورية وهو ما جمعته لجنة من اليهود فى طبرية وفى سورة وفى وادي الفرات من القرن السادس الى الثانى عشر للميلاد . وقد حرك معلمو تلك اللجنة الكلمات واضافوا الى النص تفسيراً يسمى الماسورة اى التقليد يتضمن جميع ما يتعلق بصحة ذلك النص . وكانت العبرانية قبل ذلك تكتب بدون حركات فاضافت تلك اللجنة الحركات واثبتتها مع

الالفاظ ويقال ان الماسوريين حرموا النسخ التى كانت تخالف نسختهم فلذلك لاتكاد توجد نسخة عبرانية قديمة واقدمها لا يتقدم على القرن العاشر . اما التصليحات التى اضافها الماسوريون فجعلوها حواشى وتركوا لارباب العبرانية الخيرة إما أن يقبلوها او يرفضوها كما يشاءون بعد البحث والتدقيق . وأول مرة طبع فيها العهد القديم فى العبرانية كانت سنة ١٤٨٨م ثم طبع ثانية ١٤٩٤م .

ويظهر لنا تاريخ العهد الجديد من تتبع السند المتصل له لو تتبعناه لرأينا اننا اخذناه عن جماعات المسيحيين العدول وعن الأئمة المعتبرين وعن العلماء المتضلعين وبيان ذلك ان الحواريين دونوا البشائر والتعاليم القويمة فى الكتب ليسترشد بها المسيحيون وكانوا يتعبدون بتلاوتها فى محافلهم ومعابدهم وكانت تقرأ ايضا فى الكنائس فى عصر الرسل فى اليوم الاول من كل اسبوع فالجماعات المسيحية استلمت هذه الكتب وسلمتها للخلف من جيل الى آخر . وكان علماء المسيحين يستشهدون بها فى اقوالهم بحيث يمكن جمع هذه الكتب المقدسة من اقوال أئمة الدين المسيحى وعلمائهم فى عصر الرسل ومن أتى بعدهم بالتسلسل حتى طبع اول مرة سنة ١٥١٤م ونشرت هذه الطبعة سنة ١٥٢٢م الا ان اراسمس كان قد نشر العهد الجديد فى اليونانية سنة ١٥١٧م اما النسخة المسماة " المقبولة" فنشرت سنة ١٦٣٣م .

والخلاصة ان الكتب المقدسة سلمت اولا لليهود بواسطة موسى وباقى الانبياء (لو ١٦ : ٣١ ورو ٣ : ٢ و٩ : ٤) ثم بعد ذلك بواسطة يسوع (عب ١ : ٢) وقد تمت بالمسيح (مت ٥ : ١٧ ولو ٢٤ : ٢٧) وقد علم الرسل بها (اع ٢ و٣ و٨ : ٣٢ و١٧ : ٢ و ١٨ : ٢٤ و٢٨ : ٤٣ والى كل الارض خرج صوتها والى اقصى المسكونة كلماتها وفى كل مكان صار امتدادها . مز ١٩ : ٣ و٤ ورو ١٠ : ١٨ .

الفصل الاول

لغة الكتاب الاصلية

" وقرأوافى السفر فى شريعة الله ببيان وفسروا المعنى وافهموهم القراءة " (نح ٨ : ٨)

ان الكتاب المقدس قد كتب بلغتين فالعهد القديم كتب باللغة العبرانية وهى إحدى اللغات السامية (نسبة الى سام بن نوح) وهى اصل لغات غربى اسيا أى بلاد فلسطين وسوريا وفينيقية وما بين النهرين وبلاد بابل والعرب والحبشة ، وهذه اللغات وان اختلف بعضها عن بعض الا ان اصلها واحد . وتنقسم الى ثلاثة اقسام او رؤوس اصلية وهى (١) الارامية . وكانت لسان سوريا وما بين النهرين وبابل وبلاد الكلدان وهى تقسم الى فرعين السريانية وتسمى (أ) الارامية الغربية والكلدانية (ب) واحيانا الارامية الشرقية (٢) العبرانية أو الكنعانية (اش ١٩ : ١٨) وكانت لغة فلسطين والفينيقيين ومن نزح منهم كسكان قرطاجنه (٣) العربيه .

واعتقد حاخامو اليهود ان العبرانية كانت لغة الفردوس وتبعهم فى هذا الرأى اوريجانوس وايرونيموس واوغسطينوس وغيرهم من الآباء وبعض المدققين وعلماء اللغات فى العصور الحاضرة ولكن مذهب جمهور المحققين فى عصرنا الحاضر هو ان اللغة التى تكلم بها آدم فقدت عند تبلبل الألسنة فى بابل أو بالتغييرات التى تعترى كل لغة على تمادى الأيام .

واللغة العبرانية تشبه العربية من أوجه كثيرة فحروفهما فى النطق متشابه فمثلا (آلف) فى العبرانية (آلف) فى العربية و(بت) فى العبرانية (باء) فى العربية و(جميل) فى العبرانية و(جيم) فى العربية وكذلك (دال) فى العربية (دالت) فى

العبرانية والهاء والنفو والزين والتيث والتاث واليود والكاف واللامد الخ . وكذلك فى بعض الالفاظ كلفظة (عسب) العبرانية تترجم (عشب) بالعربية بمعنى بقل ولفظة (يم) او ماء فانها مستعملة فى اللغتين (نح ٩ : ١١) وهكذا فى الفاظ "كتب . وقرأ . وأكل "وغيرها وعدد الحروف العبرانية ٢٢ حرفا لأنه ينقصها ث خ ذ ض ظ غ .

أما قولنا ان العهد القديم كتب باللغة العبرانية فهو لا ينفى وجود بعض فصول من بعض اسفار كتبت باللغةالكلدانية وهى لغة شبيهة بالعبرانية وهذه الفصول فى عز ٤ : ٨ الى ٦ : ١٨ و٧ : ١٢ - ٢٦ وبعض آيات والفاظ من سفر الجامعة ومن سفر أرميا عد ١١ ص ١٠ ومنسفر دانيال ص ٢ : ٤ - ص ٧ .

أما سبب ورود ذلك فى سفر عزرا فهو انه قد كتب سفره بعد الرجوع من السبى فى الوقت الذى كان فيه اللغة اليهودية مختلطة باللغة الكلدانية اختلاط الحابل بالنابل فان اليهود لما سبوا الى بابل وأقاموا فيها نحو سبعين سنة لم تعد عامتهم تفهم اللغة العبرانية كما يظهر من نح ٨٠٨ حيث قيل " وقرأوا فى السفر فى شريعة الله ببيان وفسروا المعنى وأفهموهم القراءة " فيفهم من قوله "مفسرا " اى مترجما من العبرانية الى الكلدانية . وجاء فى كتاب " اصول التلمود " ص ٤٧ فى كلامه عن أحد علمائهم " ومما يقال عن هذا الامام أنه كان متبحراً فى اللغةالعبرانية واشتقاقاتها وأوضاعها حتى ان علماء زمنه كانوا يستفتون خدمة بيته فى تفسير الالفاظ التى كان يشكل عليهم معناها) وقال ايضا " بعد سبى بابل اختلفت لغة العامة عن اللغة الاصلية فصارت اللغة الدارجة خليطا من اللغة الارامية السريانية والعبرانية وشيء من اللغات الفارسية واليونانية واللاتينية فصار يعسر فهم الالفاظ حتى على بعض الخاصة " .

ويتأيد هذا القول من ان لغة العبرانيين بعد السبى البابلى لم تكن كلدانية محضة بل دخلت فيها بعض اصطلاحات والفاظ عبرانية بسبب اصل العبرانيين كما هو حال اغلب اللغات عند زولها ، الا ان الاشخاص المتقدمين كعزرا لم يكونوا يجهلون اللغة العبرانية بالطبع فانه مع كون الشعب بعد السبى لم يعد يتكلم بالغة العبرانية مطلقا غير ان الكهنة واللاويين استمروا يدرسونها ويمارسونها نظير لغة شريفة لكى يستطيعوا تفسير الناموس والانبياء للشعب بدليل ما يظهر فى العهد الجديد من ان الشعب كان

خبيرا بمضمون وفحوى الناموس وعلى ذلك فعزرا لم يكن يجهل اللغة العبرانية انما بالمكوث كل تلك المدة الطويلة بين الكلدانيين امتزجت لغته بلغة االكلدان ولهذا تجده يكتب سفره بعضه بالكلدانية وبعضه بالعبرانية .

اما ما ورد فى سفر الجامعة فهو لسببين : اولهما مخالطة سليمان لنساء غريبات فتعلم بعض الفاظهن . وثانيهما نظراً لاتساع مملكة سليمان فى مدة ملكة وكثرة ورود الاجانب ومخالطتهم لسليمان فى ذلك الوقت فلابد ان يكون قد تعلم منهم الفاظا وعلى كل حال فانه حر فى التعبير عن افكار الوحى باية لغة وباستعماله اية الفاظ سواء أكانت فى هذا السفر او فى ذاك .

اما الالفاظ والعدد الوارد فى ارميا فقد اوردها النبى فى سفره كنكتة من نكت البلاغة والفصاحة وهى التاكيد فانه اراد ان يبين لهم بطلان آلهتهم بلغتهم وهنا نقول ان المراد بلغتهم اى اللغة المفهومة عندهم لان الكلام اذا كان بلغتهم يكون راسخا فى ذهنهم اكثر من أية لغة أخرى ولكى تتضح لك حقيقة القول نورد هنا ذلك العدد لحروفه وهو "هكذا تقولون لهم الآلهة التى لم تصنع السموات والارض تبيد من الارض ومن تحت هذه السموات " .

أما سبب ورود ذلك فى سفر دانيال فواضح من نفس الاصحاح حيث قيل " فكلم الكلدانيون الملك بالارامية " فهذا لا يحتاج الى برهان . قال بعضهم " بما ان الكلدانيين اظهروا الشفقة للنبى دانيال فلذلك كافأهم الله بان جعل لغتهم تحوز الشرف بها جزء من الكتاب المقدس " .

هذا ما اتفق عليه الباحثون انه كتب باللغـــة الكلدانية فى اسفار العهد القديم غير ان بعضـــــهم يقولون بوجود إسفار اخرى كتبت بهذه اللغة غير التى ذكرت ، تلك الأسفار هى ســفرا عزرا ونحميا كلهما وكذلك سفر استير وعلى الاقل من الاصحاح العــاشر الخ وهذا القول غير مشهور ولم يطرحه الباحثون على بساط البحث والتأمل ولم يجزم احـــد بصحته .

اما العهد الجديد فانه كتب باللغة اليونانية وقد اعد الله له طريقة عجيبة تمهيداً لسبيل انتشاره وهنا يجدر بنا ان نتكلم عن هذه الطريقة – فنقول قد ذكر آنفا ان

اليهود الذين أخذوا الى بابل ضاعت منهم اللغة العبرانية فيها وتعلموا الكلدانية الممتزجة بالعبرانية غير انه بعد ذلك ابتدأت المملكةالكلدانية ان تنقرض وتمتد سطوة اليونانيين فان اسكندر ذا القرنين استظهر على الفرس وهزمهم ولما كان محاصراً لصور التزم ان يجلب زاداً لجيشه من الجليل والسامرة واليهودية فبعث اليها شرائم جنوده لتخضع اهلها وتكرههم على تقديم النفقات فأبى اليهود الامتثال قائلين انهم اقسموا يمين الاخلاص لداريوس فلا يسعهم ان يخلفوها ما دام حيا واما السامريون فانتقادوا لامره ولبوا دعوته وزادوا على ذلك انهم ارسلوا ثمانية آلاف رجل لنجدةجنوده فى حصار صور فاستشاط اسكندر على اليهود وعزم ان يجزيهم شر الجزاء ومن ثم عرج عليهم لينتقم منهم لانهم أمدوا اعداءه بالزاد ولم يساعدوه بشىء ولما علم يدوع عظيم الاحبار حينئذ بحنق الاسكندر على اليهود التجأ الى الله وفرض على الشعب صلوات وقدم قرابين وذبائح فظهر له الرب فى الحلم وأمر ان يفتح ابواب المدينة ويزين شوارعها بالزهور والرياحين وان يخرج للقاء الاسكندر هو وسائر الكهنة بملابسهم الحبرية البيضاء وان لا يخشوا هذا الغازى لانه يكون لهم نصيراً . فقص يدوع على الشعب الحلم الذى رآه .

ولما اقبل الاسكندر خرج يدوع وسائر الكهنة والشعب الى لقائه باحتفاء عظيم وكان من انضم الى جيش اسكندر من الفنيقيين وغيرهم يفتكرون ان الملك يستبيحهم نهب اورشليم ويفتك برئيس الكهنة جزاء عصيان اليهود لاوامره ولكن لما رأى هذا الجم الغفير وفى مقدمته رئيس الأحبار وعلى رأسه التاج وعصابة من ذهب كتب عليها اسم الله ويحف به الكهنة بملابسهم البيضاء تقدم وحده فسجد للاسم الكريم وحيا عظيم الكهنة فاجتمعوا حينئذ حول اسكندر وصرخوا الى الله بالدعاء ليوليه كل توفيق فتعجب ملوك سوريا واعوان الملك اجمع من صنيعه وقال له برينيون كيف تسجد لحبر اليهود انت الذى يسجد لك العالم كله ؟ فاجابه اسكندر لم اسجد للحبر بل للاله الذى هو خادمه لانى لما كنت فى مكدونية افكر بأية ذريعة أتوصل الى فتح آسيا ظهر لى فى الحلم شخص متشح بمثل هذه الملابس وأمرنى ان لا أخاف وان أعبر الدردنيل وشجعنى بانه يحرس جيشى ويكسبنى مملكة الفرس . ثم عانق الاسكندر رئيس الاحبار وسار تواً

الى الهيكل حيث قدم الذبائح كما كان يرشده رئيس الاحبار الذى أطلعه على نبوة دانيال المؤذنة بانقراض مملكة الفرس على يد ملك يونانى وحقق له ان هذا هو الملك الذى جاءت النبوة به ففرح الاسكندر لذلك كثيراً وجمع فى الغد رئيس الاحبار والشعب وامرهم ان يسألوه ما شاءوا لينعم عليهم به فسأله يدوع ان يصرح لشعبه بالعيشة حسب شرائع آبائهم وان يعفيهم من الجزية سنة فى كل سبع سنين لانهم لا يستثمرون اراضيهم فيها فأجاز له ذلك .

ومن ذلك الوقت احب اليهود وواساهم ولما تم قول الحبر بانكسار الدولة الفارسية على يده اخذ منهم كثيرين الى مصر ولما طالت مدة مكوثهم فيها ضاعت منهم اللغة الكلدانية التى تعلموها فى السبى وتعلموا اليونانية فسعوا فى ترجمة الكتب المقدسة الى لغتهم الجديدة فترجم الملك بطليموس الترجمة السبعينية المشهورة ، وبواسطة هذه الترجمة انجذب الكثيرون الى تعلم اللغة اليونانية فشاع استعمالها بين يهود الشتات حتى بعد فتوحات الرومانيين وصارت أفضل اللغات إذ ذاك فى التمييز بين المعانى الدقيقة والتعبير عن أعلى المدركات العقلية الروحانية . وهذه اللغة التى ارتقت إلى قمة الفضل امتدت بواسطة الفتوح وانتشار أهلها وتجارتهم فى جميع العالم المعروف فى ذلك الزمان حتى أنها صارت لغة العلماء فى كل مكان واللغة الأهلية فى أماكن كثيرة وكان أكثر الذين تعلموا القراءة يحسنون قراءتها وعلى ذلك أعدت بهذه اللغة الكريمة واسطة عظيمة لأجل التعبير عن حقائق الإعلان الإلهى على نوع صريح تفهمه جميع الأجيال المستقبلية وكانت هذه اللغة المنتشرة حينئذ انتشارا عاما بين الناس وفى غاية المناسبة لأجل حمل حقائق الوحى إلى كل قطر من أقطار الأرض وهى لغة مناسبة جدا للفلسفة واللاهوت وبهذه الطريقة أعد الله سبيلا للتبشير بالأنجيل الذى كان زمانه قد اقترب ، وخصت اللغة اليونانية فى ذاك الوقت بالعبادة والتعليم ولم تكن توجد لغة يومئذ مثلها فى الفصاحة فاختارها الله لأنزال ما أوحى به بخصوص التعاليم المسيحية .

ولما كان قصد الله نشر تعاليم العهد الجديد وحد جملة لغات ليوحى بها تعاليمه . فيونانية العهد الجديد هى المكدونية أو الهلانية الممزوجة باصطلاحات عبرانية وذلك لكى يفهمها اليهود المستوطنون ويهود الشتات على السواء وكذا غيرهم من الأمم . ويظهر

هذا الامتزاج على نوع خاص فيمتى ومرقس والرؤيا وقليلا فى يعقوب ولوقا ولاسيما فى مقدمة أنجليه وآخر الأعمال أما بولس فكان نمط كتابته خاصا به .

غير أننا نقول أن اللغة التى كانت مستعملة فى فلسطين فى عصر المخلص هى الآرامية أو السريانية ويسميها بعضهم . بالكلدانية لأن اليهود تعلموها عندما سبوا إلى بابل وظلوا يستعملونها بعد رجوعهم من السبى . ومن الادلة على ذلك أن الاسماء اليهودية فى ذلك العصر كانت سريانية (ما عدا الاسماء القديمة التى كان اليهود يتوارثونهـا عن آبائهم) كتوما وبرنابا وبرتو لماوس وبار يشوع وباراباس وقيافاوسيلا (شائيلا) وبرسابا ومرثا وسالومة وصفيرة وهلم جراً . وكذلك أسماء شيع اليهود الدينية كالفريسيين والصدوقيين . أما الأسماء اليونانية فقليلة جداً . وهنالك أسماء أماكن فى أورشليم خاصة وفلسطين عامة وهى اللغة السريانية فمن ذلك بركة سلوام (يو ٩ : ١١) وجلجثة " يو ١٩ : ١٧ " وجبـاثا " يو ١٩ : ١٣ " وجثسيمـانى (مت ٢٦ : ٣٦) وبيت حسدا (يو ٥ : ٢) وبيت عنيا (يو ٢ : ١١) وبيت فاجى " مت ٢١ : ١ أو حقل دماً أو حقل الدم " ا ع ١ : ١٩ " .

وقد جاء فى سفر الاعمال ٢١ : ٤٠ أن بولس الرسول ألقى فى أورشليم خطبة باللغة العبرانية أى بلغة العبرانيين يومئذ وهى السريانيه " فقد سماها بعضهم باللغة العبرانية بينما هى سريانية كجباثا وجمجمة "قال الكتاب عن بولس " فلما سمعوا أنه ينادى باللغة العبرانية أعطوا سكوتا أحرى " " ا ع ٢٢ : ٢ " فاليهود لم يكونوا ينتظرون أن يسمعوه يتكلم باللغة العبرانية " السريانية " بمثل تلك الفصاحة لانه كان من مدينة طرسوس ولغة الطرسوسيين يومئذ كانت اليونانية كما لا يخفى . هذا فضلا عن ان الاميـر سأل بولس " " أتعرف اليونانية " " ا ع ٢١ : ٣٧ " وفى هذا دليل قاطع على أن لغة أهل فلسطين فى ذلك الزمن لم تكن اليونانيه . رد على ذلك أيضا ان علماء اليهود الذين عاشوا فى زمن المسيح وما بعده يذكرون الفرق النحوى واللغوى الذى كان فى اللهجة السريانية بين الجليليين وسائر أهل فلسطين ولا سيما سكان أورشليم . والانجيل نفسه يشهد بوجود هذا الفرق فقد ورد فى مرقس ١٤ : ٧٠ إنه لما كان بطرس فى دار رئيس الكهنة عرف الحاضرون من كلامه إنه جليلى (مت ٢٦ : ٧٣) .

ولاشك أن مخلصنا كان يتكلم بلغة اليهود (اللغة الآرامية) وذلك يظهر من مخاطبته

للقوم بالأمور المتعارفة أو الاصطلاحات المستعملة . ومن أمثلة ذلك قولــه لابنة يايرس طليثــا قومى (مر ٥ : ٤١) وللاصم إفثا (مر ٧ : ٣٤) واستعماله بعض الكلمات التى كانت شائعة بين اليهود نظير رقا وربى وقربان . ومن هذا القبيل االالقاب التى لقب بها تلاميذه مثل صفا وابن يونا (بره يونا يو ١ : ٤٢) وبوانرجس " إبنا الرعد " (مر ٣ : ١٧) وصـــراخه على الصليب " ايلى ايلى لما شبقتنى " (مت ٢٧ : ٤٦) فيتضح لنا جليا مما تقدم أن اللغة الارامية التى تكلم بها اليهود بعد رجوعهم من السبى كانت فى أيام مخلصنا اللغة الوطنية المتداولة بين شعب اليهود وقد بقيت هذه اللغة دراجة فى فلسطين حتى بعد إستيلاء العرب عليها .

ولكن لا ريب أن اللغة اليونانية كانمت مفهومة عند جميع الشرفاء والعلماء فى كل سوريا فان اسكندر الكبير وخلفاءه كان مبدأهم الاساسى أن يمدوا اللغة اليونانية ولابد أن مخلصنا كان يتكلم أحيانا باللغة اليونانية بدليل قول المؤرخ اليهودى يوسيفوس فى كلامــه عن المسيح " أن كثيرين من اليهود ومن اليونان كانوا ينضمون اليه وينجذبون نحوه " فمن هذا القول استنتج العلامة فرر أن دخول كثيرين من اليونان الذين كانوا يحبون أن يروا المخلص وأن يجادلوه يدل على أنه تكلم باليونانية ثم أن آيات العهد القديم التى كان السيد يستشهد بها كان يأخذها من الترجمة السبعينية . غير أنه لا يحتمل البتة أن مخاطبات السيد الاعتيادية كانت باليونانيه لان أحاديثه كان أكثرها مع البسطاء وأهل الرتب الصغيرة لا مع العلماء أهل الرتب العليا .

ورب معترض يقول . إذا كانت اللغة السريانية هى التى كانت لغة أهل البلاد وقت كتابة العهد الجديد فلماذا كتب باللغة اليونانية ؟ فنجيب إننا إذا اعتبرنا العصر الذى كتب فيه الرسل كتبهم والجماعات الذين كتبوا اليهم نرى وجوب نشر أخبار الانجيل بهذه اللغة لان الذين اعتنقوا الدين المسيحى من سكان أورشليم واليهودية كانوا قليلى العدد بالنسبة الى غيرهم وكانت لهم وسائط كثيرة لمعرفة الحوادث التى كتب عنها الرسل بدون احتياج الى أخبار مكتوبة وما حمل مؤسسى الديانة المسيحية على كتابة الاسفار المقدسة باللغة اليونانية لا الارامية معرفتهم جيداً ما سيحدث بعد قليل من الفتن التى تلاشى قوة الامة اليهودية . وزيادة على ذلك أن المراكز الحقيقية للديانة

المسيحية كانت فى البلدان التى تكلم أهلها باللغة اليونانية بين الشعوب المتفرقين فى مدن آسيا الصغرى وفى بلاد اليونان وفى رومية والمغرب كان أكثر المتنصرين مؤلفين من الشعوب التى كانت اليونانية لغتهم الخاصة .

ويونانية العهد الجديد هى اللغة اليونانية الحديثة وقد كان تكلم بها العبرانيون وغيرهم خارج بلاد اليونان وتعلموها بواسطة التجارة وفى مدن كولونية ومدن أخرى نظير مدينة الاسكندرية والمدن التى كان سكانها من آسيا ومن بلاد اليونان ولذلك تعلموا اللغة المشهورة لا الاصلية التى تستعمل فى الكتابة وقد وجدت كما كان ينتظر بالضرورة آثار اللغة العبرانية أو بالحرى الارامية لغتهم الخاصة حينئذ فى لغتهم اليونانية لأنهم كانوا غرباء فيها ، وقد دعي اليهود اليونان الذين كانوا يتكلمون باللغة اليونانية كما هى فى العهد الجـــديد (هلنين) أى يونانيين ولهذا ســميت اللغة اليونانية اليهـــودية (اليونانية الهلانية) واقدم آثار هذه اللغة الترجمة السبعينية وبما ان اليهود ترجموها رأسا من العبرانية فقد ظهرت فيها خصائص اللغة العبرانية ونقص معرفتهم فى اليونانى واللغة اليونانية كانت شائعة ايضا مع اللغة الارامية فى تلك الاثناء فى فلسطين بسبب مداخلات اليهود واليونانيين الساكنين فى مصر وآسيا الصغرى مع سكانها لانهم كانوا يذهبون كثيراً الى اورشليم ، وقد كتب العهد الجديد فى هذه اللغة التى كانت وقتئذ معروفة فى العالم الشرقى .

واذا استثنينا بولس الرسول ولوقا الانجيل نحكم بان كتبه العهد الجديد كانوا غير متعلمين اليونانية بل عرفوها نظير أهل بلادهم من مجرد المداخلة فى الاشغال الاعتيادية لا من الكتب ولذلك نرى ان رائحة العبرانية واصطلاحاتها ظاهرة كثيراً فى لغة العهد الجديد .

أ ما قولنا ان العهد الجديد كتب باللغة اليونانية فهو لا ينفى ايضا وجود بعض اسفار كتبت بغير هذه اللغة ، فان بعضهم ارتأى ان متى كتب انجيله بالعبرانية لغة اليهود المستوطنين وقتئذ اذ سألوه عند ذهابه اليهم ان يدون لهم خطا ما انذرهم به شفاها . ومن المؤكد ان العبرانيين المستوطنين فى زمان المسيح لم يكونوا يتكلمون باللغة، العبرانية المحضه بل السريانية التى كانت لغتهم الدراجة كما مر . وهذا الانجيل

الذى كتبه متى بلغة اليهود على رأيهم لا شك أنه ترجم حالا الى اللغة اليونانية لأفاده يهود الشتات لان اليونانية كانت لغتهم وقتئذ كما سلف . وزعم بعضهـم ان الذى ترجمه هو متـى بنفسه وعلى كل حال فان كان هو الـذى ترجـمه أو غيره فلا يشك فى ترجمته لان بعض الاسماء تـوجد فيه متـرجمة الى اليونـانية كقـوله " عمانوئيل اى الله معنا " (ص ١ : ٢٣) وقوله " ايلى ايلى لما شبقتنى أى الهى الهى لماذا تركتنى " (ص ٢٧ : ٤٦) وقد كان برثولماوس الرسول يحمل انجيل متى وهو مكتوب بخط متى نفسه باليونانية وقد تركه كنزاً نفيسا وأثراً ثمينا لسكان اليمن تداولته الأيدى من الآباء الى الابناء ومن الاجداد الى الاحفاد حتى عثر به بنتينوس الفيلسوف الاسكندرى فسألهم عمن اتى به اليهم فقالوا له انه القديس برثولماوس . أما رسالة العبرانيين فلم يبق بعد ريب فى انها كتبت باللغة اليونانية .

الفصل الثانى

زمن جمع الكتاب

" حينئذ امر داريوس الملك ففتشــوا فى بيت الاســـفار حيث كانت الخزائن موضــوعة " عز ٦ : ١

طالت مدة تأليف الكتاب المقدس قرونا كثيرة فان موسى وضع التوراة بجانب التابوت " تث ٣١ : ٢٤ – ٢٦ " ثم زاد عليها يشوع تاريخ انتصاراته " يش ٢٤ : ٢٦ " وكتب صموئيل ماجد عنده ١ صم ١٠ : ٢٥ ثم كتبت بعد ذلك الاسفار التاريخية بحيث ان الانبياء المتأخرين كارمياء يقرأون ما كتب قبل أيامه حتى ان بعض كتاباته كانت تشبه بعض كتابات الأنبياء المتأخرين . مثال ذلك " قابل ار ٤٨ مع اش ١٥ و ١٦ " بخصوص موآب " وار ٤٩ : ٧ –١٧ مع عو ١ : ١ – ١٧ " بخصوص آدم .

غير انه لم تجمع هذه الاسفار كلها قبل سبى بابل . وزعم اليهود ان عزرا جمع الاسفار القانونية على هيئتها وعاضده فى ذلك رجال المجمع الكبير . ويستدل مما تقدم ان العهد القديم كان مجموعا على الهيئة التى نعهده فيها الآن منذ الرجوع من سبى بابل وان الذى جمعه كما قلنا هو عزرا بمساعدة رجال المجمع الكبير ويحسب من ضمنهم حجى وزكريا وملاخى الذين لم تضم اسفارهم الى هذه المجموعة . انما هذه الاسفار اضيفت الى الاسفار المجموعة عن يد سمعان كاهن اليهود العظيم الملقب بالعادل الذى توفى سنة ٢٩٢ ق . م وقد كان رجلا حكيما فاضلا وهو آخر من بقى من اعضاء المحفل العظيم والمجع الكبير الذى رسمه عزرا لاصلاح كنيسة اليهود وكان يجمع مائة وعشرين نفسا .

وقيل ان سمعان هذا الملقب بالعادل هو الذى قابل العهد القديم آخر مقابلة وتممه باضافته اليه الاسفار المذكورة التى استثناها عزرا ويتأيد هذا القول مما ورد فى كتاب " اصول التلمود " ص ٢٦ " وفى ايام الكنيسة الكبرى (او المجمع الكبير) جمعت اسفار التوراة والانبياء لاول مرة " .

اما العهد الجديد فانه شرع فى جمع اسفاره كتابا واحداً فى القرن الاول فضم اكثرها وكانت تقرأ فى المحافل العامة فى القرن الثانى وينسب جمع العهد الجديد كما ارتأى البعض الى مرقس الرسول إلا ان هذا غير صحيح لان مرقس ذهب الى السماء قبل ان يكتب يوحنا الانجيلى كتبه الخمسة ويرجح ان اسفار العهد الجديد جمعت بمعرفة يوحنا الرسول لانه عاش مدة بعد وفاة جميع الرسل ، ويتضح ذلك بالاكثر من الكتاب ذاته فان يوحنا جمع اولا البشائر وتحقق منها ان كاتبيها لم يدونوا فيها كل ما عمله السيد المسيـح على الارض (يو ٢٠ : ٣٠ و ٣١ و٢١ : ٢٥) ثم اذ كان فى آسيا الصغرى ويقـطن افسس كانت رسائل بولس الرسول كلها مجموعة فى كنائس آسيا كما تشير الى ذلك الرسول بطرس (٢ بط ٣ : ١٥) وكانت رسائل بطرس ويعقوب ويهوذا مكتوبة ليـهود الشتات فى اقـاليم آسيـا ايضا " يع ١ : ١ : و١ بـط ١ : ١ و ٢ و ٢ بط ٣ : ١ ويه ١ " ويوحنا الرسول كتب كتبه الخمسة فى افسس كما اثبت المحققون فلا يبعد اذ ذاك يكـون هو الذى جمع كـل هذه الكتب من اقاليم آسيا لتقرأ فى المحافل العامة .

ومما يثبت كون يوحنا الرسول جمع اسفار العهد الجديد هو معرفته بان المؤمنين كانوا يشـتاقون لمطالعة كتابات الرسل ولذلك كانوا يرغبون فى قراءتها بالكنائس ويشير هو الى ذلك فى رؤ ٢٢ : ١٨ بقوله " لأنى أشهد لكل من يسمع اقوال نبوة هذا الكتاب " فهو التأكد ان رؤياه ستتلى على مسـمع كثيرين فى الكنائس . وقال الرسول بولس " ومتى قرئت عندكم هذه الرسـالة فاجعلوها تقرأ فى كنيسة اللاودكيين " " كو ٤ : ١٦ " وقال ايضا " اناشدكم بالرب ان تقرأ هذه الرسالة على جميع الاخوة القديسين " " اتس ٥ " ٢٧ " ولا ريب ان المسيحيين الاول كانوا يطالعون الكتب المقدسة فى معابدهم قال يوستين الشهيد بعد اذاعة الانجيل بسبعين سنة فى سنة ١٤٠م " ان البشائر ورسائل الرسل كانت تقرأ حسبما يساعد الوقت وذلك فى يوم الأحد حيث كان يجتمع فى المدن والضياع جمهور غفير من المسيحيين لسماعها " وقال تروتوليان بعده بخمسين سنة " نحن المسيحيون نجتمع معا لنطالع الكتب المقدسة ونغذى ايماننا ونرفع رجاءنا ونؤيد وديعتنا بالكلمة الالهية " وقال آخر " ان المسيحيين فى القرون الأولى كانوا

يظنون الجلوس عند تلاوة الانجيل تفريطا فكانوا يقفون عند تلاوته " وقال موسيهم المؤرخ " وقرئت الكتب المقدسة عند المسيحيين فى الجيل الاول فى اجتماعاتهم الجمهورية ولذا قسموها إلى أجزاء أو أمثولات " ومنه يستدل على أن الانجيل كما هو الآن كان معروفا ومجموعا فى القرون الاولى .

ومما يبرهن على أن الانجيل كان مجموعا فى مجلد خصوصى فى العصر الاول هو استشهاد العلماء به فى العصر ، فتكلم أغناطيوس أسقف أنطاكية بعد صعود المسيح بأربعين سنة عن الكتب المقدسة بقوله " البشائر والرسائل " اى العهد الجديد وكذلك اكليمنضس أسقف رومية الذى كان عاملا مع بولس الرسول " فى ٤ : ٣ " ألف رسالة واستشهد فيها بقول المسيح " طوبى للرحماء لانهم يرحمون " مت ٥ : ٧ وهرماس الذى كان معاصراً لبولس أيضا (رو ١٦ : ١٤) وضع كتابا فى ثلاث مجلدات فى أواخر الجيل الاول واستشهد فيه كثيرا بالعهد الجديد ، وبوليكاربوس تلميذ يوحنا الرسول لم يبق من مؤلفاته سوى رسالة استشهد فيها بنحو أربعين شاهدا من الانجيل وهكذا فعل بابياس وبوستين وايرينوس وأتيناغورس وكلهم لم يتخطوا الجيل الثانى .

وجـــاء فى كتاب " تاريخ الكنيســة المسيحية " للعـــلامة موسيهم ص ٣٣ فقرة ١٥ – ١٧ " من بين جميع العلماء المسيحيين والكتبة الكنسيين الرسل وبعض تلاميذهم الذين يستحقون أن يدرجوا فى الطبقة الاولى لانهم كتبوا تواريخ أعمال المسيح مسوقين من الروح القدس وجمعت كتاباتهم فى مجلد واحد وهى فى أيدى كل من يعترف بأنه مسيحى .. وأما الوقت والاشخاص الذين جمعوا كتب العهد الجديد فى مجلد واحد فاختلفت آراء العلماء بخصوصهم لأن الأمر مكتنف بصعوبات معقدة لاتفك عندنا نحن الذين فى هذه الايام الاخيرة ويكفينا ان نعرف بأنه قبل أواسط القـرن الثانى كانت اكثر كتب العهد الجديد فى كل كنيسة مسيحية فى كل العالم المعروف وكانت تقرأ وتعتبر كدستور الهى للايمان والعمل ومن هنا نجزم بأن هذه الكتب أفرزت وتميزت عن التآليف البشرية حين كان بعض الرسل أحياء ولا ريب بأن البشائر الاربعة جمعت فى حياة يوحنا الرسول وأن البشائر الثلاثة الاولى صادق عليها هذا الانسان الملهم . ولماذا لا يجوز ان نظن بأن بقية كتب العهد الجديـد جمعت فى مجـلد واحـد فى ذاك الوقـت بعينه ؟

وقد كانت أسباب متنوعة تستلزم جمعها فى المدة الاولى منها السبب الخصوصى انه لم تطل المدة بعد صعود المسيح الا وتألفت تواريخ مختلفة عن حياته وتعاليمه مملوءة من الخداع والحكايات الكاذبة . كتبها أناس يحتمل انهم لم يقصدوا بذلك شرا لكنهم كانوا منحرفين وبسطاء خدعوا بصورة التقوى وبعد ذلك خدع العالم بكتابات مزورة زوراً باسم القديسين . فهذه الاعمال العديمة النفع كانت قد أحدثت بلبلة عظيمة وصيرت ديانة المسيح وتاريخه مشبوهين لا يوثق بهما لولا مداخلة رؤوساء الكنيسة فى الوقت المناسب وتمييزهم الكتب الالهية الصحيحة عن الكتب الباطلة وجمعهم اياها فى كتاب واحد " .

وينقسم تاريخ جمع أسفار العهد الجديد وتنقيحها الى ثلاثة مدات :

" ١ " الى سنة ١٧٠م ، كان بولس يعلم بأن لرسائله منفعة عامـــة وسلطـــة موجبـــة قبولها " ١ تس ٥ : ٢٧ و ٢ تس ٣ : ٤ وكو ٤ : ١٦ و١ تى ٤ : ٦ و ١٦ " وحذر يوحنا الجميع من إضافة شىء إلى كتاب الرؤيا أو حذف شىء منه " رؤ ٢٢ : ١٨ و ١٩ " واعتبر بطرس رسائل بولس مثل بقية الكتب " ١ بط ٣ : ١٥ و١٦ " ونرى من مؤلفات الآباء من سنة ٧٠ إلى ١٢٠م أنهم كانوا يعرفون اكثر كتب العهد الجديد القانونية وقد سمى هذا القرن قرن المحتجين وكان هؤلاء الافاضل يحامون عن الديانة المسيحية باستشهادهم بحوادث حياة المسيح وفى اثناء ذلك اتضح ان البشائر الاربع الفضل على كل التواريخ سواها فأخذت الكنيسة تعتبرها نبع الحق واصل التعاليم الدينية واكرمتها وقوت سلطتها المطلقة فى امور الدين . وفى آخر هذا القرن تألفت الكتب القانونية فى المجموع المعروف بالمجموع الموراتورى وفى تلك المدة ذاتها ترجم العهد الجديد الى السريانية (ترجمة الباشيتو) والى الايطالية (ترجمة الايطالا) .

" ٢ " من سنة ١٧٠ الى سنة ٣٠٣م قال وستكوت بعد درس مدقق فى مؤلفات الآباء فى هذه المدة ان الكنيسة كانت قد قبلت البشائر الاربعة واعمال الرسل والرسالة الأولى لبطرس والأولى ليوحنا والرســــائل الثلاث عشرة لبولس الرســـول والرؤيا ولم يكن من تلك الايام الى ايامنا هـــذه من رفض من هــذا المجموع ســـفراً سوى الرؤيا الذى شك فيه البعض . اما الرســـالة الى العبرانيين فقبلها الشرقيون ولم يقبلها الغربيون . وفى تلك المدة لم تســـتعمل كثيراً رســـائل يعقوب ويهوذا والثانية والثـــالثة ليوحنا وكذلك الثـــانية لبطرس .

" ٣ " من سنة ٣٠٣ الى ٣٩٧م . عند نهاية هذه المدة أيد كرنج الثالث سنة ٣٩٧م الاسفار السبعة والعشرين للعهد الجديد ومن ثم لم تزل هذه الاسفار معتبرة قانونية الى ايامنا هذه وذلك عند الكنائس الشرقية والغربية .

اما تاريخ ضم العهد القديم والعهد الجديد الى مجلد واحد فيمكننا الاستدلال عليه من تاريخ النسخ المحفوظة فى عواصم الممالك التى تحتوى على التوراه والانجيل معا فمن هذه النسخ النسخة المعروفة بالفاتيكانية لوجودها الآن بالفاتيكان فى رومه والأرجح انها قد خطت سنة ٣٠٠م . والنسخة السينائية نسبة الى جبل سيناء حيث اكتشفت فى دير الروم سنة ١٨٤٤ وقد نسخت فى القرن الرابع للميلاد . والنسخة المعـروفة بالاسكندريه وهــى موجودة الآن فى مدينة لوندره فى مكـتب دار التحـف الشهيرة ، وقد أرسلها البطريك كيرلس كـارلوس القسطنطينية هدية لـلملك كارلوس الأول الانكليزى سنة ١٦٢٨م وعلى وجــه هذه النسخة اى على اول صفحه منها معلق بعـض اسطر باللغة العربية قديمة التاريخ مضـــمونها ان كل هذا الكتاب قد نســـخ بيد سيدة مصـــرية شهيرة اسمها تقلا فى نحو الوقت الذى كان فيه مجمـــع نيقية سنة ٣٢٥ والنســـخة المعروفة بالافرائميه وهى الآن فى مدينة باريس فى المكتبة الملوكية وقد كتبت فى الجيل الخامس .

ويظهر مما تقدم ان العهد القديم ضم الى الجديد على الأقل فى القرن الرابع وعلى كل حال فقد ثبت من البحث فى مقابلة نسخ الكتاب المقدس صدق اسفار العهد القديم والجديد فى كل ما يختص بالامور المهمة، كما ذكرنا ولم يؤثر ذلك ادنى تأثير فى التعاليم والواجبات وقد تبرهن من ذلك انه ليس فى كتاب الله تحريف وظهر انه مع مرور قرون كثيرة حفظت الاسفار المقدسة بغاية النقاوة والطهارة على نوع عجيب . ووجد ان الكتاب باق كما كان منذ اكثر من الف وتسع مئة سنة بدون ادنى تغيير جوهرى فنهنىء القارىء بان المتن المقبول بين يديه هو جوهريا نفس المتن الذى استخرجه اكبر العلماء وأدقهم بعد الفحص التام من مجموع نسخ عديدة قديمة لا يحصى لها عدد .

الفصل الثالث

اقسام الكتاب

" مكتوب عنى فى ناموس موسى والانبياء والمزامير "

لو ٢٤ : ٤٤

يتقسم الكتاب المقدس الى ٦٦ سفراً وتنقسم هذه الأسفار " ١ " الى ١١٩٨ اصحاحا وتنقسم الاصحاحات الى ٣١٣٠٢ عدداً . والأعداد الى ٤٣٠٩٣٨ كلمة . أما عدد حروف الكتاب المقدس فيبلغ ٣٥٦٨٤٨٠ حرفا وقد تكررت الواو العاطفة فى الكتاب المقدس ٤٦٢٠٩ مرة وقد أحصى اليهود عدد كل حرف ورد فى التوراة فالألف تكرر ٤٢٣٧٧ مرة والباء ٣٨٢١٨ مرة والجيمل ٢٩٥٣٧ والدالت ٣٢٥٣٠ والها ٤٧٥٥٤٠ والفو ٧٦٩٢٢ والزين ٢٢٢٦٧ والشيث ٢٣٤٤٧ والتاث ١١٠٥٢ واليود ٦٦٤٢٠ والكاف ٤٨٢٥٣ واللامد ٤١٥١٧ الخ .

اولا - اقسام العهد القديم . جاء فى كتاب " اصول التلمود " ص ٢٥ " تقسم التوراة عند الاسرائيليين الى ثلاثة أقسام (١) توراه . أى اسفار موسى (٢) نبئيم . أى اسفار الأنبياء وهم الأنبياء الاولون يشوع والقضاة وصموئيل ١ و ٢ والملوك ١ و ٢ والانبياء المتأخرون وهم ينقسمون الى الكبار وهم اشعيا وارميا وحزقيال والى الصغار وهم هوشع الى ملاخى (٣) كتوبيم . أى المحررات المقدسة التى هى المزامير والأمثال وايوب ونشيد الأنشاد وراعوث ومراثى ارميا والجامعة واستير ودانيال وعزرا

" ١ " هذا التقسيم بحسب الطبعة البيروتية الامريكانية التى ترجم فيها العهد القديم عن اللغة العبرانية والكلدانية والعهد الجديد عن اليونانية وهى اللغات الاصلية التى كتب بها الكتاب

ا ونحميا واخبار الأيام ١ و ٢ ويرجح ان هذه الأسفار مرتبة فى ترتيبها حسب زمن كتابتها . أما المسيحيون فقسموها الى ثلاثة اقسام وهى (١) الاسفار التاريخية من التكوين الى استير (٢) الأسفار الشعرية من ايوب الى نشيد الأنشاد (٣) الأسفار النبوية من اشعياء الى ملاخى .

وتنقسم اسفار العهد القديم التسعة والثلاثين الى ٩٢٩ اصحاحا وتنقسم الاصحاحات الى ٢٣٢٤٨ عدداً وتنقسم الأعداد الى ٣٢٢٥٩٧ كلمة والكلمات الى ٢٧٢٨١٥٨ حرفا وقد تكررت فيه الواو العاطفة ٣٥٥٢٥ مرة .

ثانيا - اقسام العهد الجديد . وينقسم العهد الجديد الى ٢٧ سفراً وتنقسم الأسفار إلى ثلاثة اقسام (١) تاريخية وهى البشائر واعمال الرسل (٢) تعليمية وهى رسائل الرسل (٣) نبوية وهى سفر الرؤيا . ثم تنقسم هذه الأسفار ايضا الى ٢٦٠ اصحاحا والاصحاحات ٨٠٥٤ عدداً والاعداد إلى ١٠٨٣٤١ كلمة والكلمات الى ٨٣٨٣٨٠ حرفا وقد تكررت فيه الواو العاطفة ١٠٦٨٤ مرة .

ترتيب اسفار الكتاب قد اختلف تبويب وترتيب الاسفار المقدسة عند اليهود عما هو عند المسيحيين أما العهد الجديد فيشير إلى تقسيم اسفار العهد القديم " الى الناموس والانبياء " (مت ١١ : ١٣ و ١٢ : ٤٠ واع ١٣ : ١٥ و١٥ : ٢١) وربما كان ذلك على سبيل التعميم . ويقال ايضا ناموس موسى والانبياء والمزامير " لو ٢٤ : ٤٤ " أما العهد الجديد فقد اختلفت النسخ فى ترتيب اسفاره ففى النسخ الفاتيكانية والاسكندرية والافرائمية ترتيب الاسفار كما يأتى :

(١) البشائر (٢) أعمال الرسل (٣) الرسائل الجامعة (٤) رسائل بولس (والرسالة إلى العبرانيين بين الرسالة الثانية الىُ تسالونيكى والرسالة الأولى الى تيموثاوس) (٥) سفر الرؤيا . أما فى النسخة السينائية فترتيب الاسفار هكذا " ١ " البشائر الاربع " ٢ " رسائل بولس ورسالة العبرانيين بين ٢ تس و١ تى " ٣ " أعمال الرسل " ٤ " الرسائل الجامعة " ٥ " سفر الرؤيا .

تقسيم المتن إلى اعداد وإصحاحات . من المحقق أن الكتاب المقدس كان ينقسم من قديم الزمان إلى فصول للقراءة فيه فى أوقات معينة (لو ٤ : ١٧ واع ١٣ : ١٥ و١٥ : ٢١ و ٢ كو ٣ : ١٤) وأول من أتى التقسيم فى العهد القديم عزرا الذى قسم أسفار موسى إلى ٦٦٩ جزءا ثم قسم الحاخامون الناموس الى ٥٤ فصلا حسب عدد السبوت فى سنة الكبيس لليهود وأما الانبياء فلم يدققوا فى ضبط قسمتها الى فصول غير أن فصولها لها كانت مرتبة لكى تقرأ مع فصول الناموس كل سبت وقد انقسمت هذه الفصول لكى تسهل قراءتها على الأشخاص المعينين لذلك ، أما التقسيم الى أعداد فكان فى القرن التاسع للميلاد . ونحو سنة ٢٢٠م قسم امونيوس من الاسكندرية البشائر إلى إصحاحات قصيرة وبعد ذلك تم تقسيم بقية العهد الجديد الى اصحاحات الى أن انتهى ذلك سنة ٥٠٠م وكان آخر ما قسم سفر الرؤيا . وأما التقسيم إلى إصحاحات المعول عليه الآن فمنسوب إلى الكردينال هو كودى سنت شير المتوفى سنة ١٢٦٣م . وأما تقسيم الاصحاحات الى إعداد فاول من إتاه فى العهد القديم الراهب بجنينوس وقسم اصحاحات العهد الجديد الى اعداد روبرت استفانوس العالم الفرنساوى وتمم استيفنس التقسيم المعول عليه الآن الى اعداد سنة ١٥٥١م .

الباب الخامس

كيفية تكوين الكتاب

" لانه لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان بل تكلم اناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس " ٢ بط ١ : ٢١

من يدرك قيمة الوسائط التى استعملت لتكوين الكتاب المقدس يأخذه العجب العجاب ويستولى عليه الانذهال والاستغراب حتى أنه ليقف حائراً لا يبدى حراكا . فقد دالت له رقاب ممالك العالم القوية بأسرها ولم تستطع كل قوتها ان تلاشيه رغماً عن رغبتها فى ذلك ، ولو عرفنا انه كتب بأيدى أناس لم يكونوا من ذوى الشهرة ولا علماء بالمعنى الذى يفهمه أهل العالم لاستحوذت علينا الدهشة بأكمل معانيها . ثم اننا نتعجب أيضا اذا لاحظنا مقدار عدد الكتبة الذين كتبوا فى التوراة وهم موسى وصموئيل وداود وعزرا وسليمان وأشعياء وجميع الانبياء فى العهد القديم وفى العهد الجديد متى ومرقس وبطرس وبولس ويوحنا وغيرهم وقد بلغ عددهم أربعين شخصا جميعهم اشتغلوا فى هذا العمل . ولا نتعجب من مقدار عدد الكتبة فقط بل ومن الاختلاف الكائن بينهم ، فان منهم العلماء كموسى وبولس ، والبسطاء كمتى وبطرس ، والملوك كداود وسليمان والرعاة والفلاحون والصيادون ومع ذلك فانهم كلهم قد اتفقوا فيما كتبوا وفيما عملوا وان كانوا يختلفون مهنة وعملا . فما أعجب ذلك !

ففى الكتاب وحدة فى التعاليم الدينية وفى المحاماة عن المبادىء الأدبية المقررة فيه من معلمين بعيدين عن بعضهم بعضا زمانا ومكانا . ومع أن أجسامهم كانت متفرقة الا أن أرواحهم متفقة فلم يختلفوا عن بعضهم ولم يعارض أحدهم الآخر فى المبادىء ولا

فى الواجبات الدينية التى يقررونها والتى يناضلون عنها . وكذلك نجد بينهم فيما يوردونه من الحوادث التاريخية اتفاقا لا نظير له فى التاريخ العالمية .

والأمر واضح أنه لو وجد أقل اختلاف بين التعاليم الدينية التى علمها الكتبة المقدسون لفسدت دعوى إلهامهم وبالعكس ان اتفاقهم هو برهان قوى على إلهامهم . ولهذا الاتفاق بين الكتبة المقدسين إعتبار كلى ولا سيما لما هو غير مقصود منه . فاذا أمكن بيان وجود مطابقات غير مقصودة ومجردة عن كل غاية فتلك المطابقات براهين ظاهرة على خلوص نية أولئك الكتبة وصدقهم وعلى إرشادهم من الوحى الذى عصمهم من الغلط فى القول والكتابة . هذا وإن الكتبة الذين اشتغلوا فى هذا الكتاب كانوا مع اختلافهم قليلى الخبرة فى المواضيع التى ترتبت عليها الكتابة وكان مثلهم مثل صناع تحت قيادة مهندس معمارى غير منظور يضم كل منهم عمله إلى هذا البناء الادبى الكبير ، فوضع موسى روافد الناموس القوية ، وزين داود القواعد والاعمدة بصناعة التسبيح والصلوات ، وأنشأ سليمان نقش الحكمة ، ومزج أرميا الطين بدموعه ، وركب اشعيا ودانيال نوافذ النبوة التى تطل على مناظر الحال والاستقبال . ووضع بقية الانبياء والكتبة مواد الحوادث التاريخية والاغانى الروحية والتحذيرات الالهية والتعازى السماوية إلى أن جاء زمان أهل الانجيل فكملوا البناء بتاريخ حياة السيد المسيح العجيب وختمه صاحب الرؤيا بالمناظر البديعة المشرفة على جمال الابدية .

غير أن هؤلاء الكتبة وأن اتفقوا فى الموضوع الواحد فقد امتازوا بمواهبهم المتنوعة فالذى كتب سفر راعوث يختلف عن كاتب المزامير وكل منهم غنى دوره وسطر ما أوحى اليه وهو لا يعلم شيئا عن غيره حتى ضمنت العناية اصواتهم معا وصار من مجموعها صوت كامل الترتيب عجيب المعنى مما لم يتفق لكتاب سواه وقد لاحظ بعضهم ذلك فانشأ يقول :

كيف يستطيع ان يحيك اناس	من رعاع القوم أميونـــا
مثل نسج الانجيل نسج اتفاق	بينهم فى جميع ما يروونا
ان ذاك الوفـاق امـر عجيـب	نعمة الله اوصـلتهم اليــه
ويوحـى تعلمــوا كلمـا قــد	كتبوه بعد اطـلاع عليــه

وكيف نفسر هذا الاتفاق ؟ يوجد امر واحد يوضح الاسباب ويزيل كل عجب واستغراب وهو ان الكتاب موحى به من الله وافكار الكتاب هى افكار الله وهؤلاء الاربعون شخصا نقلوا فقط ما امرهم الله ان يكتبوه فهو الذى حرك عزآئمهم على الكتابة وساعدهم بالهام خاص الى معرفة ما لم يعرفوه من قبل وارشدهم الى ان يكتبوا بحسب مشيئته تعالى وعصمهم من الزلل والخطأ فى كل ما كتبوه من حوادث وامور تاريخية بحيث انه ما دام الله هو المرشد لاولئك الكتبة فانهم يكتبون ما لا يستطيع حكماء العالم تسطير حرف منه . ومهما اختلفت اذواق الكتبة ومعارفهم فالكتاب يسير على نمط واحد . فلسفة بولس لا تفوق عن بساطة يعقوب واعلانات يوحنا فى سفر الرؤيا لا تختلف عن بساطة متى فى الانجيل وتهذيب موسى بكل حكمة المصريين لم يكن اقوى من بطرس الصياد من حيث ارشاد الروح إلا من جهة المواهب الطبيعيه التى تختلف فى كل كاتب . قال احد الافاضل " يوجد مؤلف واحد داخل الكتبة الكثيرين جعل الكتاب ان يسير على نمط واحد ويرمى الى غرض واحد من بدايته الى نهايته رغما عن اميال الكتبة المشار اليهم وهو روح الله " وقال هنرى مارتن " ان الكتاب المقدس هو كتاب واحد وفريد اذ صنع عن ايدى اكثر من اربعين مؤلفا وهم مختلفو التهذيب والظروف والازمنة الواقعة فى ستة عشر جيلا من التاريخ او بعبارة اوضح مر على تكوين الكتاب المقدس خمسون جيلا متواليا . يشبه الكتاب فى هذا الصدد هيكل او قصر بنى عن ايدى كثيرين انما هو مرسوم عن يد مهندس واحد وهو المبدع والمحى والمحرك فى كل البناء ولا اخالكم تجهلون ان هذا المهندس لم يكن غير الله فقط مكون كل الكتاب وحده لانه هو وحده كان موجوداً وحاضرا فى كل الاجيال الخمسين المومأ اليها وهو الذى اســـتطاع ان يجعل الكتبة يأتون بالنتيجـــة العجيبة اى الكتاب المقدس نفســـه " .

ورب سائل يسأل : لماذا اصطفى الله الكتبة من الذين لم يتهذبوا فى المدارس ومن الطبقة غير المعتبرة فى نظر الناس ؟ فنقول . بلى . وان كانوا قبل ان يصطفيهم لا يفقهون شيئا الا انه بعد ما اختارهم بث من روح معرفته فيهم فدونوا ما يرتشف منه العالم الفهم وما يستقى منه العلم ، ولولاه لأصبح الخلق فى فوضى لايميزهم عن الحيوانات الا النطق ولأفضى بالناس الى احط دركات الوحشية فهو مصدر الشعور

الحى ومن تركه سار يتخبط فى الظلام . قال السيد متى هيل الانكليزى سنة ١٦٦٠ " هو كتاب مملوء من النور والحكمة فهو يحكمك للحياة الابدية ويقدم لك ارشادات وتعاليم بها تتصرف وترتب حياتك ترتيبا بأمن وفطنة . فلا كتاب يشابه كتاب الله فى التعليم والحكمة والفائدة الفائقة " .

ومن المعلوم ان الله لو اراد إظهار اعلاناته الالهية ومشيئته الطاهرة الى البشر لكان من الضرورى ان لا يتركه للضعفاء المعرضين للغلط والسهو والنسيان بل الى رجاله الاتقياء المصحوبين بنعمته الالهية حتى يتمموا هذا العمل حسب مشيئته تعالى . اما كونهم من الطبقة المنظورة بين الناس فالكتاب يقول " سأبيد حكمة الحكماء وارفض فهم الفهماء . اين الحكيم اين الكاتب ؟ اين مباحث هذا الدهر ؟ ألم يجهل الله حكمة هذا العالم فانه اذ كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسن الله ان يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة لان اليهود يسألون آية واليونانين يطلبون حكمة ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوبا لليهود عثرة ولليونانيين جهالة .. لان جهالة الله احكم من الناس وضعف الله اقوى من الناس . فانظروا الى دعوتكم ايها الاخوة ان ليس كثيرون حسب الجسد ليس كثيرون اقوياء ليس كثيرون شرفاء . بل اختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء . واختار الله ضعفاء العالم ليخزى الاقوياء واختار الله أدنياء العالم والمذدرى وغير الموجود ليبطل الموجود " (١ كو ١ : ١٩ – ٢٨) .

فمن مناهج بعض العلماء البحث فيما لا يسوغ لهم البحث فيه فيطلقون لمداركهم العنان فى البحث عن وجود الله فينقادون الى الضلال . ومن عادة البعض ايضا انهم يرفعون عقولهم ليضعوا كلمة الله . وان كان عقل الانسان من هبات الله الجيدة غير اننا نعرف انه انحراف بالخطية وقد أساء الانسان استعماله كسائر العطايا الصالحه الاخرى فان الله اعطى الانسان العقل ليفهم به كلام الله ويسلم بكل ما يقوله تعالى ويعمل بحسب ما يوحيه اليه . ولكن بعض العلماء عندما يخاطبهم الله فعوضا عن الخضوع لارادته يبحثون هل هذا الكلام هو نفس كلام الله ام لا ؟ مع ان ملزومية كل انسان ازاء هذه الحالة ان لا يبحث فى كلمة بواسطة العقل بسبب انحرافه فان كلمة الله نزلت لتحكم علينا لا لنبحث فيها ونحكم عليها ، ولا يسوغ ان يحكم محكوم على حاكم .

حقا ان الله جهل حكمة هذا العالم فان حكماءه لا يؤمنون ان لم يبحثوا ويحكموا عقليا فيما هم مدعوون لتصديقه فعندهم المحور الوحيد هو العقل وكلما بحثوا متعظمين بأنهم ليسوا كسائر الناس الذين يقبلون كل شيء بالتسليم والايمان اتسعت امامهم دائرة البحث وارتبكت عقولهم . قال الكتاب " خزى الحكماء ارتاعوا وأخذوا . ها قد رفضوا كلمة الرب فاية حكمة لهم " ار ٨ : ٩ .

ولعمرى ما اعتقادات بعض العلماء الا اكاذيب ، وما فلسفتهم وتعديهم على الكتب الموحى به الا فلسفة عمياء فهم يتلمسون الحقيقة فى ظلمات بعضها فوق بعض ، وما هم بعلومهم المختلفة التى هم فيها على طرفى نقيض الا فى خسران وما نصيبهم الا الخزى المبين .

ومن اين الكفر وما هى أسبابه ؟ انه ظهر اولا بين صفوف العلماء وهم لا يزالون مصدره فالانسان الذى يدعى لنفسه العلم قد يحاول ان يثبت علمه بارتيابه فى كلمة الله ولكن البسطاء اقرب الى قبولها من سواهم ولهذا لم يشأ الله ان يكون كتبة الكتاب من بين العلماء المذكورين بل اختارهم من بين الطبقة التى تسلم بكل ما يقوله او يوحيه تعالى لهم . وما اوفق قول السيد له المجد " اخفيت هذه عن الحكماء والفهماء واعلنتها للاطفال " مت ١١ : ٢٥ ويعجبنى قول احد الافاضل " ان نجاح بولس الرسول فى اثينا وافسس كان قليلا لانه تكلم مع الفلاسفة بلغة الفلاسفة ولكن نجاحه فى كورنثوس كان عظيما لانه بشرهم بجهالة الكرازة " واليك شهادة يوحنا ملتن اكبر شعراء الانكليز عما كتبه البسطاء قال " ان الله قد رتب ليكون اعلان قوته وحكمته بالمسيح يسوع . واما انا فانى أود ان اكون مستحقا لان أحسب بين الذين يسرون ويلهجون بها لاجل وضوحها فلا ترنيمات يمكن ان تقابل مع ترنيمات صهيون ، ولا خطابات تعادل خطابات الانبياء ولا قوانين سياسية تشابه تلك التى نتعلمها من الكتب المقدسة " .

وان قيل ان الكتبة لم يكونوا من فئة واحدة بل كان من بينهم العلماء كموسى وسليمان وبولس ، فنقول نعم انما كان علمهم خاضعا لسلطة الوحى الالهى فكان الواحد منهم يسلم بكل ما يوحيه تعالى مع مخافته لمبدأ العلم كما يسلم البسيط . ويلوح

لنا ان رجال هذه الطبقة المتعلمة قد عانوا اشد مما عانى رجال الطبقة غير المتعلمة لانهم تنازلوا عن عملهم وخضعوا بافكارهم لسلطة الوحى الالهى مع صعوبة ذلك .

ولو كان الانذار بالانجيل مستنداً الى اعمال الطبيعة ومساعداتها لكان ذلك ابطالا واضعافا لقوة الصليب العجيبة كما قال الرسول بولس . فالانجيل بدون الاستعدادات البشرية قرر له بقوة الله ان يفتح بنفسه القلوب ويبين للعالم بهذه المعجزة انه آت من الله وبذلك أخزيت ورفضت هذه الحكمة البشرية وينتج من ذلك ان اهتداء الأمم ودخول الكثيرين الى المسيحية وتلك الاقوال التى ادهشت العلماء فى كل عصر لم تكن من براهين البشر وخطبهم المقنعة .

لا اقول ان الفصاحة والحكمة لم توجدا فى اكثر الكتب المقدسة ولا فى نفوس كاتبيها بل انهم لم يتكلوا على هذه الحكمة ولا على تلك الفصاحة ولذلك لم يطلبوها طلب ما يقوى الكلام ويروج المقال فكل شيء مؤسس كما قال الرسول لا على برهان الحكمة، البشرية المقنع بل على آثار روح الله وقوته اى على العجائب التى تبهر الابصار وعلى عمل نعمة الله الباطن .

وإذا طالعت ابلغ الاقوال واعمق كتب الفلاسفة والحكماء لا تجد فيها ما يوازى اقوال الكتب الطاهرة التى دونت بدون مساعدة حكمة بشرية ولا فلسفة عالمية فكل أقوال " أومر " البليغة المؤثرة لا تقابل بما يحتويه سفر المزامير من المعانى السامية . وافضل وصف لا يشابه وصف اشعياء للقدير الذى ليست الممالك فى عينيه الا ذرة من الغبار وليس العالم الا كخيمة تضرب اليوم وتقوض الغد . واى شيء فى كتب الرثاء ، ان كان قصيدة هوميروس فى وصف حريق تروادة التى حملت نيرون على احراق رومية أوغيرها يماثل رثاء ارميا وحنانه القائل " ياليت رأسى ماء وعينى ينبوع دموع فابكى ليلاً ونهاراً قتلى بنت شعبى " ؟ ؟ ان كلام الكتاب يزدرى بكل تعليم ويحتقر كل فلسفة .

و ان قيل لماذا لم يجعل الله الكتبة الذين كتبوا الكتاب من الملائكة ؟ فنقول ذلك لان طبيعتهم ونوقهم يباينان طبيعة البشر وقد جعلهم من البشر لكى تكون شهادتهم قوية على بنى جنسهم لان اقوى الشهادات هى متى كان الشاهد ذا صلة للمشهود عليه . وقد اختارهم من الامة العبرانية لانها كانت الامة الوحيدة التى تعرف الله . ثم انه قد

جعل بين كتبة العهد الجديد واحداً اميا وهو لوقا لكى نعرف ان هذا هو ابتداء زمن المساواة بين الجمــيع " لانه لا فــرق اذ الجمــيع اخطأوا واعوزهم مجد الله " رو ٣ : ٢٢ و٢٣ .

فيظهر مما سلف ان المولى قد اتخذ ابسط الوسائط واسهل الاساليب لتكوين كتابه فلم يجهز له مواداً كثيرة او علماء متفقهين اوكتبة بعد استعداد طويل بل بالعــكس كتبه بدون تهيئة ، وكل هذا يقودنا بحكم الضرورة الى الاعتراف بان الكتاب هو كتاب الله لانه هو وحده الذى صنعه وبروحه اتقنه وفى ابنه ارسله ؟

الباب السادس

كيفية إعـــــــلان الوحى

" روح الرب تكلم بى وكلمته على لسانى " ٢ صم ٢٣ : ٢

ما هو الوحى ؟ هو ذلك التأثير الفائق الطبيعة الذى به يعمل الله بروحه فى عقل بعض الناس ليسوقهم إلى إشهار الحق سواء كان ذلك الحق معطى لهم على كيفية طبيعية أم لا . وعلى هذه الطريقة قد أوحى الله للرجال الذين كتبوا الكتاب المقدس ما أراد أن يدونه فيه لفائدة الانسان كى يحيط علما بما يجب عليه معرفته من الايمان والعمل لكى ينال الخلاص الابدى فتكلم أناس الله مسوقين من الروح القدس " ٢ بط ٢ : ٢١ " وعلى ذلك قال بولس الرسول " كل الكتاب هو موحى به من الله " ٢ تى ٣ : ٢٦ والوحى بهذا المعنى هو حلول روح الله فى عقول الكتاب الملهمين لكى يفيدهم بحقائق روحية أو حوادث مستقبلة لم يكن يمكنهم التوصل اليها إلا به ولكى يرشدهم إلى تأليف حوادث معروفة أو حقائق مقررة والتفوه بها شفاها أو تدوينها كتابة بحيث يعصمون من الخطأ والزلل والنسيان .

والوحى خلاف الاعلان فالاعلان هو كشف حق الهى لعقل النبى مما لا تمكن معرفته على طريقة أخرى . والوحى أو الالهام هو ما وقع فى القلب من علم أو ما القى إلى الأنبياء من عند الله لإنسان على حقه أو عدمه وهذا هو مرادنا به هنا وبناء على ذلك نقول أن ليس كل الكتاب معلنا من الله بل كله مكتوب بوحى من الله ، وبالتالى هو كتاب معصوم متضمن كل ما شاء الله ان يكتبه لاجل التأديب الذى فى البر . لأنه لا يخفى أن فى الكتاب المقدس عبارات غير صحيحة البتة وهى ليست إعلان حق الهى

كالعبارات المأخوذة من كتب الوثنيين وكلام الشيطان وأحاديث الناس الأشرار بل بعض الأبرار أيضا ، ومن ذلك الشيطان مع أمنا حواء ورسالة سنبلط الخداع الى نحميا وشكوى ترتلس على بولس وتفنيد أصحاب أيوب الثلاثة لاقواله وما قاله هو وإياهم مما لا يليق بالله فان جميع هذه وإن تكن قد كتبت بالهامه تعالى وإرشاده فذلك ليكون بعضها تحقيقا للحوادث التاريخية وبعضهالاظهار خبث الشياطين والناس الاشرار وضعف الابرار وسقوطهم ، وكل ذلك لتحذيرنا وتهذيبنا . فلنا والحالة هذه فى الكتاب المقدس نصوص صحيحة . موحى بها على أعمال وأقوال كاذبة فى ذاتها .

ويفهم من هذا أن الأسفار المقدسة قد اشترك فى كتابها الله والبشر . أما البشر فبممارسة قواهم لتعبير كل منهم عن أفكاره بموجب نفسه الطبيعى الخاص به وهو يكتب حق الله وإرادته تحت ارشاد الروح القدس ومساعدته وعصمته إياها من الغلط . أما من جهة حالة عقول الأنبياء فى وقت وحى الروح القدس اليهم لا يمكن تصورها تماما فمن الممكن أنهم لم يتأثروا جميعا على كيفيةواحدة ولكن لا ريب فى أن حالتهم حين الوحى كانت خصوصية كما يتضح من ار ٦ : ١١ و٢٠ : ٩ وحز ٣ : ١٤ ومى ٣ : ٨ .

وكيفية كتابة كل سفر من الاسفار الالهية تختلف باختلاف الاشخاص الذين كتبوها وباختلاف الاشخاص الذين كتبت لاجلهم . أما الاشخاص الذين كتبوها فمن حيث تمايز قرابتهم لدى الله ، والاشخاص الذين كتبت لاجلهم من حيث اختلاف أحوالهم فانهم يسلكون طريقا فى هذا الجيل وطريقا تخالفها فى الجيل الآتى ، ولهذا نجد أن الطريقة التى كتب بها هذا السفر خلاف الطريقة التى كتب بها ذاك ، والطرق المتعددة التى حصلت فى نزول الوحى لم تحصل من الله الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران بل حصلت من البشر الذين هم عرضة للانقلاب والتغيير . قال بولس الرسول " الله بعد ماكلم الآباء بالأنبياء بأنواع وطرق كثيرة كلمنا فى هذه الايام الاخيرة فى إبنه " " عب ١ : ١ " الذى اكمل القانون الذى بدونه كان ناقصا " مت ٥ : ١٧ " وبعد ما أكمله لا يسوغ لأحد أن يزيد عليه أو ينقص منه " رؤ ٢٢ : ١٨ و١٩ " .

أما الطريقة التى كانت متبعة فى نزول الاسفار فهى أن الله أنار عقول الصفياء الذين اختارهم لكتابتها بروحه القدوس فيما قالوه أو كتبوه وعصمهم من الزلل والنسيان فى البلاغات الالهية فكان هو سبحانه وتعالى المتكلم على السنتهم وقد أيدهم بالمعجزات الباهرة . ولاجل هذا كان الواحد منهم يتكلم بالحكمة الالهية ويصدع بالحق أمام الملوك والامراء والنبلاء والفهماء ولا يخشى فى تأيد الحق لومة لائم ، وكان الروح القدس رائدهم فى كل ذلك فلا ينطقون الا بارادة الله ولا يكتبون الا ما يوحيه لهم ولم تكن للشياطين والابالسة سلطة عليهم فى شىء ما بل كانت تجزع منهم لأن قدرة الله كانت تصحبهم أينما ساروا وحيثما وجدوا .

وأول شخص كتب فى الكتاب المقدس هو موسى . وبما أنه كان أول شخص كتب فى التوراة فقد خصه الله بمزيه لم تمنح لآخر سواه وهى نزول الوصايا والاسفار الالهية عليه بسماعها شفاها من فم الله الطاهر لان الوسط وحالة الشعب كانا يستلزمان ذلك . فالشعب كان فى بدء الايمان ويحتاج الى الشجاعة فكان يظهر الله لموسى وجها لوجه حتى يهبهم ثباتا فى الايمان . واليك كيفية تلقين موسى للتوراة مكتوبة وشفاهية لمعاصريه نقلا عن مقدمة هارامبام فى المشنة " اعلم أن كلا من الوصايا والنواهى التى تلقاها موسى قد تلقى معها تفسيرها فكان عند تلقيه الامر الالهى يدخل الى خيمة الاجتماع فيتبعه هارون فيعلمه الوصايا الالهية وتفسيرها ثم يدخل اليعازار وابثامار ولداه فيعلمهما موسى ما علمه لوالدهما ثم يدخل الشيوخ فيعلمهم ما علمهم اياه ثم يدخل نفر من العامة فيلقى عليهم نفس الدرس ثم يخرج موسى فيراجع هارون نفس الدرس على الجميع ويراجع ولداه نفس الدرس . ثم يخرجان فيعيد الشيوخ ذلك للعامة فيكون كل منهم قد سمعه اربع مرات " " عن كتاب أصول التلمود " .

ومع أن الناموس أعطى رأسا من الله الا أن موسى لم يفقد شيئا من شخصيته وانما كان يؤثر عليه الروح الالهى بحيث يستعمل ما عنده من القوى والصفات وفق ارشاده تعالى ولهذا ترى فى كل مؤلف من الكتاب الكرام ما امتاز به من المواهب الطبيعية ونمط التأليف وما شابه ذلك . فموسى كتب أسفاره نقلا من فم الله ، ويشوع دون سفره بناء على ما شاهده من الحوادث . أما سفر القضاة فقد كتب من سجلات كانت محفوظة عند الاسرائليين عن مدة تاريخهم فى حكم القضاة .

أما طريقة كتابة القسم الاخير من الاسفار التاريخية فهى أن صموئيل قام وجمع أسفار موسى وسفر يشوع وأضاف اليه حوادث وفاته ودفنه وما صار له بعد ذلك وكتب سفرى القضاة وراعوث وأضاف الى ذلك الاصحاحات الاربعة والعشرين الاولى من سفر صموئيل الاولى متضمنة الحوادث التى استجدت فى ايامه ثم بعد ذلك قام جاد وناثان النبيان وأضافا ما لزم وبذلك أكملا السفرين اللذين ينسبان الى صموئيل .

أما سفرا الملوك فان الذين كتبوهما جملة من الانبياء فكان يقوم نبى ويدون حوادث عصره ويقوم آخر ويدون حوادث عصره فكتب السفران المذكوران بواسطة جملة من الانبياء منهم شمعيا وعدو واخيا ويعدو وياهو واشعيا كما هو مذكور في (٢ اى ٩ : ٢٩ و١٢ : ١٥ و٢٠ : ٣٤) فكان اذا أراد المولى تدوين تاريخ واخبار لنقلها الى الخلف أوحى اليهم ذلك . وعلى هذه الطريقة كتب الانبياء المذكورون أجزاء هذه الكتب ويرجع تاريخ نهاية كتابتها الى قبيل عصر ملاخـى فانه لم ينقطع قيام الانبياء من بين بنى اسرائيل الا فى ختام العهد القديم . ومما يؤيد أن جملة من الانبياء كتبوا هذه التاريخ هو أن أشعيـاء النبى كتب فى نبوته جملة اصحاحات من سفر الملوك الثـانى وهو ما يدل على أنه الذى كتبـها فى الاصـل (راجع ٢ مل ١٨ - ٢٥ مع اش ٣٦ - ٣٨) ثم فـى هذه الاثناء قام عـزرا الكاتب الماهـر (عز ٧ : ٦) وجمع كتابات الانبياء المذكورين فى أربـعة كتب وهى صموئيل ١ و ٢ وملوك ١ و٢ وبعد ذلك جمع سفـرى أخبار الايام من مصادر قديمة ومن سجـلات مملكتى يهوذا واسرائيل ومن أسفار صموئيل والملوك .

وقد اعترض البعض على وحى الاسفار التاريخية فقالوا " إن الحوادث التى شاهدها النبى أو الرسول مثلا لا يلزم لتدوينها الروح القدس كانقاذ بنى اسرائيل من يد فرعون وانفلاق البحر الاحمر ونزول المن والسلوى وقصة يوسف وأخبار ملوك يهوذا واسرائيل الخ " ولكن لنا على وجوب إلهام الكتب التاريخية برهانان (أولهما) إنه لابد أن يكون الكاتب متحيزاً لأحد الطرفين المتكلم عنهما فيلزم الوحى لصيانة قلمه عن الميل لاحد الجانبين وعدم المبالغة فى حق أو ضد ذاك (وثانيهما) أن فى التاريخ عبرة وذكرى كما قال الرسول " فهذه الامور جميعها اصابتهم مثالا وكتبت لانذارنا نحـن

الذين انتهت الينا أواخر الدهور " (ا كو ١٠ : ١١) فيلزم والحالة هذه أن تكون منزهة عن الخطأ وهذا يستلزم أن تكتب بالهام إلهى وإلا فلا تفى بالمراد . ويظهر لنا عند مطالعة الكتب التاريخية أن أصبع الله ظاهرة فى جميع اجزائها بل فى كل كلمة من كلماتها وإنك لتجد فى مطالعتها لذة وسروراً وإذا طالعتها مراراً لا تفقد رائحتها بعكس التواريخ العالمية التى بعد مطالعة قليلة يسأمها المطالع ولا يعود اليها وهذا دليل بين على أن الاسفار التاريخية موحى بها من الله .

وعند تمام الاسفار التاريخية كانت الآمال قد تعلقت بظهور المسيا المنتظر فابتدأ الوحى يعمل بطريقة أجلى من عمله فى كتابة الاسفار التاريخية ولزم أن تنوه الاسفار بطريقة أوضح إلى قرب وقت مجيء المسيح وإن كانت الاسفار التاريخية لا تخلو من ذكر المسيح إلا أن المقصود أن تنوه الاسفار بطريقة أوضح مقصودة ، فان خدام الله فى العصور الاولى للخليقة نظروا إلى مستقبل الازمان فرأوا ذلك المخلص الآتى بالهام الروح القدس وكلما قارب وقت مجيئه ظهرت رؤيته بأجلى بيان إلى أن صار مستطاعا لناأن نصف حياته من أسفار العهد القديم التى قال عنها " هى تشهد لى " .

فاشتغل الروح القدس شيئا فشيئا فكتبت الاسفار الشعرية بطريقة الشعر باللغة العبرانية وقد اوضحت هذه المكتوبة شعراً صفات يسوع والحوادث التى تجرى بينما يكون على الارض الى ان كتب سفر نشيد الانشاد الذى عبر بأجلى بيان عن محبة المسيح للكنيسة وعن محبة الكنيسة له .

وطريقة كتابة الاسفار الشعرية تختلف باختلاف اطوار كاتبيها فان بعضهم كان مرتلا وعندما كان يضرب على آلات الطرب ويحصل له السرور يزداد عمل الروح القدس فينطق بالترنيمات والنشائد والمزامير والقصائد والتسابيح والاغانى المقدسة وهذا نظير داود وزملائه الذين كتبوا سفر المزامير ثم ان كتبة الاسفار الشعرية كانت قلوبهم ملآى بالحزن من شدة بلاياهم والمصائب التى كانت محيطة بهم ولهذا كانوا ينطقون بكلمات الوحى على طريقة السجع وهذا نظير ما عمل ايوب واصحابه فى سفره وأرميا فى مراثيه . اما الكاتب الاخير من كتبة الاسفار الشعرية فانه اذ كان مملوءا من حكمة الله ابتدأ ان ينطق بتلك الاقوال الحكيمة التى تسمى امثالا وكتب ايضا سفر الجامعة الذى

ملأه بالنصائح والارشادات جاعلا نفسه المثال الوحيد للواعظين لان ابلغ العظات متى كان الواعظ قد جاز فى الامور بنفسه وادرك " معنى الحياة " وقد قيل ان سليمان كتب هذا السفر بعد توبته وندامته على ما فرط منه وهو علامة لرجوعه بنية خالصة . اما باكورة اسفار سليمان فهو سفر نشيد الانشاد كتبه كرواية مثل المسيح والكنيسة فيها وحبهما المفرط بعضهما لبعض .

وقد ادعى بعض اعداء كلمة الله انه ليس كلما كتبه سليمان كان بالهام روح الله لانه كان حكيما من نفسه . ولو سلمنا جدلا بان سليمان كتب اسفاره بالحكمة التى كانت عنده لساغ ان نسأل : من اين اتت له الحكمة ومن هو مصدرها ؟ يخبرنا الكتاب ان الله اوعز الى سليمان ان يطلب منه ما يحتاج فطلب منه فهما به يميز الخير من الشر وحكمة به يفصل فى قضايا الشعب (ا مل ٣ : ٩) ومنه يظهر ان مصدر حكمة سليمان هو الله وان الحكمة من خواص عطايا الاقنوم الثالث اى الروح القدس الذى كان يرشد الكتاب الكرام فى كل ما كتبوا . فاذاً نسلم بلا ادنى معارضة ان الروح القدس هو الذى ارشد سليمان فى كل ما كتبه .

ثم بعد الاسفار الشعرية كتبت الاسفارالنبوية وطريقة كتابتها تختلف فتارة تأتى بواسطة الرؤى (اش ٦ وحز ١) وطوراً بواسطة الاحلام (دا ٢) واحيانا بواسطة اشارة عقلية واخرى بواسطة املاء حرفى (١ صم ٣ و ١ مل ١٣ ، ٢٠ : ٢٢) وجاء فى اصول التلمود " وكانت علامة النبوة فقدان الحواس اثناء نزول الوحى ما عدا النطق فكان النبى يسرد اقواله ويتلو نبوته وهو غائب عن الوجود كالميت (١) ولكنه كان فى غير نزول الوحى عليه سليم الادراك قائما بكافة الواجبات الدينية والمدنية .

---

(١) قال فيلو " ان الموحى اليه يكون عديم الشعور بالمرة وان روحه تكون تحت سلطان روح الله الساكن فيه وان النبى كان فى وقت نزول الوحى مثل آلة تحركه قوة الله خفية وان كل كلامه صدر من ارشاده تعالى . وانه لما غلب على قواه العقلية الفرح النبوى امتلكته روح الله امتلاكا كاملا وسكن فيه وحرك كل اعضاء النطق للتكلم بكل ما أنبأه به وهو مطابق لقول صاحب اصول التلمود وكلاهما ليست به مسحة من الصدق لان كل كاتب من الكتاب الكرام كان يكتب وهو بغاية التعقل والهدوء والسكينة ويستعمل كل قواه الطبيعية تحت ارشاد روح الله وقد ناقض صاحب اصول التلمود نفسه بما جاء فى ص ٦ حيث قال ولم يستلم الانبياء التوراة لنبوتهم بل لدرجتهم العلمية السامية والدليل على ذلك عدم ارتكانهم فى حفظها على الروح القدس فقط بل على الدرس والمواظبة " .

وعلى هذه الكيفيات المختلفة بلغ الله كتبة الاسفار النبوية ما أراد أن يكتب فيها والى هذا الحد كان تمام العهد القديم او القانون الاول ولا ريب انه كان يعد ناقصا لولا انه كان مرجواً مجيء السيد المسيح ليكمله وفعلا بعد ٤٠٠ سنة سكت فيها الوحى بعد ملاخى أتى المسيا بتعاليم العهد الجديد الساميه ووصاياه الفضلى التى أكمل بها الناموس بأقوال روحـية مكمـلة (مت ٥ و ٦) .

وابتداء الوحى يجدد عمله فى رجال العهد الجديد وذلك عندما ظهر فى الكنيسة مسحاء كذبة ومعلمون مزورون تجاروا على ان يعلموا بتعاليم معوجة فاقتضت الضرورة تدوين التعاليم الصحية وتسجيلها كتابة لحفظها من الاختلاط بالتعاليم الفاسدة لكى تكون دستوراً مسلما بيد الكنيسة حتى اذا جاء ملاك من السماء وبشرها بخـلاف ما بشرها به الرسـل يكون محـروما (غل ١ : ٨) .

وطريقة وحى العهد الجديد تختلف عن العهد القديم فان انبياء العهد القديم كانوا كمنذرين للشعب لكى يرجع عن معاصيه وابتعاده عن الله . اما رسل العهد الجديد فكانوا يحتاجون الى معونة اعظم وقوة اكبر حتى تؤثر فى القلوب تأثيراً فعالا لان وظيفتهم كانت تغيير قلوب الناس عن اديان ألفوها ووجدوا آباءهم عليها الى اعتناق ديانة جديدة لم يعرفوها من قبل او يسمعوا بها وهى " المسيحية " ويرجح ان هذا اللقب " مسيحى " كان فى الاول شتيمة (١ بط ٤ : ١٦) حتى ان اغريباس قال لبولس " بقليل تقنعنى ان اصير مسيحيا " (أع ٢٦ : ٢٨) والمعنى ان حسن برهانك يجعلنى ارضى ان أعاب بهذا الاسم . وعلى ذلك فعمل الروح القـدس فى رسل العهد الجديد كان أشد من عمله فى انبياء العهد القديم كما وأن عمله فى العهد الجديد كان ظاهراً واضحاً أما فى العهد القديم فكان مستوراً اذ كان يعمل من خلف الحجاب .

وقد منح الله رسله قوة ونعمة عظيمتين جذبوا بهما الكثيرين الى حضن الديانة المسيحية المزدرى بها ديانة يسوع الناصرى المصلوب . وقد اتوا اعمالا تعد من المعجزات فأزلوا الجهالة واستبدلوها بالعلم ورفعوا الدين الالهى النقى فوق الاديان المشجوبة بعد ان اماطوا اللثام عنها فاستجلوها وافرغوا مجهودهم فى مقاتلة اعداء الدين والعلم والحرية فرجعوا منتصرين فائزين وعلموا الناس مبادىء الدين والشرف والحرية الانسانية بما انار الخافقين . انما كل ذلك وهم يسقونه بدمائهم حتى ضرب المثل " دم الشهداء بذار الكنيسة " .

ولقد اعطاهم الله سلطة فى تبليغ الخبر فكانوا يقولون بتعاليم ويطالبون بواجبات غير مكترثين ان كان هذا يرضى اليهود ام لا اذ كانوا يصرحون بابطال العبادتين اليهودية والوثينة على مسمع من رؤسائهم وفى معابدهم وقد صرحوا بما لا تقدر الأديان الأخرى على التجاسر بذكره فهم لا يعلموننا فقط عن وجود الله بل يعلموننا بان الله ابونا وأنه احبنا حتى بذل ابنه الوحيد لأجل خلاصنا (يو ٣ : ١٦) .

أما الأشخاص الذين اشتغلوا اولا فى العهد الجديد فهم متى ومرقس ولوقا ويوحنا . بعضهم توخى كتابة تاريخ حياة السيد المسيح من مشاهدتهم للحوادث وعن الحوادث التى كانت محفوظة عندهم عنه (لو ١ : ١ – ٤) إلا ان الروح القدس عصمهم من كل ما يشين . ثم ابتدأ ايضا يعمل بطرس وبولس ويعقوب ويهوذا ويوحنا فأكملوا القانون برسائلهم التعليمية وبمشاهدهم النبوية وعند ذلك تكلم مرة اخرى اناس الله مسوقين من الروح القدس (٢ بط ١ : ٢١)) وكانت وظيفتهم فى هذا الاعلان الأخير (اولا) ان يكتبوا فى البشائر الاربع حياة وموت وقيامة الكلمة الذى صار جسداً وحل بيننا مملوءا نعمة وحقا (يو ١ : ١٤) (ثانيا) ان يخبروا فى اعمال الرسل ببعض النتائج التى حدثت من شهادة عبيـده له فى اورشليم وفى كل اليهودية والسامره الى اقصى الأرض (اع ١ : ٨) (ثالثا) أن يعلنوا فى الرسائل ملء بركة الانجيل (رو ١٥ : ٢٩) واخيراً فى الرؤيا ان يرى الله عبيده ما لابد ان يكون عن قريب (رؤ ١ : ١) من جهة ما ينتهى اليه ملكوته على الارض .

ويجدر بنا هنا ان نقدم للقراء نموذجين من الكتبة . الاول بولس الرسول والثانى بطرس الرسول . فالاول كان يكتب (١) عن اختباره واطلاعه على كتب الناموس والانبياء ولذلك تجده يكثر من الاستشهاد بها لافحام اليهود ورد كيـــدهم فى نـــحورهم (اع ٢٢ : ٣) (٢) عن ارشاد الروح القدس له الى الاحكام الصائبة لكى يبت فى المسائل التى كان يطرحها أمام نظره المؤمنون وارشاده ايضا الى كلمات التعزية الواجبة للمؤمنين فى الاحوال التى تستلزم ذلك كما قال اشعيا " اعطانى السيد الرب لسان المتعلمين لأعرف ان أغيـث المعى بكلمـــة " (اش ٥٠ : ٤) .

أما بطرس فكان يكتب (١) عن نتيجة مشاهدته للحوادث ولهذا تجده فى معظم اقواله يتكلم كشاهد عيان بقوله " ونحن شهود " و " شاهدت" و " عاينت " (اع ٢ : ٣٢ و ٣ : ١٥ و ١٠ : ٤٠ -٤٢ و ٢ بط ١ : ١٧ - الخ (٢) عن ارشاد الروح القدس له لأنه فى الأصل كان صياداً لا يفقه شيئا ولم يكن كبولس الذى تثقف عند رجلى غمالائيل معلم الناموس فالفضل فى كتابته للروح القدس ، أما فى كتابة بولس فان الروح الآلهى كان يؤثر عليـــه بحيث يســـتعمل ما عنـــده من القـــوى والصفـــات والمواهب تبعا لأرشاده تعالى .

وقد ميز البعض بين لهجتى بطرس وبولس فى الخطابة والكتابة فقالوا ان اقوال بولس بليغة عن اقوال بطرس ولو ان الروح المرشد لهما فى القول والكتابة والعمل هو واحد " فانه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة وآخر كلام علم بحسب الروح ولآخر ايمان بالروح الواحد ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد ولآخر عمل قوات ولآخر نبوة ولآخر تمييز الأرواح ولآخر انواع ألسنة ولآخر ترجمة ألسنة ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد قاسما لكل واحد بمفرده كما يشاء " (١ كو ١٢ : ٨ - ١١) ونسبة الفصاحة الى كتابات بولس ترجع الى ازدياد علمه واطلاعه ولا عبرة بظن البعـض ان الـــروح كان يجعلهـم يكتبون كآلات ميكانيكية لان هذا باطل . اننـا نعتقد ان الكتـــاب المقـــدس كتب لا بأقوال تعلمها حكمة انسانية بل بما يعلمه الروح القدس (١ كو ٢ : ١٣) ولذلك يسمى أقوال الله وكلمة الله وقال الرب لموسى « انا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به » (خر ٤ : ١٢) وقال لارميا " جعلت كلامى فى فمك " (١ : ٩) وقال لحزقيال " وتكلم معهم بكلامى " (٢ : ٣ - ٧) فروح الله هو الذى كان يلهم الانبياء والرسل الالفاظ والاقوال التى عبروا بها عن الوحى وهو الذى علمهم اللغـات الكثيرة التى كانوا لا يعـــرفونها (١ع ٢ : ٤) والروح القدس لم يلهمـهم المعـــانى فقـط بـل

وذات الالفـــاظ المعربة عن هذه المعانى كما قال السيد له المجد " انتم لستم المتكلمين بل روح ابيكم الذى يتكلم فيكم " (مت ١٠ : ٢٥) وليس المراد من كل ذلك ان المولى ازال شخصيتهم اى زال ما اختصوا به من المواهب الطبيعية حاشا : لأن آثارها كانت ظاهرة فى أسلوب كل نبى ورسول كما يظهر لكل من يتصفح الكتاب المقدس بامعان دقيق ، لانه يرى ان العالم منهم كان يكتب بلغة العلماء موسى وسليمان وبولس ، والفصيح بغاية الفصاحة كاشعيا وارميا ، والعامى بلغة العامة كعاموس وأمثاله وترى هنا نفس وفى محل آخر يوحنا وفى آخر اشعيا وفى آخر دانيال وبطرس وبولس وارميا بشرط مصاحبة الروح القدس لهم لاجل انتشار الكلمة وتاثيرها على النفوس .

وعلى ذلك فالاسفار الالهية قد اشترك فى كتابتها البشر والله (اى ان الله استخدم مواهب البشر) وقد ارتاب البعض فى امكانية هذا الاتحاد بين الله والانسان فى عمل الوحى ولكن لنا برهان على امكانيته وذلك ان الرب نفسه يلاحظ ويدبر ويساعد ويعصم من الغلط ويلهم ويفعل كل ما هو ضرورى لجعل القول والكتابة مطابقا لارادته تعالى على ان الانسان الملهم لابد له من يمارس قواه العقلية ومواهبه الطبيعية الناتجه عن تربيته ويتكلم او يكتب حسب نفسه الخاص الطبيعى .

ونعود الى موضوعنا الاصلى وهو المقارنة بين بولس وبطرس فنقول انه قد ميز اللاهوتيون ايضا بين قصد بولس فى رسائله وغاية بطرس من اقواله فبولس كان يتكلم عن مزايا المؤمنين فى " السماويات " (اف ١ : ٣) وبطرس عن حالتهم فى الزمان الحاضر . بولس يتكلم عن المسيـح فى " السماء " لانه رآه فى السمـاء (٢ كو ١٢ : ١ - ١٠) وبطرس يتكلم عنه فـى " الارض " (١ بط ١ : ٨ و ٢ بط ١ : ١٧ و ١٨) واللغة التى كتب بها بطرس متبعة فى رسائل يعقوب ويهوذا ويوحنا وان كان كل منهم يضرب على وتر مخصوص و يرمى الى غرض فى نفسه . اما يوحنا فلانه كان محبوبا من الرب ومتنائيا عن العالم فى جزيرة بطمس وقريبا من الرب فقد اصطفاه لمشاهدة الرؤيا التى اعلنها له فى يوم الرب (الاحد) بينما كان فى الروح . تلك الرؤيا التى لا يعرف كنهها الا الله وحده والذين خصهم ويخصهم بهذه المعرفةوالواضح منها هو القسم الذى فيه الانذار لكنائس آسيا السبع واساقفتها مما يجب على كل اسقف

او خـادم دينى ان يعتبر به لا كل ماكـتب فى الكتب المقدسة الالهية انما كتب لاجل تعليمنا وارشادنا .

ومما يجب علينا ملاحظته اثناء مطالعتنا للكتب المقدسة ان نرى الكتبة فى كتابتهم مطمئنين وعديمى الخفة عند ما كانوا يكتبون عن اعجب الاسرار وهذا وجه من اوجه التمييز بين الوحى والبشر فان الوحى كان يجعل الكتاب الافاضل يضبطون انفسهم بدون ان يعانوا تعبا وكانت لهم فرص كثيرة وغير اعتيادية لتطويل الكلام ولكنهم امتنعوا وهذا ليس من الانسان بل من الله كما يتضح بالاكثرفى المؤلفات البشرية فان اصحابها لا يقدرون على ضبط أنفسهم عن الاقتضاء كما هؤلاء .

اما اسلوب كتابتهم فليس ابلغ منه ونعنى بذلك السهولة التى كانوا يعبرون بها عن افكارهم فكانوا يحكمون حكما قاطعا فى أغمض المواضيع واعمقها سراً وابعدها جداً عن أفكار البشر بدون غلط ولا تأخر ولا تكلف ولا تردد ولا ارتياب كما ينتظر منهم لو كانوا متروكين لقواهم الضعيفة . بل يتكلمون كمن له سلطان وليس كالكتبة وذلك لانهم قد ارسلوا وقد أوحى اليهم بصفتهم أنبياء واعطوا سلطانا من الله القدوس وكتبوا ما كتبوا مسوقين من الروح القدس .

الباب السابع

مفتـــاح الكتــــــاب المقدس

" واجعل مفتاح بيت داود على كتفيه فيفتح وليس من يغلق ويغلق
وليس من يفتح " (اش ٢٢ : ٢٢)

يشبه الكتاب المقدس ذلك السفر المذكور فى سفر الرؤيا ٥ : ١ - ٩ حيث قيل " ورأيت عن يمين الجالس على العرش سفراً مكتوبا من داخل ومن وراء مختوماً بسبعة ختوم ورأيت ملاكا قويا ينادى بصوت عظيم من هو مستحق ان يفتح السفر ويفك ختومه . فلم يستطع احد فى السماء ولا على الأرض ولا تحت الارض ان يفتح السفر ولا احد ينظر اليه فصرت انا ابكى كثيرا لانه لم يوجد احد مستحقا انى يفتح السفر ويقرأه ولا ان ينظر اليه . فقال لى واحد من الشيوخ لا تبك هوذا قد غلب الاسد الذى من سبط يهوذا اصل داود ليفتح السفر ويفك ختومه السبعة . ورأيت فاذا فى وسط العرش والحيوانات الاربعة وفى وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبعة عيون هم سبعة ارواح الله المرسلة الى كل الارض ، فاتى واخذ السفر من يمين الجالس على العرش . ولما اخذ السفر خرت الاربعة الحيوانات والاربعة والعشرون شيخا امام الخروف ... وهم يترنمون قائلين مستحق انت ان تاخذ السفر وتفتح ختومه لانك دبحت واشتريتنا بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وامة " فواضح من هذه الآيات ان الذى استطاع وحده ، بخلاف الذين هم فى السماء وعلى الارض وتحت الارض ، واستحق أن يفتح السفر ويفك ختومه السبعة هو الاسد الخارج من سبط يهوذا أى " المسيح " ذلك الذى اشترانا من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة .

يوحنا بكى لما رأى " السفر مختوما " وتمنى أن يكشف المستقبل ويعرف ما هو آت – ما هو عتيد أن يلحقنا . وقد طالما اجتهد الناس أن يكشفوا المستقبل بواسطة السحر والتنجيم والفال والعرافة وغيرها ولكنهم عجزوا لان الله يخفى المستقبل عنا حتى نتكل عليه وحده ونسلم كل أمورنا الى المعين لفض الختوم وحده .

ولا غرو فانه هو الذى له الحق أن يفتح السفر ويفك ختومه فهو الخالق والمتسلط على كل شىء الذى " كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان " (يو ١ : ٣) والذى له مفتاح داود الذى يفتح ولا أحد يغلق ويغلق ولا أحد يفتح " (رؤ ٣ : ٧) .

حقا بيده المفتاح – ليس فقط مفتاح الحياة والموت بل مفتاح الاسفار الالهية فهو المرشد لفهم معانيها والذى يفتح ما استغلق من مواضيعها للمتواضعين ،يفتح أذهانهم لقبول المعانى . وكل من يطلب منه الارشاد يمنحه روحه القدوس لينير بصيرته ويرشده لادراك ما أشكل عليه فهمه وما ابهم عليه علمه كما قال له المجد " واما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كان ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية " (يو ١٦ : ١٣) وقال الرسول بولس " فاعلنه الله لنا بروحه القدوس لان الروح يفحص كل شىء حتى اعماق الله " (١ كو ٢ : ١٠ – ١٤) ونفس السيد المسيح بفتح اذهاننا لنفهم الكتب المقدسة (لو ٢٤ : ٤٥) .

ولذلك لا يستطيع احد ان يفهم التوراة ومعانيها السامية الا بواسطة يسوع المسيح ونوره وقوته وليس احد يقدر ان يعرف طريق الخلاص والشركة مع الله الا الذى يرى المسيح كما هو معلن لنا فى الكتاب المقدس . فان هذا الكتاب بدون اعلان يسوع المسيح سفر مختـوم . فهو (نور التوراة) وهو (موضوع الكتاب المقدس) وما سبب عدم قدرة الكثيرين على اكتشاف حق الله فى كتابه المقدس الا لانهم لا يعرفون المسيح مرشداً وهاديا ونوراً لاضاءة اسرار كلمة الله وكشف مخبئات الحق السماوى والمعلن فى كلمته الطاهرة .

ولم يعجز اليهود عن فهم حق الله فى التوراة الا انهم عجزوا عن رؤيا يسوع المسيح . فمع انه رمز اليه فى التوراه بالمصلوب أو الذى سيصلب عن العالم وصورته النبوات

النبوات حملاً مذبوحا فاليهود لم يستطيعوا ان ينظروا المسيح كما هو وبالتالى لم يستطيعوا ان يفهموا التواره .

ان الحمل المذبوح اوضح كل معانى التوراة ولذلك كل من يرى يسوع المسيح فى التوراة يستطيع ان يرى كلمة الله مفتوحة امام عينيه بكل معانيها الروحية السامية .

ان الله كان فى المسيح مصالحا العالم لنفسه ولقد آمن من الرسل بالمسيح قبل ان يروا الانجيل مكتوبا لان الرسالة التى جاء بها المسيح اليهم كانت قوة فعالة يقدر كل من يقبلها على قبول اجزاء التواره والانجيل فايمان التلاميذ ابتدأ اولا بالايمان بشخص يسوع وصليبه ومن ثم امكنهم ان يؤمنوا بكل ما جاء عنه فى الكتاب . ألا ترى ان الثلاثة آلاف نفس الذين آمنوا فى اورشليم رأوا المسيح اولا فى شخصه وصليبه قبل ان يفهموا التوراة التى كانت بيدهم ؟ (يو ١٢ : ١٦) .

ويقول الكتاب انه لما مجد يسوع حينئذ فهم التلاميذ الكتب فهم رأوا اولا شخصه وصليبه فكانا لهم نوراً وهدى بهما يفهمان كلمته الحية القادرة .

يا لعمق حكمة الله، انه لا يستطيع انسان ان يدرك عمقها ولا علوها ولا اسرارها ولكن يسوع جاء بنوره السماوى وفتح تلك الاعماق وكشف تلك الاسرار وهو وحده الذى يقدر ان يضىء بنور سماوى على تلك الأمور ويجعلها ذات معان حقيقية فعالة لحياة كل من يريد ان يسير فى نوره الوضاح .

فيسوع المسيح هو الشخص الوحيد القادر ان يفتح ختوم هذه الاسرار السماوية ويعلن لنا مقاصد الله فيها واذا اعطى المؤمنون يسوع مقامه اللائق به فى حياتهم ونظروا اليه كما نظر اليه كثيرون من قبلهم فحينئذ يرون حق الكتاب ساطعا امامهم . واننا نؤكد لكل انسان راغب فى معرفة حق كلمة الله ان يعطى يسوع القرابة الكلية لنفسه فيأتى يسوع لتلك النفس بحق الله بكيفية تمكنه من ادراك ما لم يدركه ويصبح المبهم عليه مفهوما له بل يتحول له نوراً وعزاء وفرحا وسلاما . هذا ما يعلمه الله فى المسيح . فآمن بالمسيح تر الله وحقه (اع ٢٦ : ١٨ واف ١ : ١٧ –٢٠) .

وبما اننا قصدنا الآن ان نفتح الكتاب أى نعرف غايته الوحيدة التى يرمى اليها فى كل اسفاره فليس لنا من مفتاح الا " يسوع المسيح " ولنتصور الكتاب صندوقا موصداً لم يستطع فتحه ولكن اذا كان يسوع " معنا " ففى الحال تفتح اقفال الكتاب كما قال له المجد " فى درج الكتاب مكتوب عنى " فلا كتاب الا الكتاب المقدس ولا مسيح إلا يسوع الناصرى روح الكتاب ومحوره الذى يدور عليه فالعهد القديم يقدم لنا صورته والعهد الجديد يقدم لنا حقيقته فمن اين لكتبة العهد القديم علم بوقائع يسوع الناصرى حتى شرحوها تارة بالنصوص الصريحة واخرى بالرموز وقد مضى على آخرهم اربعمائة سنة حتى ولد المخلص ؟ وكيف اتجهت كتاباتهم نحو هذا القصد الواحد وقد كتبوا ما كتبوه فى ازمنة متفاوتة وامكنة مختلفة وظروف متنوعة ؟ فلا يمكن تعليل ذلك إلا بالتسليم الكلى ان يديهوه القدير كانت عاملة فيهم . وهذا التسليم يقودنا بحكم الضرورة الى قبول مسيح العهد الجديد حسب ما هو معلن فيه أى كانسان آلهى وقبول ما علمه وعلم به الى آخر ما نص عنه الانجيل المقدس ؟ ان فتح مفتاح قفلا يحق لنا ان نخمن بأنهما متتابعان حتى ولو كانت صناعتهما بسيطة أما وهما مصنوعان على طراز معقد نكاد نجزم بأنهما مصنوعان أحدهما للآخر فان بلغ تركيبهما من التعقيد والاشكالات الى احد الذى لا يضاهى درجات عقول رجال الصناعة فى فتح القفل بغير مفتاحه ولم يكن فى العالم كله مفتاح يفتحه سوى مفتاحه نجزم قطعا بأن صانع الاثنين معلم واحد صنع القفل للمفتاح والمفتاح للقفل . وليست نبوات العهد القديم عن المسيح أقل تعقيداً وتنوعا عن المثل المضروب ولا أقل غرابة منه لدى علماء الدهور وفلاسفة العصور . وليس لها مفتاح سوى تاريخ المسيح كما فى اسفار العهد الجديد فالعهدان القديم والجديد ينطبقان على المسيح فهو حجر الزاوية الذى يربطهما كليهما معا اقوى ارتباط من اولهما الى نهايتهما فى بناء الوحى الالهى .

طالما بذل المصورون والنقاشون اقصى براعتهم ومهارتهم ومجهودهم فى تصوير شخص المسيح ولكن لم يستطع أحد تصويره كما هو إلا ذلك الكتاب السماوى وطالما بذل المفسرون قصارى مجهوداتهم فى كشف مكنونات الكتاب المقدس ورفع الستار المسدول على معظم أقواله ولكنهم لا يمكنهم ذلك إلا إذا استرشدوا " " بمفتاح الكتاب

المقدس " الذى قد فتحه وهو يعرف أى ختم منها يجب أن يفتح أولا ويدرى ما هو المكتوب فى صفحاته وإذا أجلت النظر فى الكتاب فانك ترى أنه بينما يحتوى على أشياء كثيرة مختلفة حاملا تاريخ أمم كثيرة فان هنالك وحدة فى المقصد يدور عليها كل ما حواه فهو مبنى على أساس له ركنان كما للقنطرة ولكنهما مهيآن لقبول الزاوية .

كما إننا إذا قرأنا الكتاب المقدس بامعان من أول سفر التكوين إلى آخر سفر الرؤيا وجدناه يرمى إلى غرض واحد ويتغزل فى شخص واحد وينشد مطلبا فريداً وهو " يسوع " فالعهد القديم مبنى على المواعيد الدالة على ظهوره إذ تجد الأولى من المواعيد تدل على طبيعة ظهوره وقصده حيث يقول " إن نسل المرأة يسحق رأس الحية " والثانية تبين تناسله من ابراهيم اذ قيل " وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض " والثالثة تعلن سبطه ووقت ظهوره بقوله " لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب " والرابعة تصرح بولادته الفائقة العادة " هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل " والخامسة تكشف الستار عن مكان ولادته " أما أنت يا بيت لحم أفراتة وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل " (ميخا ٥ : ٢) والسادسة توضح لنا ظهوره الحقير ورفضه " محتقرمخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن " والسابعة تشير الى موته مصلوبا " ثقبوا يدى ورجلى " والثامنة تظهر كيفية دفنه " وجعل مع الاشرار قبره ومع غنى عند موته " والتاسعة تفصح عن مدة مكثه فى القبر " كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان فى بطن الارض " .

وقد شغلت الاسفار جزءاً مهماً فى الاشارة الى المسيح كعريس الكنيسة ولنأخذ المزامير نموذجا للباقى فاننا إذا شبهنا هذا السفر بقصر فخم وجدنا السيد المسيح فى كل دور من أدواره فلا نكاد ندخل أول غرفة منه إلا ونرى يسوع طفلا مولوداً فى مهده " إنت ابنى أنا اليوم ولدتك " (مز ٢ : ٧) نتدرج قليلا فى السير وإذا بالذى رأيناه طفلا مولوداً نراه الآن رجلا أتم خدمته على الصليب وقدم نفسه فدية عن العالم وكل المزمور الثانى والعشرين مركب على ذلك . نسرع قليلا وإذا بالذى رأيناه طفلا

مقمطا ورجلا مصلوبا نراه الآن على العرش ملكاً وداود نفسه يرفع صوته بالنشيد فى فاتحة المزمور المائة والعاشر " قال الرب لربى أجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك " وماأجمل قول أحد الأفاضل فى هذا الصدد " فهنيئا لك ياذا القصر الفخم (يشير إلى سفر المزامير) بما حظيت به من جمال المسيح المجيد فقد ولد فى مهدك وتربى ببين أحضانك فتى وكبر فى ربوعك صبيا وتمشى فى فسحاتك يافعا وصلب على جلجثك رجلا . وملك على عرشك ملكا جديداً مقاما من الاموات " .

وسفر أشعيا يفصل لنا كل ما يلازم المسيح فى تاريخ حياته الارضية من ولادته إلى صلبه وموته حتى لقد دعاه المسيحيون بحق " إنجيل العهد القديم " ودعوا اشعيا النبى الانجيلى . وقال احدهم "لو جمعنا كل ما كتب فى سفر اشعيا عن المسيح لكون انجيلا خامسا " وعليه فالمسيح هو كنز العهد القديم وروح نبوته .

اما العهد الجيد فانه يتضمن اتمام وعد الله للناس وانعامه عليهم بالمخلص كما قال له المجد فى مواضع عديدة " اليوم قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم " (لو ٤ : ٢١) وكما قال ايضا " ها نحن صاعدون الى اورشليم وسيتم كل ما هو مكتوب بالانبياء عن ابن الانسان " (لو ١٨ : ٣١) وقد قامت فى الغالب حجج السيد الدامغة على اليهود قوله " امـا قرأتم " و " مكتوب " و " لابد ان يتـم المكتوب " و " لا يمكن ان ينقض المكتوب " و " الكتب التـى تشهـد لى" و " ينبغى ان يتم الكتاب " حتى وهو على الصليب لم يزل يكرر هذه الاقوال اذ كانت آخر كلمة قالها بصوت عظيم " قد أكمل " (يو ١٩ : ٣٠) .

كثيرا ما كان يرى فى العهد القديم تلميح لشخص عظيم يظهر ويكون ملكا لاسرائيل وفاديا للبشر غير انه هناك فى مرآة فى لغز واما فى العهد الجديد فقد اعلن انه موضوع العهدين وانه المخلص الذى تحتاج اليه طبيعة الانسان الساقط والذى اعده الله برحمته العظيمة لاجل خلاصها من زمن طويل . فلما ظهر على الارض اكمل ما عجزت عنه قوة الاحكام والفلسفة والتمدن حتى الشريعة الالهية نفسها .

ويفهم من كل ذلك ان غرض الكتاب الوحيد هو " مسيا " حتى ان يسوع نفسه بعدما قام من بين الأموات وقابل التلميذين اللذين كانا منطلقين الى عمواس ورأى منهما

ارتيابا ناتجا عن عدم معرفتهما بما هو مكتوب عنه قال لهما " ايها الغبيان والبطيئيا القلوب فى الايمان بجميع ما تكلم به الانبياء أما كان ينبغى ان المسيح يتألم بهذا ويدخل الى مجده . ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الامور المختصة به فى جميع الكتب " (لو ٢٤ : ٢٥ - ٢٧) فالموضوع الذى استمال المعلم العظيم افكارهما اليه هو الاشياء المختصة به المسيح الالف والياء . البداية والنهاية . والآخر . وخلاصة الاسفار الألهية والكنز الفائق الثمن المخفى ليس فى مكان مرصودا او برج حصين بل فى حقل العهدين القديم والجديد المشاع للملأ كما قال له المجد " فتشوا الكتب لانكم تظنون ان لكم فيها حيوة ابدية وهى تشهد لى " (يو ٥ : ٣٩) ومنه يظهر انه تابع لاسلوبه المعهود فى التعليم اذ لم يثبت دعواه وحقوقه وانتصاره الباهر على العالم اكثر مما اثبت ذلك بشهادة الكتب فما كان اجلها فى نظره ! ! .

فالغرض السماوى المهم فى اعطاء الكتب المقدسة لعالمنا الهالك هو الشهادة ليسوع المسيح . ماذا ينبغى ان تكون غايتنا من مطالعتها ؟ ان نجد يسوع وكل اصحاح تطالعه ولا تجد المسيح فيه فحقق انك قرأته خطأ وكل ساعة تقضيها فى تفتيش الكتب المقدسة ولا تجد المسيح فاعلم انك قضيتها عبثا وقد ذهب تعبك باطلا .

اجل قد تجد اشارات فى الكتاب تصح نسبتها على نوع ما الى بعض الاشخاص الا ان معناها الأتم لا يتم تماما الا فى ملك المسيح الاوسع الذى هو ابن داود الاكبر . واذا وطئنا ارض هذه الاشارات يخال لنا اننا على جبل التجلى وعلى هذا الجبل يقف المسيح مع الاشخـــاص المنوه عنهم وما بين طــرفة عين وانتباهتها لا نــــرى الا " يسوع وحده " (مت ١٧ : ٧) .

فيامن تريد ان تفتح الكتاب المقدس وتكشف غطاءه " لترى عجائب من شريعته " ليس لك من مفتاح الا يسوع المسيح فهو " مفتاح الكتــاب المقــدس " وهو " نـــوره " و " موضـــوعه " و " الكنز المنشود " الذى يشغل كل سطوره و " المرآه المضيئة "التى فيها ما أغمض عينيك من معانيه وما اشكل من خوافيه وهو الذى أعطى هذا السلطان من ابيه "وأجعل مفتاح بيت داود على كتفه فيفتح وليس من يغلق وليس من يفتح " (اش ٢٢ : ٢٢) وقال له المجد " لا تخف أنا هو الاول والاخر قد كنت ميتا وها أنا حى الى ابد الابدين آمين ولى مفاتيح الهاوية والمـوت " (رؤ ١ : ١٧ و ١٨) .

الفصل الاول

لهجة الكتاب المقدس

" ونحن لم نأخذ روح العـالم بـل الروح الذى مـن الله لنعـرف الأشيـاء الموهوبـة لنا من الله " (١ كو ٢ : ١٢)

يقول الكتاب صريحا ان الأنسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة ولا يقدر ان يعرفه لأنه انما يحكم فيه روحيا . وهو قول يتضح منه جليا روحانية هذا الكتاب والوهية مصدره وإلا لقبله الجميع على حد سواء واتفقوا على الحكم فيه بالقياس العقلى الواحد . أما وهم قد اختلفوا فى تصديقه وعجزت عقولهم عن فهمه وادراك جميع حقائقه وصار عندهم جهالة ولا يقدرون ان يعرفوه فهذا من أقوى الأدلة على ان مصدره اسمى من البشر ولذلك تعلو معرفته عن البشر ويحتار الناس فى فهم معانيه ولا قبل لهم ان يحكموا فيه إلا روحيا .

ولماذا لا يقبلونه ؟ نقول ليس لأنه ضد العقل بل لأنه فوق العقل ولأنه أتى بالأحكام التى تنافى مبادئهم الساقطة وبالفضائل التى لا تلائم رذائلهم وبالنور الذى يبدد ظلمة افكارهم وبالحق الذى لا يوافق ضلالهم وبالطهارة التى تقاوم نجاستهم وبالصلاح الذى وافق فسادهم وبالاستقامة التى لا تنطبق على اعواجاجهم بالدينونة التى تحكم على رداءة سيرتهم وقبح سريرتهم . ومن هذا يعرف السبب الذى آل باعداء الكتاب الى مقاومته وهو مخالفة نواهيه لرغائبهم ومباينة لهجته للهجاتهم فانه لا يعلو عن الأفهام .

ان الوحى يطلب ويأمر وينهى غير مبال بالخواطر وعما اذا كان كلامه يرضى الناس أم لانه ليس مثلنا يكترث ويهتم بمقاومة الناس ، وقد قال أحد كتبه " فلو كنت بعد ارضى الناس لم اكن عبداً للمسيح " (غل ١ : ١٠).

ومما يزيد فى اعتبار الكتاب المقدس هو تقرير كتبته للحق واثبات عيوب مشاهيرهم وابطال عصورهم بقلم لا يخشى لومة لائم مع انه كان يمكنهم لو لم تدفعهم يد غير بشرية وتقودهم قوة غير راضية ان يتجاوزوا عن عيوبهم الشخصية وعن نقائض مشاهيرهم ولكنهم اشهروا آثامهم على الملأ دون ان تأخذهم فى ذلك خشية أو يمنعهم عن ذكر عيوبهم سمو مقامهم وعلو مكانتهم كما وان الكتاب يمثل تاريخ اسرائيل تمثيلا واضحا من كل تدليس ومداراة فيذكر كفرانهم وكبرياءهم وفسادهم وارتدادهم عن الله .

ففضل الكتاب ظاهر على الكتب الأخر من هذه الوجهة . وقد اختص بهذه المزية التى لم يشاركه فيها كتاب آخر فاننا تراه يذكر نقائض افضل الناس خلافا لسائر التواريخ التى ما ذكرت انسانا فاضلا بالغت فى الثناء عليه ورفعته الى أعلى عليين وسدلت الحجاب على كثير من عيوبه وضربت صفحا عن جميع السيئات ونظرت الى تلك الحسنات (بالنظارة المعظمة) . اما الكتاب المقدس فنراه بعكس ذلك يذكر خطايا القديسين والانبياء ويشنع فيها ليحمل الناس على كراهتها. فقد انبأنا (١) بسقوط آدم وحواء (٢) ولم يهمل ذكر خطية نوح ولا خطية حام التى جلبت اللعن على ابن كنعان ولم ينس ذكر خطية لوط ابن أخى ابراهيم (٣) واخبرنا ان ابانا ابراهيم لما انحدر الى مصر وهرب خائفا ولم يتكل على ربه تماما قال لفرعون عن زوجته انها اخته كما فعل اسحق ابنه كذلك (٤) ان موسى الكليم الذى عرفه الرب وجها لوجهه غضب غضبا شديداً لا يليق بالقديسين امثاله مع أنه كان حليما جداً أكثر من كل انسان على وجه الارض كما شهد الكتاب ذاته فعوضا عن ان يكلم الصخرة فينبع منها الماء حسب أمره تعالى ضربها بالعصا (٥) بان داود الذى كان نقيا حاراً فى الايمان كما شهدت بذلك كتاباته العديدة واقواله الحارة وتسليمه نفسه بيد الله واتكاله عليه بكل جوارحه وصلواته المتواترة وتمثله بفرائض البارى تعالى فى اقواله وسلوكه واعماله حتى قال عنه الرب " وجدت داود بن يسى رجلا حسب قلبى الذى سيصنع كل مشيئتى " (اع ١٣ :

٢٢) قد ارتكب خطيتي القتل والزنا فجلب ذلك عليه وعلى عائلته وعلى دولته العار والاضطراب وجعل بقيه أيامه كربا ومرارة (٦) وسليمان ابنه الذى قال له الرب لم يكن قبلك مثلك ولا بعدك ، قد سقط فى عبادة الاصنام بسبب النساء الاجنبيات (٧) وان بطرس الرسول انكر سيده ثلاث مرات وبولس استعمل نوعا من الرياء فى دخوله الى هيكل اورشليم مع الاربعة الذين كان عليهم نذر ، الى غير ذلك ممل يضيق المقام عن حصره فاى كاتب فى العالم كانت له هذه المزية ولم يهب وجه ملك ولا خاف من اى انسان مهما كانت صولته وشوكته ؟ ألا يدل ذلك على ان مؤلف هذا الكتاب ليس من الارض لا تؤثر عليه العوامل الزمنية وهو الذى ضبط ايدى الكتبة فسطروا الواقع وكتبوا الصحيح واشهروا عيوبهم وعيوب ابطالهم ليطالعها من يميل الى اكرامهم بالفطرة ؟ . وحتى لو استطاعوا مقاومة المحرك الذى يدفعهم الى اغفال ذكر النقائض لبقى فيهم كل الميل الفطرى الكائن فى أفضل المؤرخين واشهرهم وهو الاهتمام بذكر ما يمتدح فى الاشخاص والتساهل فى ذكر ما لايحمد منهم ، ولكن كتبة الوحى كتبوا بالهام الله انفردوا بهذه المزية التى جعلت الكتاب فريداً بين جميع الكتب ، وهى فيه برهان داخلى ودليل صريح على ان ليس مصدره فكر الانسان كبقية الكتب بل كاتبه هو الله الذى لا يخشى بأس ابطال البشر . قال الرسول بولس " هكذا نتكلم لا بأقوال تعلمها حكمة انسانية بل يعلمه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات " (١ كو ٢ : ١٣) .

ولنلق نظرة على مطالب الكتاب فنجدها لا تعبأ بميل ولا تحفل بغاية بل تنتهى عن كل شر وتأمر بكل صلاح مهما خالف ذلك رغبة البشر مما حدا بالكثيرين الى مقاومته . قال الفيلسوف لوك " ان كمال الكتاب وسموه لما يدهش العقل ويقف عنده الفكر حائراً . اما نفور ذوى الافهام الناقصة منه فمنشاؤه ان هذا الكتاب يكشف لهم حقيقة انفسهم ويكلفهم بواجبات لا تألفها طباعهم ولا يميلون بحسب الفطرة الى اتمامها فيشقون عصا الطاعة ضده ويضادونه لانه ضدهم ولا غرابة فى ذلك . قال تولوك اللاهوتى الجرمانى " ان السبب الذى لاجله نرى فى التوراة اماكن عديدة مظلمة هو بالاكثر وجود يختلج صدور البعض نتكلم عن بعض لهجات الكتاب المقدس المتبعة فيه .

الوجه الاول

خيـــر الكـــــلام ما قل ودل

" لا تكرروا الكلام كالامم " (مت ٦ : ٧)

من عادة الكتاب الاجتزاء في ذكر بعض الامور ارتكانا على ذكرها في مواضع اخرى بالتفصيل في اوقات يحسن فيها الاقتصار والحذف لقوة الدلالة ويكتفي بدلالة الحال ويترك النفس تجول في الاشياء المكتفي الحال عن ذكرها . مثال ذلك قصة بني اسرائيل التي رواها استفانوس الشهيد الاول فانه ذكرها في خطبة وجيزة ولكنها مفيـدة . وان كان قد ترك كثيراً من الامور لم يأت بذكرها فذلك لانها مدونة في محل آخر بالتفصيل ولا مكــــان لمعترض ان يقول : كان يجب عليه ان يقــص كل الحــوادث بدون ترك اى شيء لان ذلك يخرج عن الفائدة والغاية اللتين كان ينشــــدها استفانــوس (١ع ٧) .

وهناك نوع آخر وذلك ما يعترض به البعض على قول الكتاب " وكلم قايين هابيل اخاه . وحدث اذ كانا في الحقل ان قايين قام على هابيل اخيه وقتله " (تك ٤ : ٨) فقالوا انه قد سقطت الجملة (تعال نذهب الى الحقل) وما دروا ان قول الله تعالى " وكلم قايين هابيل اخاه " هي من جوامع الكلم التي تغني عن كلام كثير فتفيد انه بكلام الحقد والحسد والضغينة وأخذه بالاحتيال بقصد الاغتيال كما وان الجملة " وحدث اذ كان في الحقل " تدل طبعا على انه دعاه للذهاب الى الحقل . ومن كلمات اللغة ما يذكر ولكنه يدل على كثير لم يذكر واذا ذكر وذاك انحطت اللغــة الى اسفـل الدركات

ويكفينـــا قول ابن مالك .

والشرط يغنى عن جواب قد علـم   والعكس قد يأتى ان المعنى فهم

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم   جـواب ما أخـرت فهـو ملتـزم

وخذ لذلك مثلا ايضا قول الله لنوح " نهاية كل بشر قد اتت امامى " (تك ٦ : ١٣) فانه مقدر فيه نهاية كل بشر (إلا انت وعائلتك) من حيث استحقاقهم الذاتى لا من حيث عفوى عن بعضهم (يعنى عنك وعن عائلتك) .

ومن ذلك ايضا التناقض المقال بوجوده بين اقوال الانجيل المستفاد منها ان الله واحدفى ثلاثة اقانيم (١) وبين اقوال العهد القديم المستفاد منها ان الله واحد " اسمع يا أسرائيل . الرب الهنا رب واحد " وعلى ذكر هذا التناقض نجزم بان اقوال الانجيل مبرهنة على وجود ثلاثة اقانيم فى اله واحد لا يعارضها شىء من اقوال العهد القديم المتكلمة عن وحدانيه الله لان عدم ذكر هذه الحقيقة بإيضاح فى العهد القديم ليس دليلا لنفيها والعلة فى ذلك أن بذرة التعليم بعقيدة التثليث كانت موجودة فى العهد القديم ولكنها صارت نباتا فعشبا فشجراً فى العهد الجديد . مثال ذلك أنه يظهر لمن يطالع الكتاب أن عقيدة التثليث تدرجت شيئا فشيئا حتى فهمت على أوسع معانيها لأن هذا السر عميق يسمو على المدارك العقلية بما لا يقاس . وكلنا على بينة من قول الله فى أول الكتاب " نعمل .... على صورتنا كشبهنا .... هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم " (تك ١ : ٢٦ و ١١ : ٧) وفيها من الدلالة على سر التثليث ما لا يحتاج معه إلى برهان . وإن قيل أن هذه الألفاظ من قبيل التفخيم كما تستعمل عادة الملوك فنقول وأين الملوك وقتئذ حتى تستعار اصطلاحـاتهم ؟ ومثال ذلك قول الله لعـبده أشعيا " من أرسل ومن

---

(١) اقنوم كلمة يونانية (وقيل سريانية) تدل على ذات يقدر صاحبها ان يقول عن نفسه – أنا – وبعبارة اوضح تدل على " الله " لان كلمة " اقنوم " معناها اكبر من معنى " شخص " وعلى هذا فقد سمى الاب اقنوما والابن اقنوما والروح القدس اقنوما . ثلاثة اقانيم واله واحد الاله المثلث الاقانيم .

يذهب لأجلنا " (اش ٦ : ٨) فان كان هذا للتفخيم لماذا قيل " أرسل " وليس " نرسل " وفى هذا تأكيد بأن الله واحد فى ثلاثة أقانيم .

وقال المرنم " بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمه فيه (أو روح فيه أى ٣٣ : ٤) كل جنودها " (مز ٣٣ : ٦) فهذه الآية ترينا ثلاثة أقانيم فى إله واحد : الرب وكلمته ونسمة فيه ، وهو نفس تعليم الإنجيل .

وإن قيل لماذا لم يذكرها العهد القديم بافصحاح كالعهد الجديد فنقول أن حال الناس فى تلك الأوقات لم يكن قد وصل بعد الى الدرجة التى فيها يفهمون هذه الأسرار العميقة اذا أعلنت لهم كما يقول الرسول بولس " أعطيت هذه النعمة ان ابشر بين الامم بغنى المسيح الذى لا يستقصى . وانير الجميع فى ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع بيسوع المسيح " (اف ٣ : ٨ و ٩) وقوله ايضا " لمعرفة سر الله الآب والمسيح المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم " (كو ٢ : ٢ و ٣) وكثيراً من الامور لم يرد المولى ان يزيل الستار عنها لأهل العهد القديم بل انشأ لها موضوعات تشير اليها من طرف خفى وقد وضع الامور لأوقاتها فالشىء الذى يجب إعلانه فى العهد القديم نراه ظاهراً لا يحتاج إلى بحث والأشياء التى تركت حتى يأتى وقتها لم تذكر إلا فى ازمنتها المعينة وعلى ذلك فسكوت الوحى عن ذكر حقيقة فى محل ما لا يحسب خطأ إذا ترك الايضاح لمحل آخر .

كما انه اذا لم يذكر تعليم فى بعض العبارات لا يستلزم ذلك عدم أعتباره . ومن ذلك ما جاء فى رو ٩ : ١٦ " فاذاً ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل الله الذى يرحم " فلم يذكر فى هذا القول توبة الخاطىء ولا ايمانه وطاعته فهل يلزم من هذا ان نقول ان الله يرحم الناس وان لم يتوبوا ؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً . ومنه ما جاء فى١ تى ٢ : ٥ " لانه يوجد اله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح " فلا يستفاد منه ان المسيح انسان فقط بل لنرجع فى كل ذلك الى اقوال الله المذكورة فى مواضع اخرى لاننا ان لم نفعل ذلك نضل كقول الرسول فى أفسس ٥ : ٢٣ " ان المسيح مخلص الجسد " فهل يجب ان نفهم ان المسيح يخلص الجسد فقط ويترك النفس تهلك .

ذلك ما يمجه كل عاقل ويأباه ولكن كلمة الله يفسر بعضها بعض فان قرأتها لاجل ـ

الفائدة فقد نجحت وان رمت الاعتراض فقد ضللت السبيل وتطبيقا على ذلك نضع امامك مثلا كثيرا ما طعن به الكثيرون على الكتاب وهو ما ورد فى اع ٩ : ٧ " واما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين الصوت ولا ينظرون احداً بمقابلة ما ورد فى ص ٢٢ : ٩ " والذين كانوا معى نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى " فالموارب كثيراً ما يجد اقوالا كهذه حجة يرتكن عليها ولكن الذى يفهم القاعدة التى بنينا عليها كلامنا يعترف أن أقوال الله يوضح بعضها البعض الآخر فأريد بالمعنى الأول " يسمعون الصوت " اى يسمعون شيئا يطن فى آذانهم كأنه صوت " ولا ينظرون أحداً " أى مصدر الصوت . وأريد بالمعنى الآخر " نظروا النور " أى البرق الذى أشار اليه " ولم يسمعوا صوت الذى كلمنى " أى لم يفهموا الكلام (تث ١٨ : ١٥) فكلا القولين صحيح ، فقط ان ما تركه ذاك اتمه هذا ، وقس على ذلك باقى التناقضات المزعومة .

الوجه الثانى

استعارة الاصطلاحات البشرية

" لان من وقف فى مجلس الرب ورأى وسمع كلمته

من اصغى لكلمته وسمع ؟ " (ار ٢٣ : ١٨)

من المعلوم أن الكتب الالهية ناطقة بان الله تعالى واحد أزلى منزه عن الشكل والجسم حسب قوله " فبمن تشبهون الله وأى شبه تعادلون ؟ " (اش ٤٠ : ١٨ و ٢٥ ، ٤٦ : ٥ واع ١٧ : ٢٩) الا انها تذكره أحيانا كأن له عينا وأذنا كقول المزمور " عينا الرب نحو الصديقين وأذناه الى صراخهم " (مز ٣٤ : ١٥) وكأن له ذراعا ويمينا وشمالا ووجها بقوله " لكن يمينك وذراعك ونور وجهك " (مز ٤٤ : ٣) فنقول من الاصطلاحات التى استعملها الله فى كتابه ان يتخذ طباعا معينة ممن يخاطبهم مع ما لهم فى العادات والاخلاق أمثلة يمثل بها عن نفسه العزيزة فان غرض الالهام ابلاغ تلك الحقائق السامية الى بشر ناقص فلابد من تنازل الاعلى الى الادنى ، وتكلم العالم بلغة الجاهل حتى يتمكن البلوغ الى الغرض المقصود ، فالانسان لا يستطيع ادراك تعبيرات الله جل شأنه عن نفسه العزيزة الا اذا تنازل وعبر عنها بتعبيرات بشرية . (راجع اى ١٥ : ٨ و ٢١ : ٢٢ وار ٢٣ : ١٨ ورو ١١ : ٢٣ و ١ كو ٢ : ١٦) فذكر الوحى لله عينا يدلنا على انه يحفظ ويقى شعبه بعين محدقة شاخصة وانه ينظر ويرصد ويراقب الشر كما قيل " عيناه كلهيب نار" (رؤ ١ : ١٤) وكذلك الاذن فانها مجاز عن السمع ، واليمين والذراع مجاز عن القوة القاهرة ، وبما اننا نحن البشر نعرف وظائف هذه الاعضاء فقد استعارها الرب للتعبير عن نفسه تقريبا لعقولنا وافهامنا .

واننا نشعر بلزوم هذا اذا لاحظنا الصعوبة فى تأدية المعانى الدينية الروحية الى الناس بلغة بشرية ، فالناس يتكلمون غالبا فى الروحيات بالتشبيه والكنايات وكذلك فى شأن العقل واعماله ولاسيما أهل العصور السالفة ففى أول نبوغ الشعوب كان معظم كلامهم من باب الاستعارة وكانوا يوضحون الحوادث المتعارفة باستعمال علامات طبيعية فاشتقوا كلمة روح من مادة معناها النفس (ولهذا نفخ المسيح فى تلاميذه عندما قال لهم اقبلوا الروح القدس . وكذلك ينفخ رئيس الاساقفة عند رسامة احد الاساقفة) وحال الانسان يقتضى بالضرورة ايضاح الكلام فى أمر له علاقه بالعقل أو الامور الروحيه بأستعارات من الامور الطبيعية لانه يستحيل تصور معانى الكلمات الدالة على امور روحية حق تصور بدون معرفة الاصطلاحات (والاشارات) المتعارفة عندنا . فالحمد لله انه سر بتنازله لمخاطبتنا بما لا يعسر على افهامنا فقد بلغنا معرفة نفسه بما هو مألوف وله علاقة بأمور معروفة عنا وكشف لنا الحقائق السماوية فى طريق المجاز بالعوارض الأرضية ، فاستعمل تعالى الأمور الطبيعية لأيضاح صفاته الباهرة لانه خلقها موافقة لذلك ، فالعالم غير المنظور بمنزلة الساعة الباطنة والعالم المنظور بمنزلة الآلات الظاهرة ، فالافكار الروحية توشحت منذ البدء بالكنايات والاستعارات الطبيعية ثم تجلت تلك الكنايات والاستعارات وسفرت عن الامور الروحية . ففى عالم الطبيعة اشارة وشهادة لعالم الارواح لانهما قد صدرا من يد واحدة .

وفى كتاب " أصول التلمود " ص ٥٢ و ٥٣ ما يوافق رأينا " وعندما كثر اختلاط اليهود باليونانيين تبادل الفريقان علومهم فأثرت الفلسفة اليهودية الدينية على الفلسفة اليونانية ، فان اليهود تلقوا فلسفة أفلاطون وأخذوا يوفقون بينهما وبين التوراة واجتهدوا فى تفسير ما فى هذه العبارات المجسمة (مثل يد الله واصابع الله ، وندم الله ، التى كثيرا ما ترد فى التوراة كما لا يخفى) بالرموز والاشارات جريا على عادة اليونان واتفقوا أخيرا على أن الالفاظ الدالة على التجسيم لم تكن سوى تعبيرات بسيطة يقصد منها تقريب المعنى المقصود الى فهم العوام " وقال بعضهم " لما كلم الله البشر كلمهم بلغتهم لانه تكلم بالانسان ولاجل الانسان " .

ولزيادة الايضاح نقول : أن الله تعالى لم يتخذ طباعا معينة لقوم مخصوصين مع

ما لهم من العادات والاذواق نموذجا لكل ما مثل به عن نفسه العالية كأنه يعبر عن نفسه بعادات عبرانية بينما يكون المخاطبون عمالقة أو أراميون مثلا وبالعكس ، بل كان يمثل حسب اصطلاح لغة المخاطبين ، كل حسب لغته واصطلاحاته .

ولنرى الآن ما يذكره به المعترضون ضد الكتاب اذ يقولون بوجود تناقض بين " بمن تشبهون الله " (اش ٤٠ : ١٨) وبين " نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا) (تك ١ : ٢٩) مع أنه لا يعنى بالضرورة الصورة والشبه اللذين نحن عليهما طبعا والمتكلم ذو الجلال الغير المتناهى بل يصح فهمه بمعنى الصورة والشبه اللذين جزمنا بهما من قبل أو رسمناها ويمكن فهم قوله " على صورتنا كشبهنا " أنه ليس من جهة الصورة والشبه الطبيعيين اللذين تنزهت عنهما العزة اللهية بل الصورة والشبه الروحين الطاهرين اللذين عليهما سبحانه وتعالى ، أو الصورة والشبه النسبيين فى الله بالنظر الى خلائقه التى أوجدها كتسلط الانسان على الارض وما تحويه . فكأن الصورة والشبه المقصودين انما هما هيئة السيادة التى يقوم عليها الانسان بالنسبة الى سائر المخلوقات الارضية وهنا يصدق قول يعقوب الرسول " ان كل طبع الوحوش والطيور والزحافات البحرية يذلل للطبع البشرى " (يع ٣ : ٧) وقول مرتل اسرائيل عن الانسان " تسلطه على اعمال يديك جعلت كل شىء تحت قدميه " مز ٨ : ٦ فليس المقصود اذاً من قول الخالق " صورتنا " الصورة الجسدية بل الصورة العقلية الادبية الروحية ، لان الانسان بالنظر الى جسده ليس على صورة الله فهو على صورته تعالى فى انه ذو عقل وشعور وارادة واختيار وقوى ادبية وقدرة على ملازمة القداسة وفى ان الله قد اعطاه سلطانا على سائر المخلوقات .

قال احد العلماء " ان الانسان ولغته ومدراكه محدودة . اما الكائن الجليل المسمى " الله" فهو غير محدود وما تسميته " الله " أو " الرب " ووصفه بانه رؤوف أو رحيم الخ . الا من باب التسامح والتساهل لا من باب التدقيق والتحقيق لأننا لم ندرك ولن ندرك كنهه واذ ذاك فكيف نسميه الها وربا ونصفه أنه رحيم ورؤوف الخ " .

وكذلك اذا رأينا فى الكتاب اضافة ضمير الجلالة أو أحد الاسماء الحسنى فليس

إلا لمجرد تعظيم المضاف او التبرك به على نحو قولك " جنة الرب " (تك ١٣ : ١٠) ربما كان المراد جنة فيحاء . وقوله " جبل الله " (خر ٣ : ١) ربما مراده الجبل المبارك أو الجبل المقدس (عد ٥) .

أمـا الالفاظ المسندة للعزة الالهية التى يستفـاد منها أنه ندم (يون ٤ : ٢ ويو ٢ : ١٣ وحز ٧ وتك ٦ : ٦ و٧) وترأف وشفـق (مز ٩٠ : ١٣) وغضـب (عد ١٢ : ٩) فهى ليسـت الا استعارات اتخذها البارىء من لغة البشر يعبر بها على انه يغضب اذا ارتكبوا الاثم ، ويترأف ويشفق ويرجع عن حمو غضبة وسخطه اذا تابوا واقلعوا عن خطاياهم الخ .

وكثيراً ما يقول بعضهم ان الكتاب يحدد احيانا مكانا لله تعالى كالمعبد او الكنيسة كقول السيد المسيح " حيثما اجتمـع اثنان أو ثلاثة باسمـى فهناك اكون فى وسطهم " (مت ١٨ : ٢٠) فنقول ان الكتب المقدسة ناطقة جهراً ان الله تعالى مالىء السموات والأرض ولا يخلومنه مكان فورد فى ار ٢٣ : ٢٤ " اذا اختبأ انسان فى امـاكن مستتـــرة أفما اراه أنا يقول الرب . أما أملأ انا السموات والارض يقول الرب " (راجع ايضا مز ١٣٩ : ٧ وعا ٩ : ٢ و ٣ و١ مل ٨ : ٢٧ وعو ٤) أما قوله " حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة فهناك اكون فى وسطهم " فيراد به ان يظهر قوته فى ذلك المحل وهذا هو المراد بالحضور أى ان قوته تحضر معهم .

لمجرد تعظيم المضاف او التبرك به على نحو قولك " جنة الرب " (تك ١٣ : ١٠) ربما كان المراد جنة فيحاء . وقوله " جبل الله " (خر ٣ : ١) ربما مراده الجبل المبارك أو الجبل المقدس (عد ٥) .

أمـا الالفاظ المسندة للعزة الالهية التى يستفـاد منها أنه ندم (يون ٤ : ٢ ويو ٢ : ١٣ وحز ٧ وتك ٦ : ٦ و٧) وترأف وشفـق (مز ٩٠ : ١٣) وغضـب (عد ١٢ : ٩) فهى ليسـت الا استعارات اتخذها البارىء من لغة البشر يعبر بها على انه يغضب اذا ارتكبوا الاثم ، ويترأف ويشفق ويرجع عن حمو غضبة وسخطه اذا تابوا واقلعوا عن خطاياهم الخ .

وكثيراً ما يقول بعضهم ان الكتاب يحدد احيانا مكانا لله تعالى كالمعبد او الكنيسة كقول السيد المسيح " حيثما اجتمـع اثنان أو ثلاثة باسمـى فهناك اكون فى وسطهم " (مت ١٨ : ٢٠) فنقول ان الكتب المقدسـة ناطقة جهراً ان الله تعالى مالىء السموات والأرض ولا يخـل ومنه مكان فورد فى ار ٢٣ : ٢٤ " اذا اختبأ انسـان فى امـاكن مستتـرة أفما اراه أنا يقـول الرب . أما أملأ انا السـموات والارض يقول الرب " (راجـع ايضا مز ١٣٩ : ٧ وعا ٩ : ٢ و٣ و١ مل ٨ : ٢٧ وعو ٤) أما قوله " حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة فهناك اكون فى وسطهم " فيراد به ان يظهر قوته فى ذلك المحل وهذا هو المراد بالحضور أى ان قوته تحضر معهم .

الوجه الثالث

اصطلاحات الكتاب العمومية

" الله بعدما كلم الآباء بالانبياء قديما بانواع وطرق كثيرة كلمنا فى هذه الايام الاخيرة فـى ابنه " (عب ١ : ١ و ٢)

ان الكتاب المقدس يقود مطالعه رغما عنه الى الاعتراف بصحته لأنه يحوى فى تركيبه واصطلاحاته ما يقف عند الفكر تائها اذ بينما تجد كتبة الكتاب متنوعين وازمنتهم وامكنتهم واحوالهم مختلفة ، والمواضيع التى تكلموا عنها متباينة . مع ذلك تراهم يجرون مجرى واحداً فى الاصطلاحات والاستعارات فأول مرة يقع نظرنا مثلا على العدد سبعة نجد أنه يقوم مقام العمل التام أو مدة الراحة . فاذا تقدمت فى درس ما جاء عن هذا العدد فى سائر اجزاء الكتاب تجده يمثل جوهريا هذين الفكرين الرئيســيين . وأول مرة يقع نظــرنا عل ذكر روح الله هى حيث يتكلم عنه كحمامة ترف أو تحتضن الاعمـــاق المائية ليخرج حياة ونظاما من عدم الانتظـــام . ومن هـــذه النقطة فصاعدا نجد روح الله يقوم بهذا العمل الخصـــوصى ، إذ نراه يحتضن اختلال الجنس البشرى الخرب ويرف على غمره المختل ليرفعه الى النظام والحياة السمـــاوية ، واول محل نـــرى فيه كلمات " آمن . حسب . برا " هو عند الكـــلام عن ابراهيـــم (تك ١٥ : ٦) ومن هذه النقطة فصاعدا نجد الايمان وحسبان البر صـــنوين لا يفترقان .

وهكذا قل فى باقى المواضيع فالناموس وشعب اسرائيل والمحبة والخلاص والصلاة والخطية وغير هذه كلها تكلم عنها الكتبة بدون تواطوء فيما بينهم لانه لايمكن لاى عقل بشرى يعلم سلفا اية المواضيع التى يتناول البحث فيهـــا الكتبة الآخـــرون الذين يأتـــون بعده .

واخص المواضيع التى تدور عليها بحث الوحى العمومى هى ابوة الله واخوة البشر والفداء الروحى وحجر الزواية والخليقة الجديدة ، وحول هذين الفكرين المزدوجين عن علاقة الانسان الطبيعية والروحية مع الله ومع بنى جنسه تدور كل تعاليم الكتاب الادبية . ثم المسائل التاريخية تدور نقطها حول عائلة مختارة هى عائلة ابراهيم فأمة مختارة وهى أمة اسرائيل ثم ملكوت الله تحت ملك المسيح . وهكذا فى الاصحاحات النبوية التى دارت رحاها حول الامة اليهودية واعداء شعبه مثل نينوى ومصر وبابل وصور . واشهر الاصطلاحات هى الاصطلاحات الربانية فعدد ٧ و ١٠ و ٣ و ٢٤ و ٤٠ الخ كل هذه استعيرت للتعبير عن اشياء مجازية وقد اتفق على استعارتها جميع الكتبة من موسى الى يوحنا (قابل تك ٣١ : ٧ ودا ١ : ٢٠ ورو ٢١ : ١٠) .

وهناك ايضا اصطلاحات لفظية ففى العهد القديم يكنى الشخص بصفته كالاشرار يقال عنهم بنى بليعال (قض ١٩ : ٢٢ و ١ صم ٢ : ١٢) وكذلك يدل اسم الأب على نسله كالأسرائليين نسبة الى ابيهم يعقوب ، او الى رئيس قبيلتهم كالعمالقة نسبة الى عماليق . ويدعى الولد ابنا لجده كمفيبوشث دعـى ابن شـاول مع انه ابن يوناثان بن شـاول ٢ صـم ١٩ : ٢٤ ولفظة اخ تدل على القرابة مطلقا كدعوة لوط اخى ابراهيم وهو ابن اخيه (تك ١٤ : ١٦ و ٢٩ : ١٢ و ١٥) .

اما فى العهد الجديـد فيسمـى كل ممتاز بكـراً (رو ٨ : ٢٩ وكـو ١ : ١٥ و ١٨ وعب ١٢ : ٢٣) وقد جرى استعمال ذلك فى العهد القديم ايضا (مز ٩ : ٢٧ وار ٣١ : ٩) وكذا لفظة فتح فاه بمعنى ابتدأ يتكلم بأمور ذات شأن ، ونحو أكل خبزاً أى أكل حسب الاصطلاح العام ، وعاد وأرسل اى ارسل ثانيا ، وفم السيف اى حده ، وسرت به نفسى اى سرت به ، ومؤمنون باسمه اى به ، ومثل ابن الانسان ويقصد به مظهر طبيعة الانسان الجوهرية الخالية من كل غضن طارىء ،وملكوت السـموات والقصد بها دائرة النعمة هنا والمجد فى الابدية . وغير هذا كثير كالاصـطلاحات اللغوية وغيرها (انظر القواعد السنية – القاعدة الثالثة) .

الوجه الرابع

ذكر صفة لحادثة تكون لها صفات كثيرة

" التى فيها (الكتب المقدسة) أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء

وغير الثابتين كباقى الكتب ايضا لهلاك انفسهم " (٢ بط ٣ : ١٦)

من مناهج الكتاب ان يقتصر على ذكر صفة لشىء فى حين ان يكون له صفات كثيرة ولا صحة لتناقض بين قولين يحتمل ان يكون احدهما ينص عن الموضع من جهة بينما الآخر ينص عنه من جهة اخرى ، ويلحق بهذا ما يظهر من التناقض بين قولين لكون احدهما يستخدم كلمة بمعنى ، بينما الأخر يستخدمها بمعنى آخر . خذ لذلك مثلاً ما ورد فى تك ١ : ٣١ ورأى الله كل ما عمله فاذا هو حسن " وما ورد فى ص ٦ : ٦ " فحزن الرب انه عمل الانسان فى الارض " ولكن بما ان عادة الكتاب كما قلنا اتخاذ حال لبعض الاشياء من بعض احوالها فلذلك قال اولا انه سر بالنسبة لما كانت عليه الحال وقت السرور ، ثم حزن بعد ذلك من جهة اخرى لأن الأنسان لم يسلك كما يريد فهو سر من جهة وحزن من جهة اخرى .

وجاء فى التلمود قصة تناسب ما نحن بصدده . نصها .

" قال وثنى للربى يوشيا : هل تعتقد ان الله يعلم المستقبل ؟ " .

– نعم .

– اذاً لماذا كتب ان الرب قال سأبيد كل شىء صنعته لأنى ندمت على صنعه . ألم

يكن الله عالما ان الأنسان يكون فاسداً ؟ .

– نعم . واذا ولد لك ولد فماذا تعمل ؟ .

– أسر وافرح فرحا عظيما .

– ما الذى جعلك ان تسر وتفرح . ألا تعلم انه سيموت ؟ .

– نعم هذه حقيقة لا ريب فيها ولكن الانسان وقت الفرح لا يفتكر فى المستقبل .

– هكذا الله مع علمه ان الانسان سيخطىء ولكن هذا العلم لم يمنعه عن اتمام قصده العظيم فى خليقته .

وينحصر تحت هذا الوجه التناقض المقال بوجوده بين ان الله لا يسر بالكذب وقد حرمه . وبين اصدار اذنه لصموئيل النبى بعدم التعرض لذكر الداعى الأصلى لقدومه الى بيت لحم والاجتزاء بذكر المسألة الثانويـة وهى تقديـــم الذبائـح (١ صم ١٦ : ١ – ١٣) مع ان الذى يدقق النظر يرى ان جزء الحقيقة لايزال حقا مهما كانت نيه المجاوب ولا سيما اذا لم يتعرض لباقى الحقيقة ، لا باثبات ولا بنفى .

ومن ذلك التناقض المدعى بوجوده بين " كان نوح رجــلا بـــاراً كامــلا فى كل اجيــاله " (تك ٦ : ٩) وبين " ليس بار ولا واحد " (رو ٣ : ١٠) وكلا القولين صادقان لان نوح كان باراً بالنسبة لأهل جيله بينما فى الحقيقة ليس بار ولا واحد لأستيلاء النقض على الجميع بالنسبة لكمال الله غير المتناهى وسقوط بنى آدم فى الخطية .

ومنه ايضا التناقض المزعوم بوجوده بين الآيات العديدة الواردة فى كلمة الله التى تحرم على الناس شرب الخمر وبين الآيات الأخرى التى يظهر منها اباحة شربه . فمن الآيات التى تحرم شربه قول سليمان الحكيم " لا تكن بين شريبى الخمر بين المتلفين اجسادهم لأن السكير والمسرف يفتقران " (أم ٢٣ : ٢٠ و ٢١) " لمن الويل لمن الشقاوة لمن المخاصمات لمن الكرب لمن الجروح بلا سبب لمن ازمهرار العينين . للذين يدمنون الخمر الذين يدخلون فى طلب الشراب الممزوج " (أم ٢٣ : ٢٩ و ٣٠) " الخمر مستهزئة . المســـكر عجاج ومن يترنح بهما فليس بحكيم " (ام ٢٠ : ١) " ويل للمبكرين صباحا يتبعون المســـكر للمتأخرين فى العتمة تلهبهم الخمر . ويل للابطال على شرب الخمر ولذوى القدرة على مزج المســـــكر " (اش ٥ : ١١ و ٢٢) " ويل لمن يسقـــى صاحبه ... مسكراً " (حب ٢ : ١٥) " الزنا والخمر والسلافة تخلب القلب

" (هو ٤ ١١) " ويل لاكليل فخر سكارى افرايم ... المضروبين بالخمر " (اش ٢٨ : ١) " ولكن هؤلاء ضلوا بالخمر تاهوا بالمسكر " (اش ٢٨ : ٧) وقد حرم الله على نذيره شرب الخمر (عد ٦ : ١ -٤ وقض ١٣ : ٧ و ١٤ ولو ١ : ١٥ ولا ١٠ : ٨ و ٩) واوضح الكتاب ان الذين يدمنون الخمر هم الاشرار والمعلمــون الكذبــة (دا ٥ : ١ - ٣ و ٥ و اش ٥٦ : ١١ و ١٢ و ٥ : ١٢ وتث ٢١ : ١٨ -٢١ وعا ٦ : ٦ و ٧ ومت ٢٤ : ٤٨ - ٥١ ومز ٦٠ : ٣ و ٧٥ : ٨) كما أنه يشغل القلــب ويضيــع الصــواب (ام ٢٣ : ٣١ - ٣٥ وتك ٩ : ٢١ و ١٩ : ٣١ - الخ ولو ٢١ : ٢٤) .

اما الآيات التى يظهر منها اباحة شربة كما يدور بخلد البعض وقولهم " لماذا حول السيد المسيح الخمر فى عرس قانا الجليل ؟ " (يو ٢ : ١ - ١١) وقال الكتاب " انفق الفضة فى كل ما تشتهى نفسك فى البقر والغنم والخمر والمسكر وكل ما تطلب منك نفسك وكل هناك امام الرب الهك وافرح انت وبيتك " (تث ١٤ : ٢٦) " وخمر تفرح وجه الانسان لالماع وجهه اكثر من الزيت " (مز ١٠٤ : ١٥) " اعطوا مسكراً لهالك وخمراً لمرى النفس . يشرب وينسى فقره ولا يذكر تعبه فيما بعد " (ام ٣١ : ٦ و ٧) " اذهب كل خبزك بفرح واشرب خمرك بقلب طيب لأن الله منذ زمان قد رضى عملك " (جا ٩ : ٧) " ينبغــى ان يكون الاسقف غير مدمن الخمــر " (أى يستعمل منه القليل) (ا تى ٣ : ٣) " لا تكن فيما بعد شراب ماء بل استعمل خمراً قليلا من اجل معدتك واسقامك الكثيرة " (ا تى ٥ : ٢٣ راجع ايضا ام ٩ : ٢ و ٥ واش ٥٥ : ١) .

وبناء على هذا يحتج البعض على الكتاب بتناقض فيه ويحتج كثيرون من مدمنى الخمر وممن يميلون اليها من المسيحيين ولا يهتمون باضرارها الكثيرة بانه لا مانع من استعمالها دينيا لانها غير محرمة تحريما مطلقا ، ولم نجد اكذب من هذين التهمتين اللتين يتهمون بهما الكتب المقدسة اذ لا يعقل ان الكتب الالهية تصرح بشىء هى تحرمه فى وقت واحد وتنشأ عنه اضرار جمة لا تحصى ولم تقم امة من امم الارض الا وقد اشارات الى القبائح التى تنتج عن المسكر

وحلا لهذا المشكل نقول : قرر علماء الكتاب أنه يوجد نوعان من الخمر : منه ما هومسكر لاشتماله على الكؤول ، ومنه ما هو غير مسكر . وكلا النوعين مترجم الى العربية واللغات الاخرى بلفظة " خمر " وكانت هذه المشروبات معروفة عند قدماء اليهود . وقد عرف سليمان نوعا من الخمر المسكر بقوله " لا تنظر الى الخمر اذا احمرت التى

تظهر حبابها فى الكأس . فى الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالافعوان " هذه هى الخمر المسكرة .

وفى اللغة العبرانية التى كتب فيها العهد القديم قد ذكرت انواع كثيرة من الخمر وكلها ترجمت بكلمة واحدة . أما الكلمات الرئيسية المستعملة هى " ياين " و" سكر " و" تيروش " و " فياين " حسب قول الباحثين فى التوراة تشير الى عصير العنب تحت اشكاله ، حامضا كان او حلوا ، مختمرا كان او غير مختمر (سكر) كلفظة السكر باللغة العربية تشير الى عصير حلو مأخوذ مما حوى العنب وقد ترجمت احيانا عسلا ، ويقصد بها غالبا عصير التمر وهى مثل (ياين) تحتوى على العصير المختمر . اما (تيروش) فاطلقت على ثمر العنب الناضج وعصير العنب قبل الاختمار فيه وتترجم عادة بالخمر الجديدة أو السلافة (اعمال ٢ : ١٣) .

وقد اطلق العبرانيون لفظة (ياين) على الخمر المأخوذ من العنب مهما كانت حالته سواء مختمرا أو غير مختمر وهذا يكفى لأثبات نوعين من الخمر يسمى كل منهما باسمين مختلفين يذكرهما الكتاب المقدس ، الواحد حلو غير مختمر وغير مسكر وهو الذى يبيح الكتاب شربه فى الآيات المذكورة اولا ، والآخر مختمر وهو المحرم شربه فى الآيات المذكورة ثانيا (١) .

---

(١) جاء فى القواعد السنية ص ١٦ " فى الكتاب ألفاظ يراد جملة معان كلفظة " ايمان " فيراد بها الانجيل " غل ١ : ٢٣ " والحق أو الامان " رو ٣ : ٣ وغل ٥ : ٢٢ " ودليل أو برهان " اع ١٧ : ٣١ " ويراد بها الاقتناع القلبى بالواجبات (رو ١٤ : ٢٣) . ولفظة " لحم أو جسد " قد يراد الدلالة على ما هو لين قابل للتأثير والتعليم " حز ١١ : ١٩ " وتارة يكون معناها الطبيعة البشرية بغض النظر عن الخطية " يو ١ : ١٤ ورو ١ : ٣ " أو من حيث هى فاسدة خاطئة " رو ٨ : ٥ واف ٢ : ٣ " . ولفظة " خلاص أو نجاة " يراد بها فى بعض المواضع الامان والنجـاة (خر ١٤ : ١٣) أو الشفاء (يع ٥ : ١٥) ولكنها معناها الاكثر دورانا البركة الروحية " لو ١ : ٧٧ واف ٢ : ٨ " وقس على ذلك كلمة دم ونعمة " خمر " الخ وكذلك يوجـد تسمية شخص أو شيء واحد بأسماء كثيرة كمتى ولاوى أسمان لواحد ، وتداوس ولباوس ويهوذا ثلاثة أسماء لواحد ، وحوريب وسينا أسمان لجبل واحد ، واخزيا بن يهورام دعى عزريا ويهوآز الخ .

ويظهر من الكتاب ان الخمر غير ممنوع بتاتا بل اجيز اســـتعماله فى ثلاثة مواضع (١) فى القرابين اليهودية اذ قيل يلزم سكيب ربع الهين من الخمر للخروف الواحد " خر ٢٩ : ٤٠ ولا ٢٣ : ١٣ وعد ١٥ : ٥٠ " (٢) فى العشاء الربانى " مت ٢٦ : ٧ و ٢٨ " (٣) وصفه على شكل دواء فقط " ١ تى ٥ : ٢٣ ولو ١٠ : ٣٤ " .

فاذا سلكنا فى تعبير آيات الكتاب مسلكا واحداً نضل ونسقط . فمثلا لو فسرنا قول السيد " ما جئت لألقى سلاما بل سيفا " " مت ١٠ : ٣٤ " تعبيراً حرفيا لكنا من المفترين . وكذلك قوله " كونوا كاملين كما ان اباكم الذى فى السموات هو كامل " والامر مسلم انه لو صار المعنى الحرفى وصية صريحة او قضية مثبتة وجب العدول عنه الى معنى آخر يوافق المبادىء الصحيحة .

الوجه الخامس

بعض اساليب اخرى

" بحسب الانسان اقول " غل ٣ : ١٥

يتبين لكل متمعن فى الكتاب المقدس المقدس انه لا يتكلف الفصاحة بل بما انه من الله لا فادة الناس فهو يستعمل الاساليب السارية بين عموم البشر تقريبا لافهامهم كما يقول بولس " بحسب الانسان اقول " (غل ٣ : ١٥) ومن ذلك ان الكتاب يستعمل نوعا من المبالغة المعروفة عندنا فى اوقات تناسبها . خذ لذلك مثلا " وكان المطر على الارض " (تك ٧ : ١٢ وانظر عدد ١٩) فمما لاشك فيه ان المقصود هو" الارض " كما عرفوها فى تلك الايام وهى عبارة عن سوريا وارمينيا وما بين النهرين . وعلى ذلك قوله " فكان جوع فى جميع البلدان " (تك ٤١ : ٥٤) وغاية ما يصح ان نحكم به هو ان المراد بها بلدان معينة محدودة غير بلدان القطر المصرى المعروف حينئذ بحدوده ومعالمه والمراد هنا بكل البلدان الاراضى المجاورة ومثال ذلك ما ورد فى عد ٥٦ " كل وجه الارض " وعد ٥٧ " وجاءت كل الارض الى مصر " وعلى هذا يحتمل ان المراد بالارض فى اقوال الكتاب المطلقة بشأن الطوفان ، الاراضى العامرة وقت الطوفان .

ومن هذا القبيل قول الذين كانوا قاصدين بناء برج بابل بعضهم لبعض " هلم نبن لانفسنا مدينة وبرجا رأسه " (تك ١١ : ٤) فهل كانوا يظنون انهم يدركون السماء عينها او يصلون الى عرض اللون الأزرق المشاهد فوق رؤوسنا كلا ! بل قد يكون كلامهم او تعبير الكاتب عنهم سبيل المبالغة كما لو كان قد قيل " برجا رأسه بالغ فى العلو ارتفاعا عظيما " وقول الله لابراهيم " اكثر نسلك كنجوم السماء وكالرمل الذى

على شاطىء البحر " " تك ٢٢ : ١٧ و ١٨ " فهى مبالغة تشبيهية فى غاية السمو والجمال . ومعناه انه يبلغ من الكثر عدداً عظيما . وكقول لوقا " صدر امر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة " فطبعاً لا يقصد بكل المسكونة الا العالم الرومانى المعروف . وكذا قوله عن المسيح " وخرجت وراءه كل الارض " اى تبعه جم غفير . ومن ذلك قول العهد الجديد انه فى يوم صلب المسيح " كانت ظلمة على كل الارض " مت ٢٨ : ٤٥ أو على الارض كلها (مر ١٥ : ٣٣ ولو ٢٣ : ٤٤) فان طبيعة الالفاظ تحمل ان يكون المراد كل ارض فلسطين .

ولا نتوهم ان المبالغة نوع من الكذب والبهتان تستوجب تحقير الكلام المصاغ فى قالبها او الشخص الذى صاغه فيها بل تيقن انها ضرب من ضروب الاقتدار فى حسن التعبير ويصرح انصارها انه لا يحتقرها الا الجاهل .

كما أن الكتاب يشير احيانا الى ما هو غالب الحدوث ولا يراعى المستثنيات كقول سليمان " رب الولد فى طريقة فمتى شاخ لا يحيد عنه " (ام ٢٢ : ٦) فان هذا القول لا يصح دائما كما ترى فى سيرة سليمان نفسه لكنه يصح غالبا لان التربية بالتقوى والآداب مما ينتظر منه البركة الالهية .

وتوجد اقوال كثيرة فى الكتاب لا يؤخذ معناها حرفيا ، كقوله " كنت آخذ الذى لى مع ربا " (مت ٢٥ : ٢٧) وليس المقصود اباحة الربا بل التحريض على العمل والجهاد . وكذلك قوله " صلوا بلا انقطاع " فتفيد المواظبة على الصلاة لا ان نقضى وقت النوم والاكل فى الصلاة .

وكذلك يؤخذ من (١ تى ٢ : ٤) " ان ارادة الله هى ان جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون " بينما يستفاد من (٢ تس ١ : ٨ و ٩ ، ٢ : ١١ و ١٢) ان البعض يبقون فى الجهالة ويهلكون . فذو العقل السليم يستطيع ان يوفق بين كلتا العبارتين بما ورد (مز ٨١ : ١٣ و ١٤) " لو سمع لى شعبى وسلك اسرائيل فى طرقى سريعا لكنت اخضع اعداءهم . وعلى مضايقيهم كنت ارد يدى " ولكن لانهم لم يعلموا هكذا أسلمهم الله الى قساوة قلوبهم ليسلكوا فى مؤمرات أنفسهم كما نقرأ أيضا فى أماكن عديدة " الرب صنع الكل لغرضه والشرير أيضا ليوم الشر " (ام ١٦ : ٤) " ولكن شدد

الـرب قلـب فرعـون " (خـر ١١ : ١٠ ويـو ١٢ : ٣٨ - ٤٠) فلا يستفاد من كل هذا ان الله سبحانه وتعالى هو مبدع الخطية حاشا له من ذلك . فاصطلاح الكتاب الحقيقى هوان الله عامل الشيء والمراد انه تممه بعلل ثانوية او هو سمح بان يعمل . وهكذا نقرأ ان فرعون قسى قلبه وايضا ان الله قسى فرعون والمراد فى الجملة الاولى ان فرعون كان الفاعل فى تقسية قلبه وفى الثانية ان الله تركه وسمح له ان يقسى قلب نفسه . ثم المراد بالشر المذكور فى اشعيا " صانع السلام وخالق الشر " ليس الشر الادبى بل الشر الناتج عقابا للخطية او قصاصا لها .

وهكذا تجد فى اقوال الله طرقا مختلفة واساليب شتى للتعبير عن المقصود وكلها لا تخرج عن المبادىء الصحيحة ويلزم كل قارىء فى كتاب الله ان يطلب ارشاد روحه القدوس لأن الكتاب لجة عميقة ، من استضاء بمصابيحه ابصر ونجا ومن اعرض عنه ضل وغوى . وعلى كل حال مهما استخرجت للمعارض من البراهين فانه لا يقنع بل يزداد صلابة ويدعى ان فى الكتاب تناقضا حال وقوع نظره على جملتين لم يفهمها حسب رأيه الضعيف . وقد مر بنا ان كل ترهـات المدعين على الكتـاب بانه مملـوء بالمفارقـات هى واهية كمـا ان كل اعتراضاتهـم باطلـة ، وقس باقى الادعـاءآت التى مـن هـذا القبيـل على ذكر يتضـح لك خطـأها وصحة كتـاب الله العزيز .

قول موسى « لاتكم توراً دارسا » مع ان موسى لم يقصد به خير الثيران بقدر ما قصد به تعليم البشر ان الفاعل مستحق أجرته . وكاستعارة الصولجان أو العكاز والمراد به القوة وغير ذلك (١) .

ثانيا – الرمز . الرمز أو الايماء أو الاشارة (غل ٤ : ٢٤) والكتاب مشحون من الرموز والاشارات خصوصا الى المسيح فادى الخطاة . والرمز هو أن يحكى بكلام حرفى يشار به إلى معنى روحى ولكنه لا ينكر فى الرمز المعنى الحرفى ايضا كما يتضح من قول بولس الرسول ان شرب شعب اسرائيل من الماء الخارج من الصخرة الامر الواقع تاريخيا يرمز الى شرب الماء الروحى من الصخرة التي هى المسيح (١ كو ١٠ : ٤) وكذلك قوله ان هاجر وسارة عهدان (غل ٤ : ٢٤ و ٢٥) .

والرموز الى السيد المسيح تشغل كل اجزاء العهد القديم ويظهر لكل من يتأمل فى الكتاب أن الله تعالى أراد أن يعلم الاسرائليين انتظار المسيا بواسطة الشرائع والطقوس والتعاليم الموسوية . ومن أراد أن يحيط بالرموز التى تذكر فى العهد القديم عن المسيح فليراجع كتاب " كنوز الطلاب فى رموز الكتاب " ولئلا يفوت القارىء فرصة مطالعة ذلك الكتاب نأتى له بذكر الأمور حسبما هي مذكورة فيه بالترتيب :

(أولا) الأشخاص المرموز بهم . وإذا أردنا مقابلة صفات بعض المشاهير فى العهد القديم نراها كما يأتى (١) آدم يمثل خطية الانسان الداخلية (٢) هابيل يمثل الكفارة (٣) أخنوخ الشركة (٤) نوح التجديد (٥) ابراهيم الايمان (٦) اسحق البنوية (٧) يعقوب التلمذة والخدمة (٨) يوسف وداود المجد بعد التألم والانتصار بعد الجهاد (٩) موسى الخضوع (١٠) يشوع القيادة (١١) سليمان التعليم(١٢) يونان موت المسيح ودفنه (١٣) ملكى صادق رمز الى دوام كهنوت المسيح

---

(١) انظر كتاب " القواعد السنية " ص ١٣٠ وكتاب " اصول البلاغة " تحت باب المجاز – طبع وزارة المعارف العمومية بمصر .

(ثانيا) الاشياء الرمزية . (١) رؤيا سلم يعقوب إشارة إلى أن المسيح هو طريق السماء وهو الذى ربط الأرضيين بالسمائيين وجعــل الاثنين واحداً (يو ١٤ : ٦ واف ٢ : ١٤ الخ) (٢) رؤيا العليقة المتقدة إشارة إلى تأنس المسيح (٣) عمود السحاب والنار. اختفاؤه فى طى السحاب رمز إلى ظهور المسيح تحت حجاب التجسد وفيه إشارة إلى قيادة المسيح لشعبه (٤) المن إشارة إلى إن المسيح هو طعامنا المحيى (يو ٦ : ٣٢ - ٣٥) (٥) الصخرة اشارة الى ان المسيح هو الذى يروى ظمأ المؤمنين به (يو ٤ : ١٤ و ١ كو ١٠ : ٤) (٦) الحية النحاسية . المسيح المصلوب الشافى (يو ٣ : ١٤) (٧) برقع موسى . (أن الله بعد ما كلم الآباء بالانبياء ... كلمنا فى هذه الايام الاخيرة فى إبنه . عب ١ : ١) (٨) الذبائح إشارة الى تقديم المــسيح نفسه ذبيحة كفارة عن خطايانا (٩) شريعة عيد الفصح " المسيح فصحنا " (١٠) تيس عزازيل" ١ " " المسيح رافع خطايا العالم " (١١) فريضة البقرة الحمراء إشارة إلى رش دم المسيح على نفوسنا لاجل تطهير ضمائرنا (١٢) فريضة سنة اليوبيل " المسيح محررنا " لو ٤ : ١٨ و ١٩ (١٣) شريعة الابرص . المسيح الشافى من مرض الخطية (١٤) شريعة النسيب الاقرب " المسيح ولينا فادى ميراث حياتنا الابدية المرهون الذى بعناه (اف ٢ : ١٢ و ١٣ و ١ بط ١ : ١٨ و ١٩) (١٥) أمة اسرائيل المقدسة إشارة إلى أمة المسيح الجامعة وامتيازها فى العهد القديم اشارة إلى امتياز مؤمنى المسيح من الامم الذين حولهم (١٦) الغلبة على أمم كنعان . رمز الى انتصار شعب المســيح على الشهوات التى تحارب أعضاءهم وكذلك رمز إلى " السماء (١٧) رمز هاجر وسارة إلى عهد الناموس وعهد النعمة والانجيل فهاجر ولدت قبل سارة كما كان الناموس قبل الانجيل .

---

(١) هذه اللفظة معناها العزلة أو الانفصال . وقيل أنها تشير الى (١) عزل وانفصال التيس أو (ب) أنها تشير الى الموضع الذى أرسل اليه التيس باعتبار عزله عن مساكن الناس أو (ج) تشير الى الشيطان فان التيس حــامل خطــايا الشــعب ارسل الى الشيطان أصلها ومحركها (د) والارجح أنها تشير الى فصــل الخطــايا عن الشعب تماما " لا ١٦ : ٨ و ٢٦ " .

(ثالثا) الاماكن الرمزية . (١) شريعة مدن الملجأ " المسيح ملجأنا وحصننا المنيع الذى يركض اليه الصديق ويتمنع " (٢) ما ورد عن بناء المسكن كان يشير آلى سكنى المسيح فى وسط البشر (يو ١ : ١٤) (٣) الخيمة فى ألبرية كانت مثالا لنفس السماء ذلك العرش المجيد كما قال الرسول بولس عن رئيس كهنتنا العظيم " ١ " " لم يدخل أقداسا مصنوعة بيد أشباهاالحقيقة بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام الله لأجلنا " (٤) هيكل سليمان رمز إلى السماء أيضاً وكان يحتوى على (أولاً) شريعة التابوت وكرسى الرحمة . وكان مثالاً منظوراً - لكرسى يهوه إله إسرائيل الذى كان الهيكل بلاطه الملكى (ثانياً) شريعة المائدة الذهبية . وتشير إلى ثلاثة أمور . الأمر الأول . وقد ذنت من ذهب لتدل على أستحقاق يسوع الفائق الثمن . والأمر الثانى . كانت كلها أكليل لتمثيل مجده الملكى والنفائس الملكية التى بها يغذى شعبه الآكلين خبز القدير . الأمر الثالث . كانت قابلة للنقل لأن أنتشار أنجيله غير محصور بمكان مخصوص . ثالثاً) شريعة مذبح البخور . فالمذبح يشير إلى عظمة مجد الذى هو كاهن على عرشه وجالس عن يمين الله والبخور يمثل أستحقاقات يسوع المسيح وصلوات كل القديسين (رابعاً) خبز الوجوه يشير إلى أن المسيح هو خبز الحياة (يو ٦ : ٣٥) (خامساً) شريعة مذبح النحاس . هذا المذبح كان رمزاً إلى يسوع المسيح ويمثله ككفارة لخطايانا (سادساً) شريعة المرحضه النحاسية أشارة إلى تطهير النفس من أقذار الخطية (سابعاً) شريعة المنارة الذهبية . أشارة إلى أن المسيح هو نور العالم (يو ٩ : ٥ و ١٢ : ١٦) (ثامناً) شريعة دهن المسحة . أن هذا الرمز قد تم حينما تأيد مسيح الرب بمواهب ونعم الروح القدس " روح السيد الرب على لأن الرب مسحنى " (٥) أرض كنعان أشاره إلى كنعان السماء وأرض المؤمنين المجازية (٦) مدينة أورشليم المقدسة وجبل صهيون كانا رمزاً إلى كنيسة الله الحقيقية (٧) الاعياد الأول عيد المظال . كان رمزاً على الخصوص إلى الفرح السماوى والسرور الحقيقى الذى هو عبادة الله بالحق .

---

(١) كان الكاهن الاعظم رمزاً دائماً الى المسيح فانه دعى من الله رئيس كهنة على رتبة ملكى صادق الى الابد (عب ٥ : ١٠) .

الثانى عيد الكفارة السنوى . كل ما يجرى فى هذا العيد قصد به الله أن يقود شعبه إلى معرفة الذبيحة العظيمة التى ستجرى على الجلجثة . الثالث عيد الهلال . رمزاً خفياً إلى رد كل الأشياء بيسوع المسيح (٨) الكهنوت إشارة إلى الكهنوت المسيحى بمعناه الحقيقى (٩) سنة اليوبيل . إشارة إلى إطلاق الأمم من تحت نير الخطية .

ثالثاً – الأمثال . كلمة مثل فى الأصل اليونانى " تعنى مقارنة شىء بشىء " وقد ترجمت كذلك فى جميع المواضيع التى وردت فيها هذه اللفظة فى النسخة اليونانية ما عدا فى عب ٩ : ٩ و ١١ : ١٩ فإنها نقلت إلى رمز فى العبارة الأولى ومثال فى العبارة الثانية . والأمثال يكثر وجودها أيضاً فى الكتاب وقد أستعملت أحياناً لتغنى عن التطويل والإسهاب فى الشرح إذ التعبير بمثل وجيز يرسخ فى الأذهان أفضل من شرح طويل .

وقد تكون الأمثال وجيزة (مت ٢٤ : ٣٢) وقد تكون نبوات أو حكم رمزية تعنى معنى روحى (عد ٢٣ : ١٨ و٢٤ : ٣ وحز ٢٠ : ٤٩) غير أن المقصود بالمثل غالباً هو قصة وهمية مؤسسة على أمور مفهومة توضح المعانى الروحية وعلى هذا التعبير لم يذكر يوحنا من أمثال سيدنا إلا أنه أستعمل كلمة تعنى أيضاً مثلاً فى (ص ١٠ : ٩) على أن المثل المذكور هو كلام أستعارى أكثر مما هو تمثيلى فهو أقرب إلى المجاز أو الشبه منه إلى الأمثال – راجع أيضاً (يو ١٦ : ٢٥ و ٢٩) .

ويمتاز سفر حزقيال فى أسفار العهد القديم بالتمثيلات التى وردت فيه كثيراً .وأمثلة سفر حزقيال هى كلام مركب مستعمل فى ما يشبه معناه الأصلى أو هو التعبير عن حادثة سالفة أو نبوة بأمرآت بطريق التشبيه على سبيل الأستعارة كما فى (ص ١٧ : ١ – ١٠) حيث وصف نبوخذ نصر بالنسرين الكبيرين ويهويا كين بفرع الأرز وفى سفر حزقيال أربعة أمثال (١) مثل النسر والحكومة (حز ١٧ : ٣ – ١٠) (٢) مثل أشبال الأسد (حز ١٩ : ٢ – ٩) (٣) مثل الكرم (حز ١٨ : ١٠ – ١٤) (٤) مثل القدر (حز ٢٤ : ٣ – ١٤) وكلها موجهة من حزقيال إلى أورشليم . أما بقية أمثال العهد القديم فهى : – (٥) مثل يوثام عن أنتخاب الأشجار – إلى رجال شكيم (قض ١٤ :١٤) (٦) احجية شمشون – الى الضيوف عند زفافه (قض ١٤ :

١٤) (٧) مثل ناثان عن نعجـة الفقير – إلى داود " ٢ صم ١٢ : ١ – ١٤ " (٨) مثل المرأة التقوعية عن إبنيها وولى الدم – إلى داود " ٢ صم ١٤ : ٥ – ١٧ " (٩) مثـل النبى المضـروب والسبى المنفلت – إلى آخاب " ١ مـل ٢٠ : ٣٥ – ٤٢ (١٠) رؤيا ميخا – إلى آخاب " ١ مل ٢٢ : ١٩ – ٢٣ " (١١) مثل العوسـج والأرز – من يواش ملك إسرائيل إلى أمصيا ملك يهوذا (٢ اى ٢٥ : ١٨ و ١٩) (١٢) مثل الكرم الذى أعطى عنبا ردیئاً – من أشعيا إلى إسرائيل ا ش ٥ : ١ – ٦ .

ولم يتم إسلوب التعليم بواسطة الأمثال إلى أن حسنه السيد المسيح واتقنه إلى الغاية فإن أمثال سيدنا يسوع المسيح تمتاز عن غيرها . وعندما ابتدأ له المجد أن يضرب الأمثال استشهد بجملة واردة فى العهد القديم تبريراً لعمله ولإيضاح السبب الذى لأجله كان يكلم اليهود بامثال وهى " لكى يتم ما قيل بالنبى القائل سأفتح بأمثال فمى وأنطق بمكتومات منذ تأسيس العالم " مت ١٣ : ٣٥ والمرجح أن هذا الشاهد منقول عن مز ٧٨ : ٢ حيث قيل " افتح بمثل فمى أذيع الغازاً منذ القدم التى سمعناها وعرفناها وآباؤنا أخبرونا " فما هو غرض السيد من المتكلم بأمثال ؟ انه له المجد قد أوضح غرضه عندما تقدم إليه سوال من تلاميذه بهذا الصدد فأجاب وقال لهم لانه قد أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات أما لأولئك فلم يعط (مت ١٣ : ١١) ومن هنا يفهم السبب الذى لأجله نطق ربنا بأمثال فقد قصد أن يفهم تلاميذه وحدهم وأما أولئك اليهود فلا . ولماذا ؟ " لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وآذانهم قد ثقل سـمعها وأغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فاشفيهم " (مت ١٣ : ١٣ – ١٥) فقصر الرب تلك الأمثـال على تلاميذه وألقى بعضها عليهم سراً وما نطق به جهراً شـرحه لهم على إنفراد . وورد أكثر الأمثال فى متى ومرقس . أما لوقا فشـرح أعمال المسيح أكثر من أقواله . وأما يوحنا فلم يذكر أمثالاً وإنما اختص بذكر مواعظ المسيح وعجائبه .

وإذا تأملـنا فى أمثـال السيد المســيح جميعهــا فاننا نراها تنقسـم إلى جملـة أقســام رئيسية منها :

١ – ما يصف حـالة إسرائيل فى رفضهم ملكوت المسـيح ورفض الله لهم كشـهوده كما فى مثل الكـرام والكرامين مت ٢١ : ٣٣ – ٣٩ وشـجرة التـين لو ١٣ : ٦ – ٩ والابنين مت ٢١ : ٢٨ – ٣٠ .

٢ – ومنهـا مـا يتعـلق باقامة الملكوت ومقـاومة الشيطـان له كمـا فى مـثل الزارع (مـت ١٣ : ٣ – ٨) . والـزوان (مت ١٣ : ٢٤ – ٣٠) والخمـيرة (مت ١٣ : ٣٣) .

٣ – ومنها ما يصف الطرق التى يستعملها الله للدعوة إلى ذلك الملكوت كما فى مثل العشاء العظيم (لو ١٤ : ١٦ – ٢٤) والخروف الضال (مت ١٨ : ١٢) .

٤ – ومنها ما يوضـح المسئولية الموضوعة على عـاتق كل من له علاقـة بهذا الملكوت كمثل العبـد البطـال (مت ٢٤ : ٤٥ – ٥١) والعشـر العـذارى (مت ٢٥ : ١ – ١٣) والأمناء (لو ١٩ : ١٢ – ٢٧) .

وأختلف المفسرون فى عدد أمثال المسيح حسب تعبير لفظة " مثل " افأحصى بعضهم ٢٧ مثلاً وآخرون ٣٠ وآخرون ٥٠ وعلينا أن نلاحظ أن المثل عبارة عن مقارنة بين الأشياء الطبيعية التى تدركها حواسنا وبين الأمور الروحية التى تفوق أدراكنا ، فلا يليق بنا أن نشرع فى الحكم على معانيها حسب ظواهرها . فمثلاً يظهر من مثل العشر العذارى اللواتى خمس منهن حكيمات وخمس منهن جاهلات أن عدد المخلصين يساوى عدد الهالكين ولكن القرينة تقتضى غير ذلك . والواقع أننا نحتاج فى شرح الأمثال إلى إرشاد روح الله كما فى شرح أى جزء من الكتاب . ولنطلب كلنا مع المرنم قائلين " أكشف عن عينى فأرى عجائب من شريعتك " مزمور ١١٩ : ١٨ وليكن لنا شعور أرميا الرقيق " وجدت كلامك فأكلته فكان كلامك لى للفرح ولبهجة قلبى " (ار ١٥ : ١٦) .

الفصل الثانى

مفاتيح الاسفار المقدسة (١)

"ثم قالت هنذا أجىء فى درج الكتاب مكتوب عنى
لأفعل مشيئتك يا الله " عب ١٠ : ٧

الكتاب المقدس هو مجموع الكتب الملهمة المتعلقة بخلق العالم وفدائه وتقديسه وتاريخ معاملة الله لشعبه ومجموع النبوات بما سيكون الى المنتهى والنصائح الدينية والادبية التى تناسب كل اجيال البشر فى كل الأزمنة . ويقال له " الكتب " يو ٥ : ٣٩ و " كلمة الله " رو ٩ : ٦ والكتاب الملهمون يبلغون الاربعين عدا وهم من جميع طبقات البشر : من الراعى الى الملك عاشوا فى اثناء مدة ١٦٠٠ سنة . وجميعهم من الامة اليهودية الا لوقا . وانواع الكتابة فى الكتب المقدسة نثر وشعر وتاريخ وقصص وحكم وآداب وتعليم وانذار وفلسفة وأمثال ومع انها تختلف عصرا واسلوبا فلا تخرج عن كونها نظاما واحدا مؤسسا على وحى واحد مع التنوعات التى لا بد منها فى الاحوال المختلفة مع وحدة القصد الالهى فى جميع الاسفار.

---

(١) توجد اسفار فى الكتاب المقدس لها اكثر من مفتاح واحد فاخترنا بعض المفاتيح كعينة . وبعض الاسفار لم نذكر لها مفاتيح بالمرة لانها كلها ظاهرة جلية لا تحتاج الى ذكر مفاتيح . ولذلك اقتضى التنويه ..

وينقسم الكتاب المقدس الى قسمين هما العهد القديم والعهد الجديد . كتبا فى عهدين مختلفين ولذلك سمى كل منهما بالعهد . ولفظة عهد تعنى ميثاق أو محالفة وهو عبارة عن شروط تعقد بين اثنين فصاعدا ويراد بها هنا عهد الله الذى عقده مع بنى البشر . وعهد الله مع الناس ووعده لهم تك ١٧ : ١٣ وخر ٣٤ : ١٠ واش ٥٩ : ٢١) ودعى كل منهما عهدا لان فى كل منهما عهد الله وميثاق رحمته فى افتداء الخطاة بيسوع المسيح .

القسم الاول

العهد القديم

"اما أنا فهذا عهدى معهم قال الرب .. كلامى الذى

وضعته فى فمك لا يزول من فمك ولا من فم نسلك ...

الى الابد " (اش ٥٩ : ٢١)

دعى هذ القسم العهد القديم لأنه يراد به وصية الله للبشر قبل مجىء المخلص . وقد تم هذا العهد بدم الحيوانات (خر ٢٤ : ٨) وكانت شعائره غسلات وأطعمة ووصايا جسدية كثيرة (عب ٩) ولانه يشتمل على اعلان ارادة الله المتوالية للعبرانيين قبل مجىء المخلص ولانه يتضمن الميثاق القديم بين الله والناس والوعد بارسال الخلاص . وهو ينقسم الى ثلاثة اقسام (١) الاسفار التاريخية (٢) الاسفار الشعرية (٣) الاسفار النبوية .

وسنتكلم الآن عن كل قسم على حدته وكل سفر بمفرده وعزمنا ان نضع كلمة او آية من السفر لتكون مفتاحا لكل محتوياته :

أولاً - الاسفار التاريخية

إن للأسفار التاريخية شأنا كبيرا ومزايا عظيمة ذلك لانها (١) تدلنا على اصل وجودنا وكيفيته وتعلن لنا امورا لولاها لأستعصت علينا أهم مباحث الوجود (٢) تخبرنا عن تاريخ شعب الله أو جماعة الرب اينما ساروا وحيثما وجدوا متتبعة خطواتهم واعمالهم الدينية التى هى النبراس الوحيد لكل العالم الآن (٣) تمتاز عن التاريخ

العالمية لسببين (الأول) ان تآريخها خليقة بان يتمثل المرء بها فى كثير من الظروف لان تلك اليد التى كانت عاملة فى نفس الاشخاص المذكورة تآريخهم لا تزال تراقب حركات الكون الآن (الثانى) انها غير مملة بل هى جديدة اذا قرأتها آلاف المرات وبالجملة فأنها تمتاز عن التآريخ العالمية ولها المقام الذى لباقى الكتب سواء كانت نبوية أو شعرية .

(١) التكوين . الفكر الرئيسى فيه " البدا آت " وموضوعه " المسيح نسل المرأة " والغرض منه ظاهر فى اسمه فانه يتضمن كيفية تكوين الخليقة وغايته من ذلك ان يبين ان للكون ربا أزليا وانه قادر وحكيم وعادل ورحيم وان يعلن لنا احوال العالمين وعناية الله بالمخلوقات ولا سيما الانسان الذى خلقه على صورته وكيفية دخول الخطية والموت الي العالم . والوعد بالفادى لتتجدد الراحة . والتبداء الجنس المختار بعد خيبة أدم وهو من وقت نوح واختيار الله شعبا من سلالة ابراهيم وحفظه تعالى لذلك الشعب وتمييزه له وتفضيله اياه عن سائر البشر .

(٢) الخروج . الفكر الرئيسى فيه "الفداء" وموضوعه " المسيح خروف الفصح " وهو يبحث عن تأسيس الحكم الدينى على جبل سيناء ويشرح الوجه النبوى للنظام الموسوى . ومن أعظم غايات الكاتب فيه ايراد تاريخ الاسرائيليين وبيان أول درجات اتمام وعد الله للاباء مع بيان نمو الاسرائلينن وطريقة نشؤهم وقصدان يرشدهم بواسطة الرسوم التى أمرهم الله بعملها بطريقة الرمز الى يسوع المسيح فاديهم .

(٣) اللاويين . ويقال له بالعبرانى " ويقرا " أى " ودعا " وهى أول الفاظ هذا السفر وسمى هكذا لانه يتضمن كيفية دعوة الله للكهنة ولانه يتكلم فيه عن الامور المتعلقة باللاويين : والفكر الرئيسى فيه " الشرائع " والغرض منه (المسيح الكاهن العظيم) وهو يبحث فى تنظيم الحكم الدينى فى شرائع وشعائر تحت ادارة سبط اللاويين وهو يشرح الوجه الكهنوتى للنظام الموسوى ، وقصد فى هذا السفر أيضا تمثيل الاسرائليين شعبا للرب وتمييزهم عن سائر الامم بالرسوم الروحية ليعلموا أنهم لله أى أنهم شعبه المختار.

(٤) العدد . الفكر الرئيسى فيه " السفرات ؛ والفرض منه " المسيح الحية المرفوعة

والصخرة المضروبة " ويقال له بالعبراني " مدبر " أى " فى برية " وسمى كذلك لان بنى اسرائيل مثلوا فيه دورا مهما وهو دور الحروب ولذلك يجدر بنا أن نسميه " سفر الحروب " اذ نطالع فيه عن " السير والحرب فى البرية " وهو يبحث عن رحلات بنى اسرائيل فى البرية وافتتاح أرض كنعان ويشرح الوجه الملكى للنظام الموسوى .

(٥) التثنية اى الشريعة الثانية . ويقال له بالعبرانى " اله هادبريم " وقد أطلق عليه هذ الاسم لان فيه ذكرت الشريعة الموسوية مرة ثانية اى فيه كررت الشرائع والاوامر المذكورة فى الاسفار الثلاثة السابقة بالاختصار مع شروح عديدة ، والفكر الرئيسى فيه " التعاليم " والغرض منه " الوصول بسلام " .

(٦) يشوع . هو ملحق مفيد بأخبار شعب الله المذكورة فى أسفار موسى وعلاقته بتلك الاسفار كعلاقة سفر الاعمال بالبشائر . وهو يقابل رسالة افسس فى العهد الجديد لانها تشرح لنا ميراثنا السموى (اف ١ : ٣ - ٥) وهو يشرح لنا ميراث اليهود الارضى . رسالة أفسس تخبرنا عن حرب عوان مع اجناد الشر الروحية في السماويات (٦ : ١٢) واذا حزنا فيها النصر امتلكنا الحياة الابدية . وسفر يشوع يخبرنا عن حرب طاحنة أجراها بنو اسرائيل وبها امتلكوا الارض الموعود بها لهم . والفكر فى هذا السفر " كنعان " وغرضه " النصرة " .

(٧) القضاة . خلاصة هذا السفر فى ص ٢ : ١١ - ٢٣ وهو قوله " وفعل بنو اسرائيل الشر فى عيني الرب وعبدوا البعليم وتركوا الرب اله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر الخ " وفى هذا السفر سقوط بنى اسرائيل سبع مرات وهو يخلصهم وعندما يستريحون يتركونه واضعين قلوبهم على عبادة الاصنام . ولنا هنا درس كبير الاهمية وهو انه مهما بلغ الفرد أو الجماعة من الدرجات العالية فى التقوى والقداسة لا يغنيهم ذلك عن معاشرة الرب واستمداد معونته ومشورته فى كل وقت لأنهم اذا استقلوا فقد سقطوا واصبحت تقواهم أثرا بعد عين .

(٨) راعوث . الفكر الرئيسى فى هذا السفر " المحبة " وقدكتب لثلاثة اغراض (١) لكى يدل على بعض اشخاص وثنيين فى سلف المسيح ويتتبع سلسلته الى داود

(٢) لكى يخبرنا عن حرص العناية الالهية على الذين يهابون الرب ويتكلون عليه ومجازاة المحبة البنوية ومنفعة المصائب وعناية الله الخصوصية بالبيوت الفقيرة كما بالملوك وتداخل الله في كل حوادث العالم (٣) الاشارة الى دعوة الامم الوثنيين فى المستقبل فى كنيسة المسيح وامتداد الإنجيل بينهم . وقد كانت راعوث رمزا ال ذلك وعربونا عليه وهذا يدل على انه كان لله تعالى اولاد خارج كنعان وأمه اليهود ، وأن قبول راعوث فى العهد القديم كان رمزا الى قبول الامم فى ملكوت الله وخلاص الله فهى تمثل " الكنيسة " وبوعز يمثل " المسيح " (لكن من بعض الاوجه فقط) .

(٩ و ١٠) سفرا صموئيل . هما ترجمة شخصية موضوعهما " المملكة وملكاها شاول وداود " ومفتاح الاول عد ٣٠ من ص ٢ (فانى أكرم الذين يكرموننى والذين يحتقروننى يصغرون) ومفتاح السفر الثانى عد ١ من ص ٣ (وكانت الحرب طويلة بين بيت شاول وبيت داود وكان داود يذهب يتقوى وبيت شاول يذهب يضعف) وخلاصة تعاليمهما (١) أن الأنبياء هم مبشرون بالبر ومؤسسو المبادىء الدينية والحكمة والكمالات الادبية (٢) انهما يصفان قداسة الله غير المحدودة ووجوب اسـتماع كلامه (٣) ان الانسان حر فى أعماله لكنه مسؤول امام الله عن الشر الذى صنعه (٤) ويتكلمان عن الطاعة والايمان والتسوية .

(١١ و ١٢) سفرا الملوك . يبحث هذان السفران عن وعد الله لداود وعن شر التحزب والانقسام ولا سيما عبادة الاوثان التى اقامها سليمان (١ مل ١١) ويربعام (١ مل ١٢ : ٢٦ - ٣٣) لاسباب سياسية . والذين كتبوا سفرى الملوك قد ذكروا بكل امانة وبدون محاباة خطايا الملوك الاتقياء كما ذكروا أعمال الملوك الاشرارالتى كانت بحسب الظاهر جيدة وآئلة الى خير الشعب . وهم لم يقتصروا على النظر الى صورة الحوادث والامور بل نظروا ايضا الى أسبابها ونتائجها ونسبوا نجاح شعب الله الى بركته تعالى ، ومصائبهم الى لعنته حسبما كان قد كلم آباءهم .

(١٣ و ١٤) سفرا اخبار الايام . وموضوعهما " المملكة تحت احكام الله " اذان كاتبهما يتكلم فقط عن مملكة يهوذا ويسند اليها من الاخبار ما كان له صلة بالهيكل والعبادة . فسفرا الملوك يبحثان بالاكثر فى تاريخ شعب اليهود المدنى والنبوات

بخصوص مستقبلهم بينما اكثر بحث سفرى (الايام) فى ما يختص بالعبادة اليهودية وتاريخ الكهنوت . اما غاية الكاتب فهى ان يشير الى حالة الاسباط والعشائر والبيوت قبل السبى وتفريق الاراضى لكى يمتلك كل بسط نصيبه عند عوده من السبى . وفى هذين السفرين اهم شرح لمقاصد الله من نحو شعبه والفوائد التى لا تحصى الناتجة للشعب ممن تقوى ملوكهم كما تبين من احوال داود ويهوشافاط وحزقيال ، والشرور المزعجة الصادرة من فساد الشعوب ونفاقهم .

(١٥) عزرا . وخلاصة هذا السفر وغايته ايراد خبر الذين رجعوا من بنى اسرائيل وهؤلاء يمثلون الراجعين الى الله من أولئك الذين انحرفوا عنه وتجديد عزمهم على حياة أكثر تقوى وقربى من الله . على ان الذين بلغ عددهم حوالى ٥٠٠٠٠ وهم قليلون جدا بالنسبة للذين بقوا ، وهؤلاء يمثلون المصريين على خطاياهم الراغبين فى هذا العالم الباطل وعلى ذلك فالفكر الرئيسى فيه " الرجوع " .

(١٦) نحميا . وهو تتمة سفر عزرا وموضوعه بناء أورشليم ثانية وإعادة شرائع موسى والعبادة الحقيقية مع ما حدث من تعريض السامريين وغيرهم ويشتمل هذا السفر على أخبار التهذيب الذى حصل فى مدينة أورشليم والاصلاح الذى حصل فى الشعب باهتمام نحميا . وفى هذا السفر مثال جميل عن قوة الارادة والعمل بالعزم الثابت الذى لا يثنيه المقاومون كما كان يشتغل نحميا بقلب قوي دون ان يعبأ بمقاومة الأعداء . والفكر الرئيسى فيه : تجديد الهيكل " .

(١٧) استير . والغرض منه إظهار عناية الله بشعبه وإن لم يذكر فيه اسمه تعالى إلا أن يده الضابطة التى تدير وقائع الزمان وظروف الأحوال تكاد تكون بارزة للعيان فى حكمه المطلق على الكون ، وإن الأمور الكلية والجزئية ه تحت سلطانه وهو يجريها باسلوب به تؤول الى خلاص شعبه وهلاك أعدائه وأعدائهم ويجعـــل غـــاية غضــــب الله مجــده .

وقد علل التلمــود غرابة هذه المسألة أى عدم ذكر الله فى هذا الســفر بما ورد فى (تث ٣١ : ١٨) " وأنا أحجب وجهى فى ذلك اليوم " فحجب الله وجهه عن شعبه من

أجل شرورهم فانهم فضلوا البقاء فى أرض السبى بين الوثنيين على أن يعودوا الى أورشليم . والفكر الرئيسى فيه " العناية المخفية " .

ثانيا – الأسفار الشعرية

جاء فى قاموس الكتاب المقدس (ج ١ ص ٦١٩) " كان اليهود يحبون الشعر وكانوا ينظمون أشعارا ويرتلونها كما ينظم العرب فى أيامنا هذه فى الاعراس والولائم والجنازات (عا ٦ : ٥) وكانوا يتحمسون بالشعر عند النصر فى القتال (خر ١٥ وقض ٥ وكثير من المزاميـر) وكانوا يرثون بالشـعر كمرثاة العذارى على إبنة يفتاح (قض ١١ : ٤٠) ومرثاة داود على شاول ويوناثان (٢ صم ١ : ١٧ – ٢٧) وعند موت ابنير (٢ صم ٣ : ٣٣) وثلث كتب العهد القديم مؤلف من الاشعار وهى أيوب والمزامير والامثال والجامعة ونشيد الانشاد وبعض الشواهد فى الكتب التاريخية (تك ٤ : ٢٣ وعد ٢١ : ١٧ ويش ١٠ : ١٢ – ١٥) وسفر المراثى وجانب كثير من كتب الانبياء .

والشعر العبرانى نوعان النوع المعد للترتيل والنوع التعليمى . مثال النوع الأول المزامير ومثال النوع الثانى الاقسام الشعرية فى كتب الانبياء . وليس فى الكتاب المقدس شعر تمثيلى إلا إذا اعتبرنا سفر أيوب ونشيد الانشاد روايات أعدت للتمثيل . ولا شك أن المزامير أفصح الاشعار الدينية ومع انها تظهر فى تآليفها وتخيلاتها علامات أصلها العبرانى فتناسب عباراتها حاسيات جميع الانفس الانسانية فى كل القرون والبلدان وينتج ذلك من نفسها الروحى : وبعض الاشعار المقدسة مؤثرة فى الحاسيات كالمزامير والنبوات وبعضها تعليمية كالامثال والجامعة الا أنها كلها دينية . ويبحث فيها عن النسبة بين الانسان وخالقه وديانه وابيه وكلها تحرك الروح الى الاحترام أو تسكن روح الانسان لدى خالقه " .

ومن الاشعار فى الكتب الالهية :

من ٨ : ٤	ام ١٠ : ١	اش ١ : ٣
فمن هو الإنسان حتى تذكره	الابن الحكيم يسر اباه	الثور يعرف قانيه
		والحمار معلف صاحبه
وابن آدم حتى تفتقده	والابن الجاهل حزن امه	اما اسرائيل فلا يعرف
		شعبى لا يفهم

مز ١٩ : ١ و ٢	ام ١٥ : ١	من ٢٨ : ٤
السموات تحدث بمجد الله	الجواب اللين يصرف الغضب	اعطهم حسب فعلهم
		وحسب شر أفعالهم
والفلك يخبر بعمل يديه	والكلام الموجع يهيج السخط	
يوم الى يوم يذيع كلاما		حسب صنع ايديهم اعطهم
وليل الى ليل يبدى علما		رد عليهم معاملتهم

ام ١٥ : ١٧

اكلة من البقول حيث تكون

المحبة

خير من ثور معلوف ومعه

بغضه

(١٨) ايوب . ان سفر ايوب يحل اعظم المعضلات ألا وهى لماذا يتألم الابرار ؟ ويكشف الحجاب عن العالم الروحانى ويعلمنا الى اى حد تبلغ سلطة ابليس ، ويعلن حقيقة القيامة وفوق هذا كله يشير الى الفداء من طرف خفى وأما حديث ايوب واصحابه فكان على الشر وعقابه وعدل الله فى تقسيم السعادة تقسيما غير متساو ومن

معاكسة احوال الدنيا للابرار نجاح الاشرار وتيسير امورهم فان اصحاب ايوب كانوا يتهمونه بارتكابب الشر خفية وهو كان يحاجهم تبريراً لنفسه . وأخيرا ظهر القدير فسد عليهم مجال اقوالهم وافحم ايوب بحكمته الفائقة وقدرته السرمدية .

(١٩) المزامير . بالعبرى (تهاليل) وقد وضعت لتعبر عن اشواق وعواطف دينية نظمت لكى يرنم بها وقت العبادة (١ اى ١٥ : ١٦ و ١٧ و ١٩ : ٣٠) وهى فى مواضيع متفرقة وفقا لتاثيرات آلات الغناء الشجية ، فتارة تكتب تبعا لظروف الناطق بها وطورا يتغزل الناطق فى مجد المسيح واخرى يجول فى عالم المستقبل فينبئنا عن الآلام والحوادث التى سوف تقارنه بينما يكون على الارض من وقت ولادته الى موته .

ولسفر المزامير منزلة عزيزة فى قلوب البشر أكثر من اى سفر آخر لان لعباراته صلة خصوصية باعماق وحياة التكريس للرب . وفيه بيان واف لطوارىء النفس واحوالها المتبايينة من ريب وخوف وفرح وحزن وألم وشوق الى غير ذلك مما يعرض له على تمادى الاوقات . وان رأيت بعض المزامير محوطة باليأس فلا تصل الى آخر حتى تجد المرنم غير اسلوب كلامه من اليأس الى الرجاء وذلك عندما كان يحول نظره فى ظروفه الحرجة نحو " الله " وعلى ذلك فغاية سفر المزامير العظمى " التعبد لله " .

(٢٠) الامثال . الغرض من هذا السفر ظاهر بصراحة فى بداءته وهو قوله " لمعرفة حكمة وأدب . لادراك أقوال الفهم . لقبول المعرفة والعدل والحق والاستقامة لتعطى الجهال ذكاء والشاب معرفة وتدابير " ص ١ : ٢ - ٤ فهو يدرب النفس علي طلب الحكمة للسير فى هذا العالم الشرير المشوش . ويقصد الله بهذا السفر ان يبلغنا اوامره ونواهيه ويأمر بالعمل بها بصرف النظر عن حياة الرسول التى يبلغنا اياها .

(٢١) الجامعة . مفتاح هذا السفر كلمتان ذكرتا فى هذا السفر نحو تسع وعشرين مرة وهما " تحت الشمس " فاذا وجدت امامنا بعض العقد فى السفر فعندما نصوب انظارنا الى المفتاح المتقدم نراها قد حلت بدون تعب فان سليمان يذكر كل زهو الحياة ولذاتها كاشياء تعرض للانسان ؛ تحت الشمس ومن ثم هى " قبض الروح او " باطل الاباطيل " .

(٢٢) نشيد الانشاد . مفتاح هذا السفر قول الرسول بولس ؛ خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح " (٢ كو ١١ : ٢) فقد شبه سليمان فى هذا السفر المسيح بعريس والكنيسة بعروس كل منها يضحى فى سبيل الآخر كل مرتخص وغال . وان الكنيسة لها مركز سام فى نظر المسيح كما يجب على الكنييسة ان تنظر للمسيح بذات العين المحبة التى يشخص بها اليها .

ثالثا - الاسفار النبوية

النبى اسم مشتق من اصل الفعل بمعنى نبأ أو نبع أو فاض ونطق بكلام لله ويسمى النبى رقيبا (ار ٦ : ١٧) وحارسا (اش ٢١ : ١١) وراعيا (زك ١١ : ٤) كما ورد بأسماء أخرى كرجل الله وخادم الرب وملاك الرسول . والنبوة كانت شيئا والعرافة كانت شيئا آخر فهذه كانت بايعاز الارواح النجسة وأما النبـوة فكانت بالهام روح الله الفاظا كانت أم معانى لان كتبتها قد توجوها بهذه المقدمات " هكذا يقول الرب " و " كان كلام الرب الى قائلا " الخ وكما جاء فى (لو ١ : ٧٠) " كما تكلم بفم انبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر " ولم يحل روح النبوة قط الا على القديسين والحكماء المهذبين .

وتنقسم النبوة الى ثلاثة (١) الدور البسيط وهو من آدم الى موسى وفى اثنائه اشتهر اخنوخ ونوح وابراهيم ويعقوب (٢) دور النقاهة ومظهره موسى ونهايته صموئيل (٣) دور . القوة من صموئيل الخ وكان الانبياء فى الدور الأخير بوجه العموم سواء كانوا صغارا أم كبارا ينقسمون بحسب مدة خدمتهم الى ثلاثة اقسام (١) الانبياء من انقسام المملكة الى سبى بابل وهم يونان ويوئيل وعاموس وهوشع واشعياء وميخا وناحوم وصفنيا وحبقوق (٢) أنبياء السبى وهم ارميا ودانيال وحزقيال وعوبديا (٣) الانبياء بعد الرجوع من السبى وهم حجى وزكريا وملاخي .

(٢٣) اشعياء . وقد سمى على سبيل الشرف " النبى الانجيلى " لأن سفره يتضمن نظام الانجيل فى أهم رسومه اذ يشرح بالوضوح خدمة المسيح وطبيعته الالهية وتجسده العجيب واعمال الرحمة التى عملـها وملـكوت البـر الذى يقيمه واتضاعه وآلامه وموته وتكفيره عن الخطية بموته وسكب مواهب الروح القدس ونعمة وانتشار

ديانته فى كل العالم وعمى اليهود وميلهم الى الكفر ببره وقبول العالم الوثنى فى الكنيسة وسلام البار قبل الموت (انظر ش ٧ : ١٤ و ٩ : ٦ ر٧) وجميع نبواته الاخيرة من ص ٤٠ الى ٦٦ .

وينقسم سفر اشعيا الى ثلاثة اقسام قسم تاريخى وقسم تعليمى وقسم نبوى فالتاريخى يشتمل على تاريخ حزقيا الملك وبعض تاريخ عزيا ومما اجراه على يديه فى انقاذ ذلك الملك الصالح حزقيا من يد سنحاريب ملك اشور . أما التعليمية أو بالحرى الشعرية فتلك اغانى روحية وابتهالات وطلبات وانذارات وحث على اتمام الواجبات وخصوصا على وجوب التمسك بالصدق وحفظ يوم السبت وغير ذلك . أما النبوية فبعضها يختص بموآب وعمون وادوم وصور وصيدا ومصر وغيرها من المدن والممالك الشريرة التى كانت فى ذلك العصر غاية فى القوة والجهالة وقد تم اغلب ما تنبأ به ذلك النبى العظيم على جميعها ، والبعض الاكثر يختص بذلك العصر الذهبي الذى يأتى فيه المسيا ليخلص شعبه من خطاياهم . وهنا يحار قلم البليغ فيما اتى عليه من الاوصاف الباهرة والاعمال المجيدة المزمع المسيا ان يعملها فانه وصفها وصفا مدققا كمن شاهد ورأى وعاين . فقد وصف مولده ووظيفته وآياته وآلامه بشكل مؤثر ، وعلى ذلك فالفكر الرئيسى فيه " المسيح " وغرضه " تبكيت شعبه وتعزيتهم " .

(٢٤) ارميا . ومن نبواته ما سينزل ببنى يهوذا لانهم عبدوا الصنام ومنها فى المواعيد التى كان الله مزمعا ان يسبغها عليهم اذا رجعوا عن خطاياهم ومنها ما يشير الى المجد العتيد ان يمنح لكنيسة الله والى الذين ثبتوا في خدمته حينما تأتى " بقية الشعوب " وحين يرى كل بشر خلاص الرب .

وقد انبأ عن نسخ الناموس الموسوى وتكلم عن التابوت انه لا يذكر بعد انباء عن انشاء ديانة اكثر روحية من الديانة القديمة وعن ملكوت المسح الوسيط الوحيد الذى سماه " الرب برنا " ووصف كفاءة كفارته وفضل الانجيل بمنحه القداسة مع الصفح ودعوة الامم وخلاص اسرائيل الاخير . (قابل ار ٣١ : ١٥ مع مت ٢ : ١٧ و ١٨ وأر ٣ : ١٥ - ١٨ و ٣١ : ٣١ - ٣٤ مع عب ٨ : ٨ - ١٢ و ١٠ : ١٦ و ١٧) والفكر الرئيسى فى سفر ارميا " المرتدون " والغرض منه " التحذير والانذار " .

(٢٥) مراثى ارميا . ان معنى سفر مراثى ارميا " الدموع " وموضوعه " الحكم على الخطية " لأنك اذا تصفحت هذا السفر تجد النبى ينسب كل الخراب الذى حاق باورشليم الى خطية أهلها ، وهو مؤلف من خمس مراث على وفق اصحاحاته الخمسة . ومن جملة مقاصد النبى فى هذا السفر تهذيب ابناء الوطن وتعليمهم ان لا يحتقروا تأديب الرب ولا يخوروا اذا وبخهم بل يتوبا عما فرط منهم . وفى هذا السفر وصف للمصائب التى أصابت اليهود من قساوة العساكر البابلية .

(٢٦) حزقيال . يقسم الى قسمين احدهما ينتهى بخراب أورشليم عن يد نبو خذ نصر والآخر يبتدىء من هـذه الحـادثة . ويحتوى القسم الاول على الاصحاحات من ١ – ٢٤ ويشمل الى أمور جرت قبل خراب اورشليم وهى مرتبة ترتيبا تاريخيا من السنة الخامسة للسبى الى السنة التاسعة ويحتوى القسم الثانى على الاصحاحات من ٢٥ – ٤٨ ويشمل نبوات ورؤى حدثت بعد سقوط اورشليم واكثرها وعيد لعمون وموآب وادوم والفلسطينيين وصور وصيدا ومصر (ص ٣٠ – ٣٢) وص ٣٥ يصف دينونة جبل سعير ثم تأتى نبوات بشأن ملكوت الله ثانية (ص ٣٦ – ٤٨) فاعطى ذلك النبى صوت رجاء مع ان نبواته كلها كانت على الخراب والدمار وفى هذه جميعها كان يلمع وميض برق من اقصى جوانب سحب تلك الاكدار الى اقصائها منبئا بقدوم تلك الاوقات المجيدة التى فيها يأتى المسيا موضوع انتصار شعب اليهود ويخلصهم من اتعابهم ويشيد لهم مملكة البر والفضيلة التى تثبت الى الابد .

وقد ورد فى سفر حزقيال جملة " السيد الرب " ٧١ مرة فهو يوجه نظر المتغافلين الى التوبة ويدعوهم بانذارات شديدة الى الرجاء وقبول سيـدهم الاله وخلع نير البابليين (حز ٧ : ١٥ – ١٧) فهو يعزى المسـبيين بمـواعيد انقـاذهم فى المستقبل وارجاعهم الى بلادهم .

والأمم التى تنبأ عليها لم يوردها مرتبة حسب الزمان بل حسب موضوعها فمثل " بصور " المجد الباطل والنجاح الدنيوى الذى يميل اليه الانسان عن الله ويلقيه فى التوغل بالإثم والفساد (ص ٢٦ – ٢٨) وانبأ أولا عن دينونة الامم المجاورة الذين تمردوا على الله وهـم العمونيون " ص ٢٥ : ١ – ٧ " ثم جمع فحوى النوعين المتقدمين

فى النبوات على مصر " ص ٢٩ - ٣٢ " لان هذه العدوة القديمة لشعب الله كانت قد تقوت حينذاك حتى صارت اقوى ممالك العالم ثم يتنبىء عن المؤابيين " ص ٢٥ : ٨ - ١١ " والادوميين " ص ٢٥ : ١٢ - ١٤ " والفلسطينيين " (ص ٢٥ : ١٥ - ١٧ " .

(٢٧) دانيال . الغرض الرئيسى من هذ السفر ان يعظم القوة الالهية بازاء اكبر قوات العالم " يومئذ " ويذكر الوسائل العجيبة والخارقة العادة التى استخدمها الله فى زمن امتحانات شديدة كادت تؤول الى دمار الامة الوثنية واضمحلالها لكى يمد شعبه بالعون الالهى والتعزية ويؤكد لهم انه لا يهملهم كل الاهمال . ولم يزل من كثرة رحمته حالا بينهم وان كانوا بعيدين عن الهيكل وارض الميعاد ، واما قصده من العجائب والنبوات المجيدة فى هذ االسفر فهو ان يعلن لعالم الامر ان اسرائيل وان يكن مخذولا ومذلولا الا أنه لم يزل امة الله وشعبه الخاص .

ويقسم هذا السفر الى قسمين : تاريخى ، ونبوى .

واما اساس نبوة دانيال التاريخى فهو السبى كما يتضح ذلك من ص ١ : ١ حيث يبتدى ببداءة السبى وينتهى بنهايته . واما عن القسم النبوى فهو أغرب وأسع من كل ما سواه لانه يتضمن الانباء باحوال العالم عموما وكنيسة الله فى زمان الشريعة اليهودية والمسيحية من ايامه الى آخر اتمام كل الانباء .

(٢٨) هوشع . يشف عن حزن عميق يملأ قلب النبى الذى تثقل بهموم الشعب واحزانهم لانه رأى بمرآة المستقبل ما سيحل بهم من نكبات جزاء الشرور الكثيرة انظر ص ١ و ٢ . ولكن الرجاء يغلب عند النهاية على جانب القنوط ، والأمل ينتصر على اليأس فبينما ترى الجو ملبدا بالغيوم وتسمع رعد الرعود وبرق البروق واذا بقوس سحاب المواعيد يرتسم فى الافق بألوانه البهية السبع فيعقب الغم فرح لا يدرك وتنتهى النبوة عن السبى بالرجوع المجيد ويتبع خراب الارض واقفارها خضرة مفرحة ذات حصاد مجيد ولهذا فالفكر الرئيسى فى هذا السفر هو " الخلاص " .

(٢٩) يوئيل (١) تاريخ تلك الأزمنة التى ساد فيها الاضطراب . نعم قد افتتح سفره بذكر الضربات الهائلة المزمعة ان تقع على الامة مستعيرا لها الفاظ القمص

والزحاف والطيار والغوغاء . وسواء اشارت هذه الالفاظ المشهورة الى غزوات تغلث فلاصر وشلمناصر وسنحاريب ونبوخذنصر او الي الدول العظمى الأربع فلا مشاحة ان مغزاهما واحد وهو حلول تلك البلايا على الشعب جزاء لهم على تركهم الرب اله آبائهم .

وبينم النبى يحذر الشعب ويتوعدهم بتلك الويلات المزمعة ان تحل بهم اذا استمروا على معاصيهم بدت له بارقة أمل ورأى من بعيد تلك الازمنة السعيدة التى فيها يسكب الله من روحه على كل بشر فيتنبأ بنوهم وبناتهم الخ وهو الفكر الرئيسى فى سفره أى (انسكاب الروح فى حينه) .

(٣٠) عاموس . فى مثل ذلك الزمن زمن اللهو واللذات جاءهم ذلك الساذج الجسور كأنه بوانرجس وصرخ قائلا " يزمجر الرب من صهيون ويعطى صوته من اورشليم فتنوح مراعى الرعاة وييبس رأس الكرمل " وهكذا رؤيا هذا النبى جميعها بعد رعد وبرق بعد برق مما هوجدير بأن يدعى بعاصفة النبوة وحقا ان نبوته كانت كعاصفة حقيقية فانه ابتدأ نبوته بالرعد والزمجرة والويلات الهائلة . واذ كانت النبوة فى إبان اشتدادها قال ويل للمطمئنين فى صهيون " فامتلأت الارض بوميض برقة حتى ان امصيا الكاهن الاعظم ودلو ينفى عاموس الى اقصى حدود البلاد . ولكنه انهى نبوته بالسلام التام والطمأنينة الكاملة وأنبأ بارجاع مظلة داود وقد بين يعقوب ان هذه النبوة تشير الى ان زمن الانجيل . عا ٩ : ١١ واع ١٥ : ١٥ و ١٦

وكثيرا ما وجه نظر الشعب إلى " السيد الرب " مقدار ٤٠ مرة . ومن خصوصيات سفره تقديم الامثلة فى حياة اهل البر وفيه افكار عالية وطرق فصيحة للتعبير يكاد لا يكون لها نظير فى مؤلف آخر .

---

(١) هذه الاسفار الاثنا عشر للانبياء الصغار تكاد تنحصر فى موضوع واحد ألا وهو انقسام مملكة داود الى قسمين مصيرهما الخراب بحسب الظاهر غير انه بعد خرابهما تبقى بقية من اليهود يؤمنون باعادة مجدهم وارتداد ملكهم . وبينما الانبياء ينذرون بالخراب فى اول اسفارهم نراهم يختمونها بابهج المواعيد واحسن المسرات .

(٣١) عوبديا . ان موضوع هذا السفر " القضاء على أدوم " فانه اشار جليا الى قساوة أدوم نحو اليهود وفى نهاية نبوته أنبأ عن اخضاع اليهود فيما بعد لأدوم من أدبه الرب لا يلاشيه مطلقا . والأعداد ١٧ - ٢١ تشير لا محالة الى الازمنة المسيحية وإتمامها . وأما ما يختص بالنظام الانجيلى فيبتدىء بتأسيس ملكوت المسيح على الارض ويتقدم بامتداده بين الامم وينتهى باتمام تام فى مجىء الرب الثانى .

(٣٢) يونان .موضوع هذا السفر " نينوى " وقد ذكر يونان عظمة نينوى (١) ليدل على ان السفر كتب فى وقت لم يكن يعرف فيه الاسرائيليون بحقيقة عظمة نينوى بعد ، الامر الذى سيعرفونه ويتأكدونه حالا بعد كتابة السفر بواسطة غزوات أشور الكثيرة لهم (٢) لكى يعلم اسرائيل أن الشعب الوثنى ندم وتاب من اول مدة بواسطة كرازة نبى أجنبى ولكن اسرائيل الذى كثيرا ما يفتخر بانه شعب الله الوحيد المختار لم يتب مع عمل الوسائط الكثيرة له . أما من جهة سفر يونان فهو تاريخى اكثر مما هو نبوى ولا توجد فيه نبوة واحدة فقط وهى " بعد اربعين يوما تنقلب نينوى " (ولم يمنع اتمامها إلا اتساع نفوذ مراحم الرب بناء على توبة صادقة أعلنها أهل نينوى) وفيه تتجسم إرادة الانسان الساقطة وإرادة الله العالية .

(٣٣) ميخا . يتضمن نبوات بخصوص السامـــرة وأورشليم فينبىء بخراب السامرة تماما وبخراب أورشليم وسبى سكانها ويشير عليهم بالتوبة وينبىء برجوع رحمة الله وبركته وغفران خطاياهم وحينئذ يتمجد جبل قدسه وتعترف الامم بيهوه رب ربا وحينئذ " يطبعون سيـــوفهم سككا ورماحهم مـــناجل ولا ترفع أمة علـى أمة سيـــــفا ولا يتعلمون الحرب فيما بعد " .

ومما يستحق الذكر ان هذا النبى حول التفاته عن السامرة وزورشليم والعواصم الكبيرة إلى بيت لحم الحقيرة فى يهوذا ورمق بعين النبوة ما سيجرى فيها من الاحتفاء والاحتفال السماويين بولادة العجيب للبشر رئيس السلام (مى ٥ : ٢) ثم أنبأ عن انتشار الانجيل من جبل صهيون وارتفاع ملكوت المسيح على كل ممالك العالم . وملخص سفره " الرحمة " .

(٣٤) ناحوم . مدار كتابته على نينوى وهو يصفها وصفامدققا كمن رآها رأى العين فانه يقول " بأن تلك المدينة مملوءة من الخطف والكذب ولقد سمع صوت السوط وصوت رعشة البكر وخيل تخب ومركبات تقفز ولهيب السيف وبريق الرمح " واذ اوحى اليه بخرابها العتيد أن يكون على يد الامة الكلدانية ورأى أيضا بعين النبوة افتقاد الله شعبه صرخ قائلا " صالح هو الرب فى يوم الضيق " على أنه ليس من نبوة كملت تمام الكمال مثل نبوة ناحوم على نينوى واشور فانها امحيت تماما طبقا لما قال " خربت نينوى خرابا وليس من يرثى لها " .

(٣٥) حبقوق . موضوع سفره " الغلبة علي يهوذا " بواسطة الكلدانيين وخراب الكلدانيين عقيب ذلك . ويشتم من رائحة سفر حبقوق وجوب الاتكال على الله فى الضيق ومع كون النبى نشأ فى جيل شرير واقع تحت قضاء الله وغضبه فقد القى رجاءه على الله وتمسك به تمسكا شديدا بوعده المبارك وحبقوق هو نبى الايمان " البار بالايمان يحيا " (حب ٢ :٤) وهذه الآية تتضمن المبدأ الجوهرى الذى يتصف به عبيد الله بالحقيقة فى كل زمن ومكان . وسفره وان كان قصيرا لكنه مملوء من روح الحماسة والقوة والصلوات والانذارات والويلات على شرابى المسكر .

(٣٦) صفنيا . كانت غاية نبواته حث الامة اليهودية على التوبة بتهديدهم بالقصاص وتعزية شعب الله بالمواعيد بأنتصار البر أخيرا . كما انه أنبأ بغزوات الكلدانيين والكوشيين بالدمار الذى سيصير من جراء ذلك والظلمة العتيدة ان تكون لآخرة ..الشعوب من جراء يوم الغضب العظيم المشار اليه فى سفر الرؤيا ٦ " يوم سخط يوم ضيق وشدة يوم خراب ودمار يوم ظلام وقتام يوم سحاب وضباب يوم بوق وهتاف " صف ١: ١٤ – ١٦ " ليس على اليهود فقط بل على الفلسطينيين والكوشيين والاشوريين أيضا ولكنه أبان أنه فى وسط جميع هذه الانقلابات والمصائب " ستخلص البقية من بنى اسرائيل "وبنيان أورشليم (صف ٣ : ٨ – ٢٠) ولهذا فموضوع سفره " أحكام ومراحم " .

(٣٧) حجى (١) وتنحصر أهمية رسالته فى هذه الآية الذهبية " أنا معكم يقول الرب " ص ١ :١٣ وقد امتاز باستنهاض الشعب بموجز الكلام الى تجديد الهيكل ويمكن تلخيص دعوته فى هذا الصدد فى آية الانجيل القائلة "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه تزاد لكم " ثم بخطاب لزربابل رئيس بيت داود ونائبه والشخص الذى منه ابتدأت سلسلة نسب المسيح بعد السبى وأيضا بالمواعيد بحفظ شعب الله فى وسط سقوط ممالك العالم ودمارها .

(٣٨) زكريا . كان من أهم الأمور لدى زكريا أن يقوى عزائم الشعب الضعيف وينهض هممهم الساقطة لينزعوا عنهم نير بابل ويعززوا روح التقوى فيما بينهم ويرجعوا اليهودية إلى ما كانت عليه من العز والفخر . وفحوى نبواته ونبـوات حجى ما ورد فى هذا السفـــر " ص ١ : ١٦ و١٧ و٨ : ١٤ و ١٥ " ويمتـــاز زكريـا عن بقيـة الأنبياء ما عدا أشعياء بكثرة النبوات المتنوعة المتعلقة بالمسيح ووضوحها حتى إنه يذكر قضايا مهمة بخصوص المخلص ولم يرد نظيرها فى نبوات أشعياء .

(٣٩) ملاخى . الامور التى لم يستطع نحميا إصلاحها تماما أقيم لأجلها ملاخى ليدعو الشعب الى التوبة ويحيى فيهم روح الديانة الحقيقية . ومحور رسالته هذه الاية " أحببتكم يقول الرب " فالنبى صرح بمحبة الله لبنى يعقوب أكثر من بنى عيسو ثم أخذ يلومهم على تذمرهم على الرب ويبكت الشعب على اهمال خدمته تعالى ويلومهم على الزيجة بالنساء الأجنبيات وينبئهم بأنهم سيدانون على ذلك .

ختام العهد القديم : قد أنبأ ملاخى فى ختام نبوته عن مجىء بطل العهد الجديد الى الهيكل وإرسال ايليا النبى يوحنا المعمدان سابقا له (مل ٣ : ١ و ٤ : ٥) وبه تنتهى نبوة العهد القديم .

---

(١) قد اكثر الانبياء الثلاثة حجى وزكريا وملاخى من استعمال هذه الكنية لإسم الجلاله رب الجنود " ونبواتهم تنطوى على أمرين عظيمين الأول تجديد الهيكل وإعادة نظام أمة اليهود وتقرير شرائعهم الخاصة والثانى البشارة بمجىء المسيح القريب والحصول على البركات الانجيلية الموعود بها .

وهكذا انتهت النبوة فى العهد القديم كما ابتدأت أى كان اعلانها الاول فى الجنة ونبواتها الاخيرة فى سفر ملاخى متجهة الى أمر واحد وهو المسيح الذى يشهد له جميع الانبياء (اع ١٠ : ٤٣) فان شهادة يسوع هى روح النبوة (رؤ ١٩ : ١٠) وها نحن قادمون إلى ميراث سماوى جديد وعهد سام مجيدومخلص جديد " فلا تذكروا الأوليات والقديمات لا تتأملوا بها . ها نذا صانع أمرا جديدا " (اش ٤٣ : ١٨ و ١٩) .

القسم الثانى

العهد الجــــديد

" إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة .

الاشياء العتيقة قد مضت وهوذا الكل قد

صار جديدا " (٢ كو ٥ : ١٧)

انتهى الاعلان الالهى القديم وتم ما أراد الله أن يعلنه من جهة ذاته ومقاصده وارادته . وعند نهاية الاربع مئة سنة بعد ملاخى كانت جميع الطبيعة البشرية تصرخ الى السماء ولسان حالها يقول " أنه وقت عمل الرب قد نقضوا شريعتك " (مز ١١٩ : ١٢٦) فكان جوابه تعالى فى جميع تلك التجهيزات التى أقامتها عنايته " قريب برى قد برز خلاصى " (اش ٥١ : ٥) فجاء مل الزمان وكلم الله البشر فى إبنه وأظهر مقاصده وإرادته فى تعاليم يسوع وحياته البريئة من الخطأ وموته الاختيارى . ولهذا كان هذا القسم من الكتب المقدسة على نوع خصوصى " اعلان يسوع المسيح " رؤ ١ :١ وقد سمى بالصواب الكتاب الذى يتضمن هذا الاعلان (العهد الجديد لربنا ومخلصنا يسوع المسيح) .

وقد استعمل المخلص كلمة عهد للدلالة على الرتبة الالهية التى جاء ليضعها على الارض (مت ٢٦ : ٢٨) وقد قرنها بكلمة " جديد " تمييزا لهذا العهد الجديد عن ذاك العهد القديم ولانه يحتوى على وصية الله الجديدة التى صارت بمخلصنا يسوع المسيح (عب ٩ : ١٥ و ٧ : ٢٢ و ٨ : ٦) ولانه يؤكد اتمام مواعيد الله ونعمته للخطاة التائبين ، وقد ختم فيه ميثاقه الميراث السماوى للمؤمنين بكونهم بنين وبنات لله القدير بيسوع المسيح (عب ٩ : ١٥ - ١٧) وقد تحققت هذه المواعيد والعهود بموت المسيح ذبيحة عن خطايا العالم .

وقد تم العهد الجديد بدم المسيح (مت ٢٦ : ٢٨) وشعاره ايمان عامل بالمحبة واتحاد مع الفادى (عب ٩) وهو يشتمل على الاقوال الموحى بها الى الانجليين والرسل ، والسبب الاهم فى تسميته جديدا هو لانه يحوى تاريخ الانسان الجديد السماوى وعمله الجديد أى ايجاد خليقة جديدة (غل ٦ : ١٥) وقال بولس الرسول " ان كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة . الاشياء العتيقة قد مضت وهوذا الكل قد صار جديدا " (٢ كو ٥ : ١٧) .

وقد سمى أيضا الانجيل وهى كلمة معربة عن اليونانى ومعناها البشارة (لو ٢ : ١٠) وتطلق عليه للدلاله على اعلان رحمة الله الخلاصية فى المسيح ثم وضعت للكتب الموحى بها التى تتضمن هذا الاعلان وهى سبعة وعشرون كتابا . وتنقسم أسفار العهد الجديد السبعة والعشرون بوجه عام عن المسيح الى ثلاثة اقسام (١) المسيح فى حياته الارضية . البشائر الاربع (٢) المسيح فى قوة قيامته . سفر الاعمال ورسائل بولس والرسائل الجامعة (٣) المسيح مجده العتيد . سفر الرؤيا .

وتنقسم ايضا الى أربعة (١) شرعى . وهى التى تتضمن شريعة النعمة (البشائر الاربع) ومع انها أتت بتاريخ المسيح حتى سماها بعضهم تاريخية ولكنها قررت لنا الشريعة الانجيلية (٢) تاريخى وهو ما يتضمن تاريخ بداءة كنيسة المسيح وتقدمها بين الملأ وهو أعمال الرسل . (٣) تعليمى وهو ما يتضمن اعلان ملء النعمة للكنيسة وتهذيبها حسب مشيئته تعالى وهى رسائل بولس والرسائل الجامعة (الكاثوليكون) (٤) نبوى . وهو رؤيا يوحنا اللاهوتى .

(أولا) القسم الشرعى

(٤٠) متى . الظاهر أن الغرض العظيم الذى لاجله كتب متى بشارته لليهود هو ان يبرهن لهم ان يسوع الناصرى المحتقر هو المسيا الذى كانوا ينتظرونه والذى بشرهم به الانبياء ولهذا بدأ بشارته بنسب المسيح الانسانى مبينا انه من ذرية داود ثم ذكر سجود المجوس له وهربه الى مصر ومثل قتل الاطفال بأمر هيرودس الى غير ذلك من الحوادث التى أظهر بها كيف تمت فيه اقوال الانبياء وعليه فغاية متى من بشارته انه يعلن " المسيح كملك " .

وبشارة متى توضح العلاقة الكائنة بين العهد القديم والعهد الجديد اذ أنه عندما كان يذكر حوادث المسيح كان يعقبها بأن ذلك إنجازا لما تنبأت به الانبياء . وأظهر أن تعاليم المسيح التى ذكر ها هى تتمة الشريعة القديمة وأن اتعابه ومعجزاته وظروف الامه وموته هى انجاز النبوات الى تتعلق بأبن داود .

(٤١) مرقس . يشرح هذا البشير مقام " المسيح كخادم " متطوع صرف كل دقيقة من حياته على الارضS فى عمل مشيئة الله الذى ارسله بنشاط وسرعة حيث يفتتح بشارته لا بسلسلة انسابه ولا بسيرة ايامه الاولى بل بخدمته .

وهو يصور لنا يسوع الناصرى رب الكائنات قاطبة وبيده مقاليد الامور وترى صدق القول من ذكر اعمال قدرة الله السامية لأنه كتب انجيله للأمم الرومانيين . وقد جاء فى اصدق التاريخ ان أهل رومية طلبوا من مرقس ان يدون لهم كل تعاليم وكرازة السيد المسيح فكتب بشارته كذلك بمناظرة بطرس وسلمها اليهم (١) .

(٤٢) لوقا . هذه البشارة تلائم الخاطىء لانها تعلن " المسيح ابن الانسان مخلصا " وترينا لطفه ومحبته التى حملته على ان يصير انسانا لكى يخلصنا والمظنون انها كتبت لافادة اليونان ولذلك تتبع كاتبها سلسلة انساب المسيح حتى آدم اشعارا بانه جاء ليخلص الجنس البشرى كله وليس اليهود فقط .

غاية لوقا فى كتابة هذا الانجيل تعليم صديقه (٢) ثاوفيلس (ص ١ : ٣) غير أنه قصد به ايضا الفائدة العامة الدائمة إذ اظهر بنوع جلى العلاقة الشديدة الكائنة بين ابن الله والطبيعة الانسانية فى شأن الخلاص كما يؤيد ذلك أعمال حياة المسيح واحواله وقد قصدوا أن يوقفنا على بعض تفاصيل لم يذكرها متى ومرقص .

---

(١) راجع الكلام على ذلك فى كتاب " موجز الاخبار عن اصل الاسفار " ص ١٦ للمؤلف .

(٢) ثاوفيلس اسم يونانى معناه " محب الله " وكان هذا الرجل زميلا ورفيقا للوقا فى مدرسة الاسكندرية ثم ارتقى فى وظائف الامبراطورية الى رتبة الحاكم العالى الذى يعطى لقب " العزيز " مثل فيلكس الوالى وغيره . ولا اعتبار لقول البعض انه اسم لكل مؤمن فى نظر البشير لانه اسم تاريخى لشخص معين ..والمسمى كان معروفا للكاتب .

(٤٣) يوحنا . قصد به أن يثبت الوهية يسوع الناصرى (يو ١ : ١ و ٢) سدأ لافواه الذن كانوا يجحدون لاهوت المسيح وينكرون كثيرا من أعماله وأقواله التى أضرب عن ذكـــرها الانجليون الثلاثة . فلما رأى أســـاقفة آسيا هذه الاضاليل وقد أخذ يدب فسادها فى بيعة الله استعانوا بيوحنا الرسول وسألوه تأليف بشارته فكتبها فى هذا الصدد وقد ذكر فى بداءتها موضوع كتابته (ص ١ : ٤ و ١٤) وهو مجد الكلمة المتجسد حياة ونور الناس وغايته هداية الذين يقرأون ما كتبه الى الايمان بيسوع لكى ينالوا الحياة الابدية (ص ٢٠ : ٣١) .

ولأجل أن يعلن " المسيح ابن الله الرفيق الالهى " انتخب بعض ما حدث فى حياة المخلص وأخبر بها بنوع أظهر فيه جليا النعمة والحق اللذين ظهرا فى ابن الله ، ويستخرج من هـــذا الانجيل اصدق البراهين واصرحها على الوهية المسيح .

(ثانيا) القسم التاريخى

(٤٤) اعمال الرسل . غاية اوقا فى تأليفه ان يكشف لبصرنا " المسيح المقام " حيث نرى المسيح قائما من بين الأموات صاعدا الى السماء حيا الى الابد ممجدا . عاملا بقوة روحه القدوس فى كنيسته التى على الأرض . واخبر باختصار عن تأسيس الكنيسة الاولى بين اليهود والأمم فى المركزين الاصليين وهما أورشليم وانطاكية وامتدادها من كل منهما الى العالم اجمع والفكر الرئيسى فيه " وتكونون لى شهودا " .

(ثالثا) القسم التعليمى

(٤٥) رومية : قد علم الرسول فى هذه الرسالة ان الانسان الذى فى حال الخطية المميتة انما يبرر بالايمان مجانا لا بأعمال الناموس الموسوى ولا بأعمال الطبيعة . والسبب دعا الرسول بولس الى كتابة هذه الرسالة هو ما وقع بين أهل رومية من النزاع والفتن والغيرة بين المؤمنين من اليهود والأمم من جهة مركز الفريقين فى ملكوت المسيح

ص ١١ فالمؤمنون من الامم كانوا يفتخرون بفلاسفتهم وفضائلهم الطبيعية كأنهم بذلك كانوا اهلا للبر . والمؤمنون من اليهود كانوا يظنون انهم مستحقون لنعمة الانجيل نظرا لمواظبتهم على اعمال الناموس ولكونهم من ذرية ابراهيم الذى كان له الوعد والعهود فدحض الرسول مدعى الطرفين وبين لهم ان الدعوة الى الايمان لا يصلح اعزاؤها الى اعمال سابقة انما هى فضل ومنة من المسيح . ثم اقتبس آية حبقوق النبى وجعلها مفتاحا لاقواله " اما البار فبالايمان يحيا " ؛ ص ١ : ١٧ " ولهذا يصح ان يكون غرض الرسالة " المسيح المبرر " .

وبعد ذلك حوضهم على السلم وجمع الكلمة والاتفاق وطاعة الرؤساء ومعاملة الضعفاء بالرفق نظير معاملة المسيح لهم فان بعض الاقوياء فى الايمان لم يراعوا الضعفاء ولم يرفقوا بهم (ص ١٤ و١٥) .

(٤٦ و ٤٧) ١ و٢ كورنثوس . الموضوع الرئيسى لهاتين الرسالتين " خدمة المسيح " (١ كو ٩ : ١٦) والغرض من الرسالة الاولى هو ازالة ما وقع بينهم من الفتن وما اندس فيهم من الفساد ودعوتهم الى الوفاق ومعاملة بعضهم بعضا باللين وخفض الجناح وبعد ذلك بين لهم أشياء كثيرة اشتبهت عليهم فى أمر الزواج والتبتل واكل اللحوم المقربة للاوثان وتغطية الرؤوس فى الكنائس وعشاء الرب ومواهب الروح القدس وفضل المحبة على ما سواها من الفضائل وقيامة الاجساد ولا سيما مبالغتهم فى بعض معلمى الديانة حتى انقسموا فى اتباعهم اياهم حسب اهوائهم للتعاليم التى سمعوها (ص ١ : ١٠ - ١٢) ان كتابة الرسالة مبنية على هذه الامور كانت بناء على استفتائهم اياه فى حل هذه المسائل الخلافية (ص ٧ : ١ و ٨ : ١) .

وبعد مفارقة الرسول لافسس حيث كتب هذه الرسالة زار جهات اخرى وذهب الى فيلبى (اع ٢٠ : ٦) فطلب منه مؤمنوها ان يبعث لأهل كورنثوس برسالة أخرى ليرضى خاطرهم لان الرسالة الاولى احزنتهم كثيرا وفى هذه الاثناء وصل اليه تيطس من كورنثوس بأخبار مرة بخضوع بعضهم وصراحة آخرين وتعصبهم (٢ كو ١١ : ١٢) والظاهر ان هؤلاء معلمون كذبة (ص ٢ : ١٧) وقد اتهموا الرسول بتهم فارغة (ص ١ : ١٧) فضلا عن ذلك انه لم يكن قد زال حينئذ من الكنيسة كل أثر من الفساد الوثنى ص ٦ : ١٤ - ١٨ .

فلما بلغت الرسول هذه الاخبار احدثت فيه تأثيرا عظيما فكتب اليهم الرسالة الثانية وقد مزج فيها المدح والمحبة والشكر بالذم والغضب والحزن وقصد بها تنشيط القسم اللافضل بينهم وتسكينهم واجراء اصلاحهم وتحذيرهم من الانقياد الى المعلمين الكذبة . وان يعزيهم ويصف لهم الدواء لاستئصال ما بقى فيهم من جراثيم المساوىء واخيرا دافع عن نفسه صيانة لوظيفته الرسولية ودفعا لقدح وتنديد الرسل الكاذبين واعتداء الواشين .

(٤٨) غلاطية . موضوع هذه الرسالة والغرض منها ان يثبت ان رسالته من المسيح نفسه ويدحض ويفند تعليم الرسل الكذبة الذين يبالغون فى التمسك بالرسوم الموسوية ويقولون بضرورة فعلها وحفظها للخلاص (٥ : ٤) فقام الرسول بولس واظهر لهم ان تلك الرسوم قد غدت لا طائل تحتها ولا نفع منها البتة ثم اتاهم بتفصيل الطريقة الالهية فى تبرير الاشرار .

والرسول لا يجادل الامم الذين كانوا يعتبرون الاعمال الصالحة تستوجب الجزاء الالهى غير مراعين ايمان ، ولا غير المؤمنين من اليهود الذين يقولون ان التمسك بالناموس هو الطريق الوحيد للتبرير ، بل يجادل اليهود الذين قبلوا الانجيل وقالوا ان حفظ الناموس الموسوى هو الطريق الوحيد للتبرير وضرورى للخلاص كالايمان بالمسيح فبين الرسول ان الناموس لم يوضع للتبرير بل انه يتم بالطريقة التى اعطاها لنا الله فى اقوال العهد الجديد واتاهم اثباتا لقضيته هذه بخبر ابراهيم اذ رذل ابنه اسماعيل واقام اسحق ووريثا له واردا بذلك ان الميثاق الاول المرموز اليه بهاجر كان يلد ابناء العبودية واما الميثاق الثانى المشار اليه بسارة فانما هو حر واولاده احرار .

وبعد ذلك حث اهل غلاطية على ان يتمسكوا بالحرية التى خولهم اياها المسيح وألا يعودوا فيطأطئوا اعناقهم لنير الاستعباد بخضوعهم للرسوم الموسوية عوضا عن النظر الى " صليب المسيح " الذى رسم امام عيونهم .

(٤٩) افسس . لهجة هذه الرسالة البركات السماوية (١ : ٨) فى المسيح الذى هو ميراث الكنيسة (١ : ١٤) وكذلك الكنيسة ميراث المسيح (١ : ١٨) والغاية الرئيسية

التى كان الرسول يسوق اليها اهل افسس هى معرفة قيمة الانجيل لانه هو الاعلان الاعظم لمحبة الله الابدية والى الشعور بعظم البركات التى منحهم الله اياها في المسيح وان يفهمهم الانجيل الذى يزيل التمييز بين اليهود والامم ويضم جميع اعضاء الكنيسة مع اختلافهم فى المواهب والوظائف الى جسد واحد وان يرقيهم فى طهارة السيرة والقيام بجميع واجباتهم كما يليق بابناء الله والمقام السامى الذى نالـوه .

(٥٠) فيلبى . هذه الرسالة هى رسالة " الفرح فى المسيح " فقد أعيدت فيها كلمة الفرح وما فى معناها ست عشرة مرة وجاءت فى هذه المواضع كلها مصحوبة بالضيقات ، فالرسول يشجعهم ويشددهم على احتمال الضيقات والاضهادات ويعطيهم نصائح وتحذيرات وينشطهم فى جدهم لاجل نيلهم اعلى الفضائل المسيحية .

(٥١) كولوسى . رسالة افسس تشرح مقام الكنيسة اى " الجسد " ورسالة كولوسى تشرح مقام المسيح اى " الرأس " (١ : ١٨ و ٢ : ١٠ و ١٥) وبناء على ذلك الغرض العظيم من هذه الرسالة اظهار عظمة ومجد شخص السيد وصفاته وكمال فدائه وفوائد كنيسته المبنية عليه والمتحدة به اتحادا تاما حيا وتحذيرهم من ضلال المعلمين الكذبة الذين استعمل الرسول نفس كلامهم حجة على كون الانجيل هو الفلسفة الحقيقية وتحريض التلاميذ على الثبات فى الايمان والمحافظة على السلوك الائق بالمخلص الذى قام من الموت ونال المجد .

(٥٢ و ٥٣) ١ و ٢ تسالونيكى . " المسيح رجاؤنا " ان مجىء الكسيح شخصيا مرة ثانية هو رجاء الكنيسة وموضوع الرسالتين الرئيسى وقد ذكر فيهما كثيرا تنشيطا لهم وتشجيعا لايمانهم فى وسط اضطهادهم . وعلى هذا كانت غاية بولس الرئيسية فى الرسالتين هى ازالة اوهامهم وانتظارهم لمجىء الرب وان يصحح اغلاطهم ونقائصهم ويبنيهم فى الايمان والقداسة .

ومدار رسالته الاولى انما هو اخص الامور التى اوقفه عليها تيموثاوس (ص ٣ : ١ و٢) بان كنيسة تسالونيكى على احسن حال (٢ : ٦ - ١٠) وان بعض المؤمنين فى حاجة الى العلم بحال الاموات ومجىء الرب والدينونة الاخيرة (ص ٤ : ١٣ - ١٨)

ويعضهم خدعوا انفسهم بانهم تحرروا من واجبات الهيئة الاجتماعية والتزاماتها وانهم اذا تركوا اشغالهم الاعتيادية حصلوا على ما يحتاجون من اعضاء الكنيسة (ص ٤ : ١١ و ١٢) فكان جـ اب الرسول مدحهم على ثباتهم والصبر على الآلام ثم انبأهم بحال الاموات ومجيئ الرب ويوم الدينونة وحرضهم ان يتزينوا بالعفاف ويلزموا المحبة وتبادل المودة ثم أخذت يثبت المرتدين ويؤاخذ الذين ضلوا عن السبيل بما عذب من الكلام .

واما فى رسالته الثانية فمدحهم كما مدحهم اولا على ازدياد ايمانهم وصبرهم على الشدائد والاضطهادات وحذرهم حتى لا يصيخوا سمعا لأولئك الكذبة الذين يزعمون ان يوم الرب قريب (ص ٢ :٢) ويعلمهم بان ذلك اليوم يسبقه كفر وجحود عامان فيظهر حينئذ الدجـال وجمـلة حوادث " ص ٢ : ١ - ١٢ " ثم يحضـهم على ان يعيشوا عيشة مسيحية ويقضوا اوقـاتهم بالشـغل فى ظل السكينة والسـلام " ص ١ و ٢ : ١٢ - ١٧ و ص ٣ " .

(٥٤ و ٥٥) ١ و ٢ تيموثاوس . هما رسالتان رعويتان بعث الرسول بهما الى خادم قائم بخدمة كنيسة مهمة وقد ضمنها " عقيدة المسيح ".

وأخص ما ذكر فى الرسالة الاولى (١) تعليم تيموثاوس وتشجيعه على مقاومة البدع الظاهرة فى تلك الايام والمحافظة على حقائق الانجيل بثبات (٢) إرشاده من جهة حكم الكنيسة وإقامة موظفيها وواجبات أعضائها والتصرف بصدقاتها وأجراء التأديب .

وفى الثانية أرشد تيموثاوس الى واجبات خدمته ولا سيما فيما يتعلق بالمعلمين الكذبة الذين ينكرون الديانة المسيحية الجوهرية ، كما أنها تتضمن عدة أمور بشأن واجبات كل مسيحى وما عليه أن يعمله فى التجارب والضيقات وفيها يصرح بايمانه القويم بالرب يسوع المسيح وبكل مواعيده العظيمة التى أعدها للقديسين .

(٥٦) تيطس . الظاهر أن الداعى الأصلى لكتابة هذه الرسالة هو أن الرسول اضطر إلى الخروج من كريت قبل ما أمكنه إصلاح الامور ومحاربة الشرور الواقعة هناك وتكميل نظام الكنيسة ، فترك تيطس ليقوم بذلك وأرسل هذه لأجل إرشاد تيطس وتقليده سلطانه الرسولى فى القيام بالعمل الذى فوضه اليه ويحث تيطس على اتباع

الصحيح والمحافظة على حسن السيرة وطهارتها لان سكان كريت كانت أخلاقهم رديئة جدا وليس من السهل القيام بعمل الرب بينهم . وهى تحوى ما يتعلق بالمعرفة المسيحية وحسن الآداب والسياسة الكنسية . أخص ما فيها ذكر الصفات اللائقة بالرعاة " ص ١ : ١ - ٩ " وأخلاق المعلمين الكذبة الذين يجب الحذر منهم " ص ١ : ١٠ - ١٦ " والتعليم الذى ينبغى أن يلقى إلى جميع أصناف الناس من جهة واجباتهم ومسؤوليتهـــم " ص ٢ و٣ " وهـــو يتكلم عن المسيـــح كمخلـــص " " ٢ : ١١ - ١٤ و ٣ : ٤ - ٨) .

(٥٧) فليمون . هذه الرسالة تدل على رقه حاسيات بولس ولين أخلاقه على نوع أخص من باقى رسائله وهى مثال عظيم الفائدة للطف والحرية فى معاملة الاصدقاء المسيحين بعضهم بعضا . والفكر الرئيسى فيها المساواه الادبية بين البشر .

(٥٨) عبرانيين . سبب كتابة هذه الرسالة الى المؤمنين من اليهود فى أورشليم كما قلنا فى " موجز الاخبار " ص ٢٦ و ٢٧ هو " أن الرسول بولس سمع أن ضيقا واضطهادا حل بهم فحزن واغتم وفى الحال أرسل اليهم هذه الرسالة المشهوره . وقد كان العبرانيون في ابتداء ايمانهم مجتهدين جدا في الروح حتى انهم كانوا يقبلون سلب أموالهم بفرح . ولكنهم ضعفوا أخيرا بواسطة مساعى ابليس حتى التزم الرسول أن يرسل لهم هذه الرسالة غير مفتتحة باسمه كباقى الرسائل ، لانه لو فعل هكذا لمزقوها قبل أن يتلوها ويفقهوا ما بها لشدة ما حاق بهم من المحن والرزايا بسبب تبشيره . ولما أتت اليهم الرسالة قرأوها لجهلهم بمن كتبها فاستراحوا من همومهم وأخيرا عرفوا أن مرسلها هو بولس كما يستنتج من روح الرسالة ذاتها " .

وكانت الغاية الاولى من هذه الرسالة تحذيرهم من هذا الخطر وهو " الميل الى النظـــام القديم " فاجتهد الرسول أن يضعف ميلهم الى الطقوس الموسوية وفى تقديمهم فى معرفة الانجيل وتعزيز ايمانهم بايراد البراهين ويتضح جليا من هذه الرسالة كثرة تجارب اليهود الدخلاء الداعية لهم الى الارتداد (عب ٤ : ١ و ١٤ و ١٠ : ٢٣ و ١٢ : ١) وتبين هذه الرسالة وحدة نظام العهد القديم والجديد واختلافهما وان كليهما من أصل الهى (عب ١ :١ و ٢) الا ان الأول كان غير كامل (عب ٨ : ٦ و ٧ و ١٠ : ١) بينما نظام العهد الجديد هو الافضل الذى اعده الله لنا (ص ١١ : ٤٠) .

(٥٩) يعقوب . موضوع هذه الرسالة الرئيسى مقابلة صفات المسيحى بالحق وسيرته الصالحة الذى وصفه االرسول بكونه عاملا للكلمة وثابتا فى ناموس الحرية الكامل ، بالمسيحى بالاسم فقط . وقد قدم الرسول شواهد كثيرة على ذلك فى اعمال الحياة حسب أحوال أنواع البشر واحتياجاتهم واضاف الى ذلك التعزية والتنشيط فى الضيقات الكثيرة تحريضا على الفضائل المسيحية وتحذيرا وتوبيخا للذين أهانوا الديانة بالاقرار المسيحى دون الاعمال الموافقة له .

وقد قصد الرسول يعقوب برسالته ايضا تعزية وتثبيت قلوبهم على ما نالهم من الأذى والفتن ، وجلها يرجع الى تقرير منفعة المحن وعدم الاستغناء عن الاعمال الصالحة . مع الايمان وتسديد خلل كان قد وقع عند المؤمنين فى الاعمال والعقائد ، وبالجملة فالرسالة تتضمن " ناموس المسيح للحياة اليومية " .

(٦٠ و ٦١) ١ و٢ بطرس . هاتان الرسالتان تشرحان لنا الفرح فى وقت الآلام . توضح الرسالة الاولى آلام الاضطهاد ، وتبين الثانية آلام التجارب والمقاومات . وهما تتكلمان عن المسيح حجر زاويتنا الكريم " ١ بط ٢ : ٤ – ٨ و " ورئيس كهنتنا العظيم " عد ٥ و ٩ .

وكتب بطرس الرسالة الأولى ليحذر المؤمنين الذين كانوا حينئذ عرضة للاضطهادات من خطر الكفر وتجارب الجحود ولذلك بين لهم شرف دين المسيح ووعظهم بما فيه صلاح لكل منهم بحسب سنه ومنزلته طالبا منهم المحبة ببعضهم لبعض والطاعة لاصحاب السلطة وخضوع النساء لازواجهن ووجوب معاملة رجالهن لهن بالدعة واللين وأوصاهم بالقناعة فى خصوصيات الغير وكان الشيوخ فى خطر السقوط فى الطمع وحب الرياسة فحذرهم من عواقب صلفهم وارشدهم الى الصواب .

ثم أراد فى رسالته الثانية أن يحض المؤمنين على اكتساب الفضائل وان يحذرهم من مخاطر شديدة تنشأ من معلمين كذبة ومرائين ومستهزئين داخل الكنيسة ، ولهذا السبب طلب الرسول ان يثبتهم فى الايمان ولا سيما فى الاقناع الثابت بمجيء الرب الثانى ويحركهم الى الجد الدائم فى النمو فى كل الفضائل المسيحية بصرف النظر عن حركات المعتدين عليهم والمقاومين لهم .

(٦٢) ١ يوحنا . قصد الرسول بهذه الرسالة تثبيت المؤمنين " الذين دخل بينهم معلمون كذبة " على الايمان الذى تسلموه منه متكلما عن " الشركة فى المسيح " بالايمان ولذلك تجده يحث على لزوم الايمان بالمسيح بما انه ابن الله والفادى وان ذلك لا بد منه للخلاص ، وتحذير المؤمنين من ترهات المضلين ووجوب امتحان أقوالهم .

ويتضح من الرسالة انه ظهرت حينئذ اختلافات عظيمة الاعتبار فى الكنيسة منها انكار البعض مقام السيد الالهى وقولهم انه ليس ابن الله " ٢ : ٢٢ " وانكار البعض الآخر ناسوته الحقيقى وحقيقة موته وكفارته " ٤ : ٣ " والظاهر ان آخرين قالوا بكفاءة عبادة الله بالروح وحرية الجسد فى التمتع الشهوانى فاثبت الرسول ان كل خطية تعد " ٣ : ٤ " وغرض الرسول الاعظم في هذه الرسالة اثبات أمرين مهمين " الاول . الله نور " اسلكوا فى النور " والثانى . محبة الله " الله محبة ؛ وفى توضيح هذين المبدأين اثبت ماهية الشركة مع الله وعملها الضرورى فى صفات المؤمن .

(٦٣ و ٦٤) ٢ و٣ يوحنا . فى هاتين الرسالتين القصيرتين الشخصيتين أعيدت كلمة ؛ الحق " ١٢ مرة وأتى بها بقصد التفريق بين الحق والضلالات التى كانت قد تفشت فى الكنيسة وكتب يوحنا الرسول لاصحابه يحذرهم منها بصرامة وقوة.

(٦٥) يهوذا . الغرض الخصوصى فى هذه الرسالة هو تحذير المسيحيين من معلمين كذبة جعلوا الديانة قائمة بمجرد الاعتقاد النظرى والاقرار الخارجي وطلبوا اطغاء التلاميذ الى عدم الطاعة وارتكاب المحرمات . وقد وصف فيها أولاً قصاص الطغاة " ع ٥ – ٧ " وثانيا صفاتهم العامة " ٨ – ٩ " .

(رابعا) القسم النبوى

(٦٦) الرؤيا . سمى هذا الكتاب " الرؤيا " وفى اليونانى " الابوكليسى " أى الاعلان لانه مكون مما أعلنه الرب يسوع المسيح الى عبده يوحنا فى رؤى وهو موافق جدا للغاية التى كتب لاجلها وهى التعزية والارشاد للذين كانوا واقعين الاضطهاد الشديد والضيق المر " ر ق ١ : ٩ " ولم تقتصر فائدته على تعزية المضطهدين فى عصر الرسل فقط بل بما ان الاضطهاد ملازم للمؤمنين طالما كانوا على الارض كما كان قد

أنبأ سيدنا " مت ٢٤ : ١١ - ١٣ " فامتدت أقواله الى جميع الاعصار ولايزال الى الآن مفيدا كما ويمتد الى أقصى الدهور لانه لم يبق محل لانتظار اعلان آخر لانه الاعلان الاخير للبشر وتتمه الاقوال النبوية .

ومن الصواب اطلاق رموز سفر الرؤيا التى فى القسم النبوى على ملكوت المسيح رأسا الا اذا كان مدلول الكلام لا يحتمل ذلك . والامر الخصوصى الذى يتضمنه هذا السفر هو " المسيح" باعتبار عمله الخلاصى وصفاته الشخصية جامعا فى نفسه وجوب الوجود والموت والخضوع الزمنى للموت والغلبة التامة عليه فجلال وبهاء الدين الازلى يتجلى فى آخر سفر من الكتاب بلمحات من مجده العتيد في الدهور الابدية كما قال احد الشـــــعراء :

" ان الخروف المذبوح لاجلنا هو بهاء أرض عمانوئيل أي السماء " .

(ختام الوحى) انتهت الاعلانات الالهية بنهاية سفر الرؤيا ولم تعطنا الكتب المقدسة رجاء بانتظار كتاب آخر بل ختمه الروح القدس بختمه السماوى فلا يمكن لاحد ان يزيد عليه أو يحذف منه فيقع تحت طائلة العقاب (رؤ ٢٢ : ١٨ و ١٩) وذلك حتى اذا ظهرت كتب أخرى لا يعتد ولا يحفل بها السماء فوق ما هو مكتوب فيه فلا نصدق ولا نصيخ سمعا . وينبغى ان نشكر الله من كل القلب على هذا المصباح المنير الذى أهداه لنا لنستضىء به فى ظلمة هذ العالم . والمجد لله أبينا . والتسبيح للمسيح فادينا . والحمد لروح معزينا ومحيينا . الاله الواحد . له المجد والقداسة والعظمة والكرامة والسلطان من الآن والى ابد الابدين . آمين .

القسم الثالث

خلاصة الاسفار الالهية

" ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الانبياء يفسر لهما الامور المختصة به فى جميع الكتب " (لو ٢٤ : ٢٧)

قد اجتهدنا فى القسمين الماضيين ان نوضح الفكر الرئيسى فى كل سفر وموضوعه فى كلمة او كلمتين بمثابة مفتاح السفر كله واذا لاحظت هذا تجده كالآتى :

اسم السفر	الفكر الرئيسى فيه	موضوعه
التكوين	البداءات	المسيح نسل المرأة
الخروج	الفداء	المسيح خروف الفصح
اللاويين	الشرائع	المسيح الكاهن العظيم
العدد	السفرات	المسيح الحية المرفوعة والصخرة المضروبة
التثنية	التعاليم	الوصول بسلام
يشوع	كنعان	النصرة
القضاة	العناية	انحطاط البشرية
راعوث	المحبة	" راعوث ممثلة الكنيسة "وبو عز ".
١ صموئيل	تتميم اغراض الله	ممثل المسيح
٢ صموئيل	بواسطة البشر	شاؤل
١ و٢ ملوك		وداود
١ و ٢ اخبار الايام		سليمان وايليا واليشع
عزرا	التجديد	تاريخ الملوك
نحميا	القلب الثابت	الرجوع

ايوب	الالام	تعليم المؤدبين
المزامير	الاختبارات	التعبد لله
الامثال	جهالة البشر	حكمة الله
الجامعة	كتاب الزوال	تحت الشمس (٣٦ مرة)
نشيد الانشاد	الحب الطاهر	العروس
اشعياء	التبكيت والتعزية	المسيح
ارميا	التحذير والانذار	المرتدون
مراثى راميا	الدموع	الخراب
حزقيال	السيد الرب (٧١ مرة)	نهاية الامور
دانيا	الأحلام	الأمم
هوشع	الخلاص	ارجعوا من الاوثان
يوئيل	القضاء والحكم	الوعد بالروح القدس
عاموس	القصاص	هكذا قال الرب (٤٠ مرة)
عوبديا	النصرة	وعظ اليهود بادوم وأمم أخرى
يونان	العصيان	نينوى
ميخا	مسيا المنتظر	الرحمة
ناحوم	أرام	نينوى
حبقوق	الاتكال على الله	الايمان
صفنيا	أحكام ومراحم	البقية بعد السبى
حجى	بعد السبى " التعمير "	بناء الهيكل
زكريا	مجىء المسيح كملك	الرجوع
ملاخى	أحببتكم يقول الرب	السابق (السايس)
متى	اتمام النبوة لليهود	المسيح كملك
مرقس	للوقت " المسيح قوة الله "	المسيح الخادم
لوقا	الامثال	المسيح كابن الانسان المخلص
	الكلمة "المحبة" النور الحياة	المسيح ابن الله
	النهضات "الروح القدس"	المسيح المقام

(رسائل بولس مضمونها " الايمان ")

رومية	البار بالايمان يحيا	المسيح المبرر
١ كورنثوس		المحبة
٢ كورنثوس	خادم المسيح	كفايتنا
غلاطية	البنوية	صليب المسيح
افسس	السلوك والميراث	مقام المؤمن فى المسيح
فيلبى	العطاء	الفرح فى المسيح
كولوسى	المسيح فيكم	المسيح رأسنا
١ تسالونيكى	التعزية	
٢ تسالونيكى	مجىء المسيح الثانى	المسيح رجاؤنا
١ و٢ تيموثاوس	عقيدة المسيح	التعاليم
تيطس	التعليم الصحيح	المسيح مخلصنا
فليمون	الاخ	المسيح محررنا وفادينا
العبرانيين	" أمور افضل " العهدان المسيح كاهننا العظيم	
يعقوب	ناموس المسيح للحياة العمل	

١ و٢ بطرس الكرامة " ثمين " ١ بط ١ : ٧ - ٩ المسيح حجر زاويتنا الكريم

١ يوحنا	"تعرف " " المحبة "	الشركة مع المسيح
٢ و٣ يوحنا	" الحق " " الشريك "	تعاليم الزور
يهوذا	الاشرار " الارتداد "	المسيح حافظنا
الرؤيا	من يغلب ؟	المسيح حمل الله

(فائدة) أهم ما يدور عليه بحث الكتاب المقدس أربعة أمور (١) الله (٢)الانسان (٣) الخلاص (٤) الآخرة .

" الفكر الرئيسى فى الكتاب كله "

موضوع الكتاب كله "

"مفتاح الكتاب كله "

" تعال " ر ؤ ٢٢ ٢٠

قال الفيلسوف باكون : ان مؤلف الكتاب خبير باربعة أمور لا يتسنى لبشرى معرفتها (١) أسـرار ملكوت المجد (٢) كمال نواميس الطبيعة (٣) خفـايا قلب الانسان (٤) مستقبل الايام .

وقال أحد الأفاضل " لكل كتاب غرض يرمى اليه ومحور خاص يدور حوله اما غرض الاكتاب المقدس ومحوره فهو شخص يسوع المسيح الكريم الذى أعلن الله عنايته بالبشر وبواسطته أظهر حبه الفائق لهم واهتمامه تعالى بتدبير الفداء العجيب لخلاصهم والسبيل لهدايتهم فهو فحوى الكاتب وروحه بل حياته ومحور دائرته " .

ترنيمة سر الفداء (٨ و ٦)

" الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا " (اف ١ : ٨)

"متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح " (رو ٣ : ٢٤)

١	قـد كنت قبلا فى ابتعـا	د وهـلاك تـام
	وعشـت ايضا فى الخطا	والشـر والآثـام
٢	فالـرب من أعلى السـما	قـد رق للعبيـد
	بالحـب صـار ملزمـا	ان يبـذل الوحيـد
٣	والمـوت عنـا قد حمـل	أعطـى لنـا الحيـاة
	جـاءوا بـه مثل الحمـل	مـع أنـه الالـه
٤	بالعـار قلبـه انكسـر	رب الفدا الكريـم
	ومثـل لـص قد أسـر	فحبـه عظيـم
٥	معـزيـا مـا أوجـد	لـه ولا رفيـق
	فـى الارض قـد تمجـد	وفـى السمـا صـيـق
٦	كـل ديـن قـد وفـى	وأكمـل النـاموس
	بموتـه العـدل اكتفـى	وأبطـل الطقـوس
٧	فنهتفـن كلنـا	بالشـكر للحبيـب
	لانـه انقذنـا	مـن ألـم اللهيـب

الباب الثامن

غاية الكتاب المقدس

" فلنسمع ختام الامر كله . اتق الله واحفظ وصاياه لان هذا هو الانسان كله "

(جا ١٢ : ١٣)

أخص الاسباب التى دعت الى نزول الوحى الالهى ان يرشدنا الى طريق العبادة الحقيقية المقبولة عند الله تعالى وذلك لن العقل يهدينا الى وجود علة سامية كانت سببا فى وجودنا وانه لابد من تكريم هذا الخالق العظيم وتقديم العبادة لجلاله . الا أن العقل لايستطيع بنوع ما ان يعلمنا ما هى العبادة الواجب تقديمها لله تعالى ولا ما هى طريقتها المقبولة عنده حتى ان جميع ما استنبطه العقل من طقوس العبادة هو فاسد ومرذول ولا يليق بقداسة الله .

وبما ان الوحى مكتوما عن البشر فى تلك الازمان وكانت الضرورة تقضى بوجود اعتقادات لا سيما بشأن الخالق نظرا لما نحن مفطرون عليه اذ توجد فينا طبيعة غريزية تجعلنا نشعر بوجود علة الوجود . فتعددت الاقوال بشأن الخالق وتباينت المعتقدات والآراء . لان نسل نوح البار المنتشر بعد الطوفان لم يثبت فى ما كان قد نشأ عليه من توحيد ذات الجلالة بادىء بدء واعتقاده فيه الصحيح البسيط بل لم يلبث حتى أداه عدم ادراكه تعالى وعدم وجود وحى الى تمثيله بمصنوعات تزلفا لعرفانه وتوصلا لأدراك صفاته . وانتقل المعتقد انتقالا شفهيا من السلف الى الخلف مكبرا بنظارات الوهم حتى تمذهبوا بمذاهب متعددة ينتهى كل بحث فيها الى طائفتين عظيمتين . الاولى طائفة المجوس وهى الفرقة التى كانت اول من عبد الاجرام السماوية . اما الثانية وهى

صائبة او الكلدانية فكانت أو من سجد للأصنام ويقال ان نينوس ابن نمرود أول من رفع تمثالا وأنشأ عبادة وثنية وكان ذلك حوالى سنة ٢٠٥٩ ق . م ومن هذه الطائفة خرج ابراهيم جداليهود .

وظنت فئة من الطائفة الاولى وجود الهين أحدهما نور والاخر ظلام ووحدت الصائبة الذات الخالقة وعددت أشخاصها بنسب أعمالها على المبدأ المجوسى فسرى ذلك الى عروق المصريين فخلق فيهم الايقان بامكان كشف المغطى ثم علقوا بالفيل وامنوا بالعجل وقالوا باقتدار على معلم الغيب . وقسم اليونانيون الاعمال على الاجرام السماوية بحسب كفاءتها واعتقدوا بمقدر لاعمال الناس وقاض آخر للنصيب والقسمة . واعتقد الهنود بآلهة كبرى وآلهة صغرى : فالكبرى لا يهمها امور البشر والصغرى موكلة بحوادث الكون . وهكذا ظل العالم يتخبط فى حندس مدلهم على غير هدى اذا ابتدأوا يمثلون الخالق باصنام وجعـــلوا يعبدونـــها عبادة مشـــوشة مضـــطربة لانها مجهولة (اع ١٧ : ٢٣) .

ولو استطاع بعض الفلاسفة الماهرين ان يكتشفوا ببحث عميق جميع الحقائق اللازمة معرفتها للانسان لبقى بالضرورة اعلان هذا الحق بوحى من الله امرا لازما جدا للناس . اذ لايوجد لأكثر البشر قدرة أو طاقة على فحص طويل يكتشفون به امرا عسيرا كوجود الخالق . وحقيقة الامر حسبما نعلم من التاريخ هى أن حكماء هذا العالم وجهلاءه كانوا فى الجهالة على حد سواء بشأن تلك القضايا التى يحتاج الانسان الى معرفتها أشد الاحتياج . وانها لقضية لايمكن انكارها ان العقل مع مساعدة التقليد قد ترك الناس يسلكون فى الظلام الدامس ولم يمنعهم من السقوط فى أقبح العبادات الوثنية والتوغل فى ارتكاب الرذائل الفظيعة . وبينما هم يزعمون انهم حكماء صاروا جهلاء وأبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة الانسان الذى يفنى والطيور والدواب والزحافات . لذلك أسلمهم الله أيضا فى شهوات قلوبهم الى النجاسة لاهانة أجسادهم بين ذواتهم . الذين استبدلوا حق الله بالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق الذى هو مبارك الى الأبد . آمين (رو ١ : ٢٢ - ٢٥) .

وما أوفق قول صولون عن تلك الازمنة " ان قصد الآلهة كان مكتوماً تماما عن البشر " وكما قال شيشرون " ان كل الاشياء كانت محاطة بظلمة دامسة تسترها حتى لا تقدر قوة عقلية ان تكتشفها " وان كان الله قد أعلن نفسه لبعض الاشخاص الاقدمين قبل الوحى الا ان الانسان مركز النسيان فنسوا ما أعلنه الله لهم وعم الفساد والشر حتى غضب الله عليهم وأهلكهم بالطوفان ما عدا نوح وأهل بيته الذى أنابه الله وصيره أبا لعالم جديد فخاب هذا العالم أيضا وسقط فى الوثنية كما سلف .

وفى ذلك الوقت اختار الله ابراهيم الذى كان ابنا لاب وثنى ويتضح ذلك من كون الله دعاه للخروج من ارضه ومن عشيرته والذهاب الى حيث يريه هو جسل جلاله . وجاء فى (يش ٢٤ : ٢) " آباؤكم سكنوا فيعبر النهر منذ الدهر تارح أبو ابراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى " فنشأ من ذلك التقليد اليهودى الذى يدل على ان تارح أبو ابراهيم لم يكن عابدا للاصنام فقط بل كان صانعا لها وأنه كان يصنع أصناما مختلفة الحجم والاشكال من الخزف وحيث كان ابراهيم ابنه فقد كره فعله ولما علم ان تلك العبادة باطلة قام عليها فكسرها الا الصنم الاكبر فلما جاء ابوه ساءه ذلك وسأله عمن فعل ذلك الفعل فقال له ابراهيم أنه الصنم الاكبر فقال تارح وكيف يستطيع الصنم ان يتحرك ويفعل ذلك فقال ابراهيم ان لم يستطع أن يتحرك وينتقل من مكانه فلماذا تعبده ؟ .

غير ان الله لم يترك نفسه بلا شاهد فى كل الازمنة . ففى تلك العصور المظلمة كان أيوب على ما يقول المحققون عائشا قبل عصر ابراهيم وقد كان رجلا كاملا مستقيما يتقى الله ويحيد عن الشر وكذلك أصحابه الثلاثة واليهو بن برخيئيل البوزى الذى أجابه حينما عجز أصحابه الثلاثة عن مجاوبته وكذلك فى عصر ابراهيم لم يكن هو وحده الذى يعرف الله بل غيره ايضا مثل ملكى صادق ملك ساليم الذى كان كاهنا لله العلى . فمن هذا يتضح وجود شهود كثيرين يشهدون لحقه تعالى فى كل زمان ومكان إلا اننا نقول ان معرفتهم عن الله كانت ناقصة كما يظهر من تصرف ابراهيم نفسه فانه عمل ما لو كانت الشريعة موجودة لأبتعد عنه اذ تزوج باخته (تك ١٢ : ١٣) وهذا ما تحرمه الشريعة (لا ١٨ : ٩) .

واذ ذاك شاء المولى ان يسن قانونا لعباده كى يعرفوه المعرفة الحقيقية وليس فى استطاعة أحد من البشر ان يسن هذا الناموس الا الله وحده فهو الخالق للخلائق والعارف بأحوالهم دون غيره . قال سقراط " ان كل معرفة صحيحة عن الآلهة ليفهم ما يتعلق بالله كما تحتاج العين لنور الشمس لترى الموجودات " وقال ايضا " ليس لنا ان نعرف الحقائق الا من الالهة أو أبناء الآلهة " وقال أيوب " ألى عمق الله تتصل أم الى نهاية القدير تنتهى ؟ هو أعلى من السموات فماذا عساك ان تفعل ؟ أعمق من الهاوية فماذا تدرى ؟ أطول من الارض طوله وأعرض من البحر ... أما الرجل ففارغ عديم الفهم وكجحش الفراء يولد الانسان " (اى ١١ : ٧ – ١٢) .

ربما انه ليس هناك من وسيلة لمعرفة ارادة الاله الا بنبى يعلنها لنا كما قال افلاطون أيضا فقد امتاز الله موسى وأوحى اليه سفر التكوين وفيه كشف القناع عن الامور التى لم يقدر العلماء ان يسلطوا عقولهم علي ظلماتها الحالكة فعرفنا عمن به نحيا ونتحرك ونوجد (اع ١٧ : ٢٨) وافتتح خطابه بقوله هو فى غاية السمو لم يسبق لفيلسوف أو شاعر ان أتى به وهو قوله " فى البدء خلق الله " ويلى ذلك رسم بديع لعمل الخليقة : ولولا هذا العلان لبقى الانسان جاهلا بأصله وآخرته ولايستطيع أن يفهم الظروف التى هو فيها فيجد ذاته فى العالم ويشعر بأن كرور الايام حامل له الى هاوية مظلمة لا يرى منها قرار فجميع تقليدات الناس وتآريخهم عن القرون الاولى مشحونة كذبا فلو انتفت الاخبار الموجودة فى الكتاب المقدس لكان كلما تعلمناه من غيره لا يفيدنا البتة فقد استمر علماء العالم وحكماؤه يعملون ويفتخرون قرونا متواليةعلى أقل معرفة عن الله فعبدوه فى ثور أو أسد الخ وازداد الويل والشقاء والاضطراب ولم يرج الاصلاح البتة من مصدر بشرى ثم ظهرت والحالة هذه حكمة الله وحيثما قبلت تجدد شكل الجمهور . قال الفيلسوف روبرت بويل سنة ١٧٠٠ (في الكتاب المقدس يمكن للجهال أن يحصلوا على كل معرفة ضرورية والا علموا أن يميزوا جهالتهم) .

وقد أوحى الله سبحانه وتعالى الى عبيده الانبياء ليبلغوا عباده طريق الحق والحياة وكأن العالم كان وقتئذ فى ليل حالك الظلمات فكان كلام الانبياء بالوحى الالهى كفانوس من نار يضىء حالك الظلام ثم يرجع فيتوارى عن الابصار وكل ما كان يرى من ذلك

النور ليس سوى اشباه للحقيقة وظلالها لانه كان منظورا مجيء ابن الله الذى هو الحقيقة عينها لكى يتمم القانون الالهى الذى بدونه كان ناقصا .

فشخصت اليه العيون من بعيد وأدارت عليه نظاراتها المعظمة علها تراه حتى ان الذين بلغوا الدرجة القصوى من العلم عرفوا بمحبته بدون نور الوحى . قال سقراط " لا بد من اتيان معلم سماوى يرد الحق والسعادة الى النفس الانسانية " وقال هرمس فى كتابه المعروف بكتاب التسعة احجار " العدل يبطل والامة القديرة تشغب وتطلب ماليس لها بحق والمخزون تظهر أيامه وهو آب يكون فى الارض ويتآمر الامه النجسة بالباطل هم وحكماؤهم على ملك الملوك " وقال سولس " الملك العظيم النقى بلا دنس رب الانام الذى كل شيء بعد ضيائه . ننظره " وقال أدفش " واحد هو فقط الضوء الغير محسوس وهو فى كل وقت الذى يحوز الفكرين والكلمة المولود منه كاملة فى كل شيء وصانعة كل شيء " وقال أفلاطون " واحد هو الاله العلى فى العلاء الذى كلمته الغير المحسوسة حبلت به جارية وهذا مثل الفأس المتردية بالنار وسلك فى أحشائها ويدخر العالم ويقربه لابيه قربانا واسم الجارية العذراء " وقال ايضا " ان العلى الاعلى يظهر فى الارض ويقيم الموتى ويظهر آياته الربانية ويرجع الى عرشه الرهيب ولا يعودون يرونه الى يوم الحكم العظيم " وقال أرسطو فى كتابه المسمى الكنوز " ان كنز الحياة عند ادو ناى الاله الذى يظهر فى المسكونـــة أجمع ويسمـــع صوتـــه الذين فى القبـــور ويقومـــون " .

وفعلا فى سنة ٤ ٤٠٠ للخليقة تحقق رجاء كل المسكونة اذ حصل النور التام بواسطة تعاليم المسيح الفضلى التى بثها فى قلوب تابعيه وهؤلاء نادوا بها للعالم فأضاءت وأنارت عموم الناس وكشفت لنا طريق الخلاص الحقيقى والعمل الذى أتمه يسوع على الصليب لنجاتنا من الهلاك .

وقال استروس العالم الكبير فى آخر مؤلفاته " ان الشقاء الناشيء عن معرفة أغلاطنا مع توبيخ الضمير معلن فى الكتاب فهو الذى بواسطة تعاليمه عن الفداء الكفارى ينقشع امام ذراعى العناية الالهية ما يخامرنا من الوهم باننا ضحية الصدفة العمياء ويضيء ظلام ليل حياتنا الارضية بشروق نـــور المجـــد السمـــاوى والسعـــادة الابدية " .

فكتاب الله هو الكتاب الوحيد الذى تفضل به الله على بنى البشر قانونا للحيوة وبه يحفظنا من الجهالة فهو مرشد لنا فى هذه الحيوة يعلمنا كيف نحيا ونعيش لبر وكيف نسلك من المسيح ويعلمنا كيف نعبد الله . وهو قائد لنا الي الحياة الابدية ويظهر لنا المجد الذى سنحل عليه مع مخلصنا يسوع المسيح فى ملكوت الله ويرشدنا الى الطريق التى توصلنا الى ذلك المجد . ولم يقف عند هذا الحد من الأخبار بل يحث فى الانسان فعرف ما خفي وما ظهر وما بان الفلسفة والعلوم العقلية ولم يكتف بالمنظور بل دخل الى اعماق القبر ورفع حجاب الموت وكشف لنا عن اسرار السماء وجهنم ويوم الدينونة العتيد . وليس ذلك فقط بل أراد منظاره وفرق به دائرة الجلد وأرانا ما يحويه من مخلوقات أخرى غير منظورة كالملائكة ورئيسها واباح بسر العرش الابيض والمجالس عليه وكزنه عامود نار يسير امامنا ليهدينا الخطى فى اجتياز طريق هذا العـــالم . ولما لا حظ بعضهم ذلك انشد يقول :

لى كتـــاب من الهـــــى ... مالـــه عنـــدى نظـــــــير

فهو لى كنـــز و ليلـــــى ... مــــن سنـــــــاه يستنيـــر

كـــلام ربنـــــا الالـــــه ... دليلـــــنا الى الحيـــــاه

كتـــــاب ربنــــا الالــــه ... منــــــارنا فى كــــل حيــــن

وهـــــو يبدى لى ضــــلالـــى ... ويـــــــرى نور الهــــــدى

مظهرا إمـــــــر خلاصـــى ... بفـــــدى رب الفــــــدى

وهو يهديـــــنى صغيــــرا ... فــى سبيــــل مستقيـــــم

ويروح اللــــــه ينفـــــى ... كــل أهـــوال الجحيـــــم

وهو سيفـــــــى يوم موتـــى ... اغــلب المـــوت بـــــــه

وبه ابليــــــس القـــــى ... ظــــــافرا فـــى حربــــه

مضت اويقات الظلمة وانبثقت أشعة النور ، فعوضا عن تعاليم كهنة الاوثان صارت تعاليم الانبياء والرسل ، وعوضا عن كتب " الشاستريس " و " الفيدا " (1) حلت تعاليم كتاب الله المقدس ، وبعد ان كان الانسان يسير على غير هدى اصبح عارفا بأصل وجوده وآخرته وخالقه ثم أمر كلا منا ان يذهب ويتلمذ جميع الأمم ويعمدهم باسم الاب والابن والروح القدس (مت ١٨ : ١٩ ٢٠)

ولكن والحالة هذه اذا بصيحة دوت لها ارجاء المسـكونة فسألنا ما معنى هذه الضجة ؟ قالوا لنا تمسكوا بالفلسفة (الكاذبة) فأعدنا السؤال ما هذه الفلسفة ؟ قالوا " لا إله " هكذا ادعوا وهكذا قالوا .

" قال الجاهل فى قلبه ليس إله " (مز ١٤ : ١ و٥٣ : ١)

وفـــى كل شىء لــــــه آيـــة تـــــدل علـــــى أنـــــه الخالـق

قالوا ان الانسان نشأ قديما من مادة مجهولة نتيجة الصدفة العمياء وليس من خالق له ، وان كان مخلوقا فليس بمعروف خالقه ، وان الكتاب المقدس زور وبهتان يجب ان يوضع فى خبر كان والوحى غير ممكن وان العقل مصدر كل شىء . وهذا مضاد (١) لشهادة طبيعتنا الادبية فاننا نشعر على الدوام اننا فى حضرة الله وهو المطلع على خفايا قلوبنا والعارف بما تكنه صدورنا فالشرير يشعر بان الله موجود فى خفايا الظلام ، والتقى يحس بانه حاضر على الدوام (من ١٢٩ : ٧ – ١٢) وهكذا كل انسان منا يعرف ان الله موجود فى كل مكان وان فى قلوبنا زاجرا يزجرنا عند مخالفتنا اوامره وعدم اتباعنا نواهيه (٢) مضاد لشهادة وجدان البشر العام ، فكلهم يستغيثون به فى الملمات ويطلبونه عند الضيقات ومسلمون اليه دفة أمورهم وعارفون بأنه هو المتسلط على حياتهم يبقيها متى شاء ويأخذها اذا أراد .

ولئن كان الناس فى هذه الحياة الدنيا لا يبصرون الله المنزه عن ادراك البصائر والابصار الا انه يريد ان ننظر الى جماله الكامل وكماله الشامل من حيث كونه ينبوع كل جود واحسان واننا نتغـير يوما فيوما بنعمته واحسانه وهداه ونتحول الى قداسته فى باذخ مجـده وعـلاه مزدادين بمعرفته ومحبتـه ومسـتزدين مـن لطفه ورحمته فقد نفخ فينا نسـمة الحيـاة لنلتمسـه . وأرانـا قبـس الحق الذى ترتـاح اليه النفس لتلتصق به . ولله در من قال :

---

(١) كتب الهنود المقدسة

يـــارب منـــك النفـــس والطعـــام وهكـــذا الحيـــاة والإنعـــام
وكـل ذى الآلاء مـن نعـمـاكـــا نغـنـى بهـا يارب مـن غنـاكـا
أنـت لشـوق النفس فينا موجـد وبـــك عـن سـبل الضلال نبعـد

كما ان البراهين العديدة تدحض قول الكفرة السابق فان تغير الكون يدل على وجود تدبره كيف شاءت فمنذ وجد وهو فى تغيرات وانقلابات متواصلة . وقد اثبت علم الجيولوجيا حداثة الجنس البشرى وهو برهان كامل على ان يدا أوجدته بعد ان لم يكن . واذا تطلعت الى الاجرام السماوية ونظامها العجيب السائرة عليه تعترف بوجود من اوجدها على هذا النظام والترتيب الكامل . وكل شىء فى الوجود تراه يعمل لغاية وقصد وضع النظام التام ولا شك فى وجود من اوجده على هذه الكيفية . ولو أطلت التأمل مدة فى النظر الى عجائب الكون وغرائبه وتركيبه ونواميسه لصرخت بملء فيك قائلا " ما أعجب أعمالك يارب كلها بحكمة صنعت " .

قال اللورد افبرى تحت عنوان :

الله فى كونه

يقولون اين اللـه اين عجـائبـــــه وذا الكـــون سفر واضح هو كاتبه
يشكـــون والايمـان ملء قلوبـــــهم ويبدون ما فى صدورهم ما يكاذبه
فان امرىء فى الجـو يرسل طرفه اذا ما بدت أقماره وكواكبـــــــه
وليس يقول الله فى عرش مجـــده وهذى حواشيه وهذى مواكبـــــه

والبعض من تابعى الفلسفة المذكورين ارادوا التسوية بين الاثنين (العقل والكتاب) فقالوا ان الوحى ممكن والكتاب المقدس من لدنه تعالى الا ان جميع حقائقه موجهة الى العقل يفسرها كما يشاء وبذلك يصبح الدين تحت رحمة الفلاسفة ويصبح الكتاب وكل ما فيه العوبة فى ايديهم فما كان موافقا لا ميالهم ومشاريهم تمسكوا به ، وما لم يكن كذلك ضربوا به عرض الحائط قد جلعوا العقل مقياسا وميزانا فى حل جميع المسائل الدينية مع انهم لا ينكرون ان العقل يميل احيانا مع الاغراض وانه كثيرا ما انحرف عن جادة الصواب وقد نسوا او تناسوا التقيد بالعادات والمؤثرات حتى ان ما يراه الانسان اليوم صوابا قد يتضح له فى الغد خطأ ولو كان من العقل فائدة لاعتمد الانسان عليه ولما كان ثمت داع لنزول الوحى . قال الفيلسوف لوك سنة ١٧٠٠ " اننى بشكر افعل واسر بنور

الوحى الالهى الذى اراحنى فى امور كثيرة على طريق لا يمكن لعقلى المسكين باية واسطة كانت ان يدركها " .

لا جدال فى ان الانسان يستطيع ان يعرف بعض الامور عن الله من غير طريق الوحى وذلك من معاينة احوال الخلق ومشاهدة احوال ذاته . على ان المرء لا يستطيع ان يعرف الله بدون وحى كما يعرف الصديق صديقه او الولد امه . قد يعلم ان الله حكيم وان رحمته فوق كل اعماله . وقد صدق الشاعر اذ قال :

كـــم ابـــدع مـــن آيـــات حكمتـــه اذ فى حشا الام آى الحب قـد سطرا
وانمـــا اللـــه قبل الام كـــان فمن لم يدر ذاك فـلا نفـع لـديه يـــــرى

واذا تأمل المرء قلنا سابقا فى القوة العليا التى تسير اجرام السماء فى افلاكها وفكر فى الحكمة التى تربط البشر بربط المساعدة المتبادلة وتمعن فى العناية التى قد جعلت لكل مخلوق اعضاء تناسبه لاتمام اعماله وللدفاع عن نفسه . اذا فعل المرء فقد يعرف شيئا عن صفات الله المجيدة كما قال المزمور " الغارس الاذن ألا يسمع ؟ الصانع العين ألا يبصر " (مز ٩٤ : ٩) ولكن كل تلك المعرفة ناقصة ما لم يزدها الوحى ، واقرب شاهد على ذلك الوثنية فان الكثيرين فيها على جانب عظيم من العلم والادراك ولكن يوجد فرق عظيم بينهم وبين الذين يستضيئون بنور الوحى ، وبالجملة لا يستطيع المرء ان يفهم احواله الحقيقية ولا يمكن ان تزول شكوكه وارتياباته الا بواسطة الوحى .

قد يقولون كيف نؤمن بمن لم نر . وكيف نصدق من لم ندرك ؟ ولكن عقل الانسان القاصر المحدود لا يستطيع ادراك الخالق الازلى غير المتغير او ادراك ذاته العالية التى لا تحدها بداءة ولا نهاية ، على حد قول الشاعر :

كيفية المـــرء ليـــس المـــرء يدركها فكيف كيفية الجبـــار فى القـــدم
هو الذى أنشـــأ الاشيـــاء مبتدعـــا فكيـف يـدركه مستحدث النســـم

وكم من كثيرين قد قبلوا هذه الآراء الفاسدة الدنيئة وتمسكوا بها وحسبوا التمسك بالدين غباوة وحقارة ، ورفضه حكمة وافتخارا وهم لم يتعلموا الا العلم اليسير ومع ذلك يتظاهرون بالعلم مؤيدين دعواهم بقولهم " لا اله " بينما هم فى الوقت ذاته يبرهنون على جهلهم المطبق لان الكتاب يقول " قال الجاهل (وليس العالم) فى قلبه ليس اله " .

وقد ورد فى مجلة الهدى " انه جاء ملحد مؤخرا فى مدن فرنسا يخطب عن عدم وجود الله وكان يعطى فرصة للمسيحيين عقيب كل خطاب ليفندوا اقواله اذا استطاعوا الى ذلك سبيلا . وذات اعلن انه سيخطب فى موضوع (اثنا عشر برهانا على عدم وجود الله) فبعد ان تكلم ثلاث ساعات حتى لم يترك وقتا لمتكلم اعلن حسب عادته استعداده لسماع اى اعتراض ، فصعد على المنبر مسيحى فلاح بسيط وقال " ليس

لى الكافى ولا المعرفة التامة لأرد على خطاب علمى طويل كهذا ولذلك اجعل هذا الكتاب يتكلم بالنيابة عنى " ثم اخرج من جيبه كتابا عتيقا وقرأ قوله فى (مـز ٥٣ : ١) : قال الجاهل فى قلبه ليس اله " ثم طوى الكتاب وقال ليس من داع لان نتباحث مع الجهال فانهم يحتاجون الى عناية الطبيب اكثر من حاجتهم الى المحاجة والبرهان » .

فيا احبائى . لا تظنوا ان العلم فى الالحاد والكفران بل فى الايمان . قال العالم باكون الانكليزى " قليل من العلم يبعدنى عن الله وكثير منه يقربنى اليه " وكل رجال الدين كانوا ولا يزالون من صفوة العلماء وكل من عنده علم تام لا يستريح ولا يطمئن خاطره إلا فى الدين . الدين كان ولا يزال يقاوم المسكر والميسر ومحال الفسق والدعارة ويعارض فى كل علم يبعد صاحبه عن الفضيلة والمدنية كالسحر والشعوذة وفى الوقت نفسه يرحب بكل العلـوم والمعارف الصـالحة للمجتمع الانسانى ويعد كل من يهين العلم مهينا للدين لأن العلم والدين مصـدرهما واحـد وهو الله . والعلم ما هو الا خادم للدين لذلك ترى ان اول من اسس دور العلوم والمعارف فى مشـارق الارض ومغـاربها انما هم رجال الدين الذين عرفوا كتابهم معـرفة حقيقية . فالـدين لا يخالف العلم بل يوافقه . ولا يكون العلم حقيقيا مـا لم يقترن بالـدين الذى هو معرفة الخالق ينبوع العلم ومعدن الحكمـة ..

فالدين امر فطرى فى الانسان والاعتقاد بوجود كائن ازلى ليس أمرا حديث العهد بل وجد مع الانسان منذ القدم وكأنه قد سرى مع دمه في عروقه ولذلك ترى أن الهمج الذين لا يعرفون الله ويعبدون الأصنام أذا سئلوا عن عبادتهم لهذه الجمادات يجيبون انهم انما يعبدون الاله الممثل في هذه الصورة التى تكون إما رمزا للقوة أو الحياة أو النور وما شاكل ذلك ومع ما كان عليه الانسان من بساطة المعلومات كان يمجد الله فبالاولى جدا كان ينتظر ممن تجلت لهم أسرار الطبيعة واباحت لهم مكنوناتها ان يمجدوا الله البارى لما لديهم من العلوم . فعوضا عن ان ينقادوا الى معرفة الخالق عز وجل عند التأمل فى عظيم مخلوقاته البديعة التى من احقرها الى اكبرها تشهد بسمو طبيعة خالقها ومبدعها توغلوا فى فيافى الخبط والتخمين وغابوا عن محجة اليقين فطفقوا ينكرون وجود البارى وراحوا يأتون باسباب على وجود الكون من ذاته وانه وجد

عرضا وانه كان أصله ذرات مختلفة ومتفرقة كانت تدور حول بعضها فبقوة الجذب والتلاصق حصل منها ما حصل ومما يؤسف له انه قد حذا حذوهم بعض ممن حصلوا على طرف قليل من العلم فراحوا يباهون بانكار الخالق كأن ذلك غاية العلم ومنتهى المعرفة الفضلى (١) . على أن ذلك ليس الا جهل بالحقيقة فمثل هؤلاء أخطأ ظنهم وساء فألهم لان الدين انما ينير ذهن الانسان فيذكر فهمه حتى يستخدم علمه في ما هو ارقى واسمى وافيد للهيئة الاجتماعية .

فاحذر ايها القارىء العزيز من ان تشك في صدق الحق الالهي لان طريق الكفر هين يسلكه اى من شاء ان يكون كافرا فاذا تغول في مسالكه عجزت أعظم البراهين القوية عن اقناعه ورده الى الايمان . ولا عبرة بظن البعض ان العلم يخرج بالانسان من حظيرة الدين ويقوده الى الكفر والالحاد وهذا ما وافق مآربهم وغاياتهم الدنيوية التى سهلت لهم سبيل الخروج عن طاعة الدين القويم النواميس الدقيق الوصايا والاحكام . اجل . وان كانت الرجولة بالعلم ولكن . العلم لا يقوى بالجحود بل بمخافة الله . ولنتمثل امامنا أبدا قول سليمان الحكيم " فلنسمع ختام الامر كله اتق واحفظ وصاياه لان هذا هو الانسان كله " (جا ١٢ : ١٣) .

. (١) ومما يؤلم ان بعضا من شبان امتنا آثروا السلوك في السبيل الملتوى وحادوا عن الطريق السوى واندفعوا خلف تيار الضلال ناكرين لحقائق الدين مجاهرين بعدم صحة الكتب الالهية تاركين لها في زوايا الاهمال اتباعا لآراء بعض أهل الغرب الذين كفروا بكل دين . ولقد امسوا بتركهم الكتاب كمن يسير في الظلام على غير هدى وكان ذلك من أكبر الدواعي التى قادتنا الى وضع هذا الكتاب لكى نلفت فيــه أنظــارهم الى الكتــاب المقدس فان راموا سعادة فهى تتجسم في أقواله وان طلبوا حيــاة ونوراً فهما ينبعثان منه وان كانوا ينشدون صلاحا فهو مودع بين دفتيه وان جدوا في أثر العــلم فهــو منبــعه ويجرى في شرايين كلماته وقد نوهنا بذلك في مقالتنا « الشبيبة والدين » المنشورة بمجــلة الهدى في عدد ١١ و ١٢ من السنة التاسعة .

والتلاصق حصل منها ما حصل ومما يؤسف له انه قد حذا حذوهم بعض ممن حصلوا على طرف قليل من العلم فراحوا يباهون بانكار الخالق كأن ذلك غاية العلم ومنتهى المعرفة الفضلى (١) . على أن ذلك ليس الا جهل بالحقيقة فمثل هولاء أخطأ ظنهم وساء فألهم لان الدين انما ينير ذهن الانسان فيذكر فهمه حتى يستخدم علمه فى ما هو ارقى واسمى وافيد للهيئة الاجتماعية .

فاحذر ايها القارىء العزيز من ان تشك فى صدق الحق الالهى لان طريق الكفر هين يسلكه اى من شاء ان يكون كافرا فاذا تغول في مسالكه عجزت أعظم البراهين القوية عن اقناعه ورده الى الايمان . ولا عبرة بظن البعض ان العلم يخرج بالانسان من حظيرة الدين ويقوده الى الكفر والالحاد وهذا ما وافق مآربهم وغاياتهم الدنيوية التى سهلت لهم سبيل الخروج عن طاعة الدين القويم النواميس الدقيق الوصايا والاحكام . اجل . وان كانت الرجولة بالعلم ولكن . العلم لا يقوى بالجحود بل بمخافة الله . ولنتمثل امامنا أبدا قول سليمان الحكيم " فلنسمع ختام الامر كله اتق واحفظ وصاياه لان هذا هو الانسان كله " (جا ١٢ : ١٣) .

---

(١) ومما يؤلم ان بعضا من شبان امتنا آثروا السلوك في السبيل الملتوى وحادوا عن الطريق السوى واندفعوا خلف تيار الضلال ناكرين لحقائق الدين مجاهرين بعدم صحة الكتب الالهية تاركين لها فى زوايا الاهمال اتباعا لآراء بعض أهل الغرب الذين كفروا بكل دين . ولقد امسوا بتركهم الكتاب كمن يسير فى الظلام على غير هدى وكان ذلك من أكبر الدواعى التى قادتنا الى وضع هذا الكتاب لكى نلفت فيه أنظارهم الى الكتاب المقدس فان راموا سعادة فهى تتجسم فى أقواله وان طلبوا حياة ونوراً فهما ينبعثان منه وان كانوا ينشدون صلاحا فهو مودع بين دفتيه وان جدوا فى أثر العلم فهو منبعه ويجرى فى شرايين كلماته وقد نوهنا بذلك فى مقالتنا « الشبيبة والدين » المنشورة بمجلة الهدى فى عدد ١١ و ١٢ من السنة التاسعة .

الخـــــاتمة

" اخيرا يا اخواتى تقووا فى الرب وفى شدة قوته " اف ٦ : ١٠

ها قد اتضح لك أيها القارىء العزيز مما تقدم ان من يتصفح الاقوال الالهية وما كتبه الانبياء والرسل القديسون من التعاليم الخلاصية . لا يسعه الا ان ينذهل من سمو عقائدها الدينيه الفائقة عن المدارك البشرية . ويعترف بكمالات الكتب المسيحية الجامعة لكل الفضائل الحقيقية والمنزهة عن الشوائب العلنية والسرية .

تلك حقيقة حققها معشر الفلاسفة المتقدمين والعلماء المتأخرين . سواد كانوا من المسيحيين أم من أعداء الدين من الذين نقبوا فى تهذيب شريعتنا وآداب ديانتنا . فأقروا بعلو منزلتها واعترفوا بالوهية مصدرها . ولم ينكروا عظيم فضلها وقدروها حق قدرها وشهدوا بصحة كتابها المقدس الذى حوى من وسائط الحث ما به ترتقى الانفس . وكل من اعتصم بعروته الوثقى وسلك فى محجته الوسطى أمن العثار ونجا من النار ، لانه سفينة النجاة او منقذ الخطاة .

وفى الختام نشكر الكلمة الازلية والحكمة الصمدانية الذى تجسد من الروح القدس بسر رفيع فائق تعجز عن ادراكه عقـول اشـرف وارقى جميع الخلائق له جزيل الحمد ووافر الثناء مع ابيـه الصالح وروحه القـدوس من الان والى الابد والى دهر الدهور ، آمين .

" كل الكتاب هو موحى

به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ . للتقويم والتأديب

الذى فى البر لكى يكون انسان الله كاملا

متأهبا لكل عمل صالح "

كلام الله (١١)

١ كلام الاله غذاء القلوب — يقدس نفسى ويحيى الفؤاد
يزيل الهموم ويعطى العزاء — لذيذ لدينا كقطر الشهاد

٢ دواء ثمين لكل الكروب — وسيف صقيل لوقت الجهاد
كنار يبيد جميع الشرور — وترس قوى لنا فى النضال

٣ سراج مضىء ينير الظلام — ويهدى الخطى فى اجتياز
يقود النفوس لطرق السلام — دليل امين كأوفى رفيق

٤ يعزى الحزين يزيح العناء — ويعطى السلام ويولى النجاه
يفيض الآمال ويهدى العزاء — طعام جليل غذاء الحياه

٥ خزانة مجد وكنز ثمين — وفيه وعود وعهد الحبيب
وكرم شهى لذيذ الثمار — جميل بهيج كمرعى خصيب

٦ وفيه الخلاص كنهر يفيض — سلاما وبرا لنيل الكمال
بشارة خير ونبع السرور — علامة حب وتاج الجمال

٧ تزول سماء وكل الجبال — وقوله يبقى وليس يحول
وعود الاله تماما تدوم — فلا من كلامه حرف يزول

كلام الله (٦ و ٦ و ٦ و٨)

١ كلام ربنا فى غاية الكمال
يهدى النفوس حافظا لها من الضلال
كلامك الكريم كلامك الكريم
ثواب من يحفظه يا خالقى عظيم

٢ شريعة المولى تبقى مدى الحياة
أحكامها صادقة تحكم الجهال

٣ عدلا وصاياه تفرح القلوب
وأمره مقدس ينور الشعوب

٤ وخوفه نقى يبقى على الدوام
احكامه عادلة حق الى التمام

٥ اشهى الى التقى من خالص التبر
اعذب من شهد نقى احلى من القطر

٦ بها محذر عبدك ياكريم
يا سعد من يحفظها ثوابه عظيم

طبع بشركة هارمونى للطباعة
تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)
رقم الإيداع ١٦٣٢ / ٨٨


Bibliotheca Alexandrina
06280049
07
48
٢٨٠٢
تشغيلة رقم
قرش جنيه
٧,٠٠
مكتبة المحبة ٣٠ شارع شبرا - القاهرة
تليفون : ٥٧٥٨٢٦٢(٢٠٢) - ٥٧٨٢٩٣٢(٢٠٢) ت. وفاكس : ٥٧٥٩٢٤٤(٢٠٢) - ٥٧٧٧٤٤٨(٢٠٢)
E-mail:Mahabba5@hotmail.com